الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

قسم التاريخ و علم الآثار

قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية (1509 – 1792)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالبة :	إشراف الأستاذ الدكتور:
دغموش كاميلية	محمد دادة

أعضاء لجنة المناقشة: 2014/12/04

دحو فغرور	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	رئيسا
دادة محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مشرفا و مقررا
حمدادو بن عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشا
غازي مهدي جاسم الشمري	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران	مناقشا

السنة الجامعية 2013 - 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

قائمة المختصرات (*Abréviations*) :

أولا باللغة العربية :

- د. م. ج : ديوان المطبوعات الجامعية .
- ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .
- م م و ج : مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية .
- م . و . ك : المؤسسة الوطنية للكتاب .

ثانيا باللغة الفرنسية :

- B. S. G.A.O : Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran .
- E .N.L : Entreprise nationale du livre .
- I . A : initiation a l'Algérie
- J.A : journal Asiatique
- O. P .U: Office des publications universitaires .
- P .U .F : Presses universitaires de France .
- R.A : Revue Africaine
- R.O.M.M :Revue de L'occident Musulman et de la Méditerranée .
- S.N.E.D : Société Nationale D'édition et de Diffusion.
- Trad : Traduction .

شكر و تقدير

أشكر الله مولاي و خالقي الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا العمل   و انطلاقا من قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ و إيمانا بفضل الإعتراف بالجميل و تقديم الشكر و الامتنان لأصحاب المعروف ،فإني أتقدم بالشكر الجزيل و الثناء العظيم لكل من ساعد في إنجاح هذه الرسالة و أخص بالذكر أستاذي و مشرفي الفاضل محمد دادة ،على كل ما بذله معي من جهد ،فوولا توجيهه النافع و نصحه الصائب لما ظهر هذا البحث إلى الوجود ،كما أشكر كل من شجعني و لو بكلمة طيبة في سبيل إثراء هذا العمل علميا .

الإهداء

إلى من أحمل إسمه بكل افتخار ،إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار ،إلى من علمني العطاء بدون انتظار أرجو من الله ان يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار ،و ستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد ، والدي العزيز .

إلى ملاكي في الحياة ،إلى معنى الحب و إلى معنى الحنان و التفاني ،إلى بسمة الحياة و سر الوجود ،إلى من كان دعائها سر نجاحي ،و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب ،أمي الحبيبة .

إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ، إلى التي سقتني من الصبر و الحنان و منحتني الحب و الإطمئنان ،جدتي العزيزة .

إلى من هم أقرب إلى من روحي، إلى من شاركني حضن الأم و بهم أستمد عزتي و إصراري إخوتي :

عبد اللطيف ،يمينة ،حورية و الجيلالي .

إلى توأم روحي و رفيقة دربي ،إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة، إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة و معك سرت الدرب خطوة بخطوة و مازالت ترافقني ،صديقتي الغالية أمينة .

إلى جميع الأقارب و الأصدقاء و الزملاء ،إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع .

المقدمة

لا يزال البحث في تاريخ الجزائر المحلي يفتح آفاقا واسعة أمام الباحثين الجزائريين ،بالنظر إلى أن مواضيع عديدة لا تزال بكرا و لم تخضع بعد إلى الدراسة السطحية منها أو المعمقة ،و لا يجب أن نفهم من هذا أن خوض غمار البحث في التاريخ المحلي خاصة الاجتماعي منه يعد سبيلا سهلا أو مغريا ،إنما هو مسلكا وعرا و صعبا يفرض على أي باحث تحاشي السطحية و الانزلاق وراء توجه الكتابات الأجنبية ،التي تعد رغم ذلك المصدر المرجعي في ظل غياب الكتابات و الدراسات الوطنية الأساسية ،المتعلقة بأقاليم الجزائر المختلفة حيث أن الموضوعات الاجتماعية في ميدان التاريخ تشكل جانبا مكملا للموضوعات السياسية و العسكرية و الإدارية ،ذلك لأن الدولة مهما كان الموقع الجغرافي الذي ظهرت فيه و العهد الذي عاشت فيه و نظام الحكم الذي قامت عليه ،فإن تاريخها العام لا يمكن فهمه من خلال علاقاتها السياسية و نشاطاتها العسكرية و نظمها الإدارية و المالية فقط ،و إنما من خلال النشاط الذي يقوم به أفرادها و مظاهر حياتهم الاجتماعية.

و يعد تاريخ الجزائر في العهد العثماني من أهم فترات تاريخ الجزائر ،ذلك أنه دام مدة طويلة تزيد عن ثلاثة قرون (1519 – 1830 م) ،و تجمع المصادر التاريخية على أن سكان الأرياف خلال العهد العثماني ،كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة ،و هم يعيشون في قبائل متناثرة بحيث شكلت القبيلة إحدى الثوابت الأساسية في تاريخ شمال إفريقيا بصفة عامة و الجزائر بصفة خاصة ،و عنصرا هاما في البنية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية .

كما تميزت الجزائر في بداية القرن السادس عشر بأوضاع سياسية سادها التمزق ،و الحروب الأهلية بين أفراد العائلة المالكة ،إلى جانب التناحر بين ممالكه في حروب مدمرة ،مما أضعف السلطة المركزية ،و شجع بعض القبائل و المدن الساحلية على إعلان العصيان ،كل هذه الأوضاع المتردية شجعت الإسبان لاحتلال مدنها الساحلية .

و من بين المدن التي احتلها الاسبان في الغرب الجزائري مدينة وهران و المرسى الكبير ،بحيث أقدمت بعض قبائل هذه المنطقة على التعاون مع الاسبان ،و من جهة أخرى و لما تأكد أعيان مدينة الجزائر بأنه لا يمكنهم الوقوف في وجه الاحتلال الإسباني ،لجئوا إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس و منذ استقرارهم في مدينة الجزائر بدأ تشكيل كيان سياسي جديد ،و بالتالي تم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية ،و قد امتد الحكم العثماني للغرب الجزائري عندما توجه عروج إلى مدينة تنس ،لإخضاع إحدى الثورات التي قامت بها قبائل الأمحال ، وبالتالي وجدت بعض القبائل من قام بالتعاون و التحالف مع الأتراك العثمانيين ضد الإسبان و كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من القبائل.

و بحكم مجاورة بايلك الغرب للمغرب الأقصى ،و كذلك الصراع الذي كان بين سلاطين المغرب الأقصى و الأتراك العثمانيين ،فإن قبائل الغرب الجزائري التي تقع على الحدود بين الجزائر و المغرب تأثرت بهذه العلاقة إذ كانت كثيرا ما تلجأ إلى المغرب الأقصى و تتحالف معهم ضد الأتراك العثمانيين و هذا بتحريض من سلاطين المغرب الأقصى .

و في أثناء السنة الأولى ماجستير ،و بفعل المطالعات المتخصصة تكونت لدي فكرة عامة لأنتهي إلى اختيار موضوع :قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية ،و قد حددنا الإطار الزمني للبحث بالفترة الممتدة من 1509 إلى 1792 م ،أي منذ احتلال الإسبان لمدينة وهران إلى غاية التحرير الثاني و النهائي لهذه المدينة من الإسبان ،و ذلك حتى نتمكن من تتبع تطور علاقة قبائل الغرب الجزائري بكل من الإسبان و الأتراك العثمانيين .

لقد كان اختياري للبحث في هذا الموضوع قبل كل شيء و ليد دافع ذاتي و فضول قوي ،من أجل الإطلاع الوافي على علاقة قبائل الغرب الجزائري بكل من الإسبان و الأتراك العثمانيين ،إلا أن البحث و الكتابة في موضوع بهذه الأهمية لا بد أن ترافقه دوافع علمية بحتة من أجل إنجاز دراسة تاريخية موضوعية إلى أبعد حد و من جملتها أذكر ما يلي :

- دراسة مختلف قبائل الغرب الجزائري التي تعاونت مع الإسبان مع ذكر أهم الأسباب التي دفعت بها إلى التعامل مع الإسبان .
- التعرف على علاقة حكام بايلك الغرب مع مختلف القوى المحلية القبلية في الغرب الجزائري .
- معرفة مدى مساهمة القبائل المتعاونة مع الإسبان في تعزيز و تقوية الوجود الإسباني في منطقة الغرب الجزائري .
- تبيان دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني .
- إثراء المكتبة الجزائرية بدراسة عن مختلف قبائل الغرب الجزائري أثناء فترة الاحتلال الإسباني.

أما الإشكالية المركزية التي يقوم عليها هذا الموضوع فتتمثل حول معرفة علاقة قبائل الغرب الجزائري بكل من الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية في فترة كان الصراع قد بلغ أوجه في هذه المنطقة الإستراتيجية ،و توضيح العوامل المؤثرة في هذه المنطقة .

و للإجابة على هذه الإشكالية الرئيسية ،لابد من طرح عدة تساؤلات فرعية وهي كالآتي :

- ما هي أوضاع المنطقة الغربية للجزائر قبيل الاحتلال الإسباني ؟ و ما هي أهم الأسباب التي أدت بالإسبان إلى الاحتفاظ و التمسك بمدينة وهران و المرسى الكبير ؟
- ما هي أهم القبائل التي المتعاونة مع الإسبان ؟مع ذكر أسباب و أشكال هذا التعاون ؟

– ما مدى مساهمة القبائل المتعاونة مع الإسبان في تعزيز و إطالة عمر الاحتلال الإسباني في المنطقة الغربية للجزائر ؟

– هل كانت علاقة القبائل المتعاملة مع الإسبان ثابتة طيلة فترة الاحتلال الإسباني لمدينة وهران و المرسى الكبير أم طرأ على هذه العلاقة تغيير ؟

– ما هو تأثير المغرب الأقصى على قبائل بايلك الغرب خاصة القبائل التي تقع على الحدود بين الجزائر و المغرب ؟

– و ما هو دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني ،سواءً أثناء الفتح الأول أو أثناء الفتح الثاني و النهائي ؟

اتبعت في دراسة هذه الرسالة في مختلف فصولها و مباحثها ثلاثة مناهج علمية و هم :

المنهج التاريخي و الوصفي ،و قد استخدمت المنهج الأول لتتبع المراحل التاريخية حول علاقة قبائل الغرب الجزائري بالإسبان و العثمانيين ،أما المنهج الوصفي فهو عبارة عن وصف الأحداث التاريخية المؤثرة على هذه العلاقة .

و للخروج برؤية موضوعية تخدم البحث ،و نظرا ما للتكامل المنهجي من أهمية في البحث العلمي آثرت استخدام المنهج التحليلي لتوضيح ظروف قبائل الغرب الجزائري و الأسباب التي أدت بها للتعامل سواءً مع الأتراك العثمانيين أو مع الإسبان و الخروج بالنتائج النهائية .

سمحت لي المادة العلمية التي جمعتها حول الموضوع بتقسيمه إلى مدخل و ثلاثة فصول إضافة إلى مقدمة وخاتمة جاءت عبارة عن حوصلة لأهم ما جاء في هذه الدراسة .

فقد تناولت في المدخل أهمية المنطقة الغربية للجزائر خاصة الإستراتيجية و الاقتصادية في الصراع الإسباني العثماني ،و التي كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت بالإسبان إلى احتلال مدنها الساحلية و التمسك بها ،بحيث كانت المرسى الكبير و وهران من بين المدن التي احتلها الإسبان و تمسكوا بها ، ثم تطرقت إلى كيفية انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية .

أما الفصل الأول فقد خصصته لدراسة أهم قبائل الغرب الجزائري المتعاونة مع الإسبان ،بحيث ذكرت في بداية الفصل تعريف القبائل بصفة عامة و أهم تنظيماتها ،ثم تطرقت إلى ذكر أهم قبائل بايلك الغرب المتعاملة مع الإسبان مع الإشارة إلى أهم الأسباب التي دفعت بهم إلى التعامل معهم ثم عرجت على علاقة هذه القبائل بالإسبان بحيث ذكرت معاهدة الأمان التي كانت تبرم بين تلك القبائل و الإسبان ،و أهم النشاطات التجارية إضافة إلى أهم الضرائب التي كانت تدفع للإسبان

و ختمت هذا الفصل بالإشارة إلى موضوع الأسرى الجزائريين اللذين كان الإسبان يقومون بأسرهم و كيفية افتدائهم .

الفصل الثاني خصصته لدراسة قبائل الغرب الجزائري و علاقتها بالأتراك العثمانيين ،بحيث أعطيت في بداية الفصل لمحة تاريخية عن بايلك الغرب ،و ذلك بعرض إطاره الطبيعي ،و تحديد خصوصيته باعتبار الظروف الخاصة التي تميز بها ،ثم تعرضت لمختلف القوى القبلية في منطقة الغرب الجزائري و قمت بتقسيمها حسب علاقتها بالسلطة العثمانية إلى قبائل متحالفة و المتمثلة في قبائل المخزن و المتحالفة ،و قبائل خاضعة تتمثل في قبائل الرعية ،و قبائل مستقلة و التي كانت تعيش في المناطق البعيدة عن نفوذ البابلك و ترفض دفع الضرائب ،و ختمت هذا الفصل بالتطرق إلى تأثير المغرب الأقصى في قبائل الغرب الجزائري .

أما الفصل الثالث فقد تطرقت فيه إلى دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني ،بداية من المحاولات المتكررة التي كانوا يقومون بها لمحاصرة مدينة وهران بمساعدة الأتراك العثمانيين إلى غاية تحرير مدينة وهران الأول و التحرير الثاني و النهائي .

و بالنسبة لأهم الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع نذكر منها :

دراسة عبد القادر فكاير عنوانها "الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و آثاره 1505 -1792 م و الذي تناول فيه كيفية احتلال الإسبان لمدينة المرسى الكبير و وهران إضافة إلى مدن أخرى ،و أهم آثاره الاجتماعية و الاقتصادية على الجزائر .

و دراسة بلبوري سيد أحمد الموسومة ب "الاحتلال الإسباني الأول لوهران و انعكاساته الاجتماعية السياسية و الاقتصادية " تطرق فيها لأوضاع مدينة وهران أثناء الاحتلال الإسباني الأول إلى غاية التحرير الأول لهذه المدينة .

و لدراسة موضوع البحث فقد استعنت بمجموعة من المصادر و المراجع ،التي تفاوتت قيمتها العلمية و أهميتها في خدمة الموضوع ،و سنقتصر على ذكر أهمها :

بالنسبة للمصادر المحلية فهي على قتلها فإنها تعبر عن الحالة التي عانت منها البلاد من الإحتلال الإسباني لبعض المدن الساحلية نذكر منها :

كتاب "غزوات عروج و خير الدين "لمؤلف مجهول و فيه تحدث عن قدوم عروج و خير الدين إلى الجزائر ثم تعرض إلى مختلف الحملات الإسبانية على الجزائر .

و "كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني "لابن سحنون الراشدي الذي كان مرافقا لجيش فتح وهران سنة 1791 م و كان من المقربين للباي محمد الكبير ،و كتاب "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية "لابن زرفة ،الذي نشره الدكتور حساني مختار مع كتاب فتح وهران للجامعي .

و كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت حكم الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر "لبعد القادر المشرفي ،و هو مصدر أساسي لدراسة القبائل المتعاونة مع الإسبان ،و بين موقف الشرع من أفعالها .

و كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية "لابن ميمون الجزائري و الذي خصصه للفتح الأول لمدينة وهران سنة 1707 م .

كما يكتسي كتاب "القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم "للطيب بن المختار الغريسي أهمية بالغة بحيث مكننا من معرفة مواطن قبائل الحشم إضافة إلى معرفة كثير من قبائل الجهة الغربية للجزائر.

و ما يلاحظ عن المؤلفات المحلية ،فإنها تتناول الجانب السياسي و المتمثل على الخصوص في العدوان الإسباني و أهملت نوعا ما الجانب الاجتماعي ،و في كثير من الأحيان فإنها تغفل عن التطرق إلى بعض القضايا التي تتعلق بالغزو الإسباني أو السياسة التي انتهجوها خلال بقائهم في المناطق التي تمكنوا من احتلالها .

و بالنسبة للمصادر باللغة الإسبانية المعربة أو المترجمة إلى الفرنسية فهي عديدة أهمها ما كتبه الجندي دييغو سواريز (Diego Suarez Montanes) الذي عاش بين القرنين السادس عشر و السابع عشر ،و كتابات دييغو دي هايدو (Diego de Haedo) " Histoire des rois d’Alger " و الذي كان قد زار الجزائر خلال القرن السادس عشر ،و ترك وصفا للوضع السائد في الجزائر في بداية الاحتلال الإسباني ،و دراسة ساندوفال (Sandoval) المتعلقة بوهران و المرسى الكبير .

كما اعتمدت أيضا على كتاب "إفريقيا "لمارمول كاربخال (Marmol Carvajal) الذي تناول الوجود الإسباني في الجزائر في بدايته .

و هناك عدة دراسات كتبها قادة إسبان عاشوا في وهران خلال فترة الاحتلال ،سلطت الضوء على بعض المظاهر التي كانت تمر بها المنطقة الغربية من الجزائر و علاقات الإسبان مع قبائل هذه المنطقة أهمها :

ما كتبه خوزي فاليجو (José Vallejo)الذي كتب دراسة عنوانها :

(Contribution a l'histoire du vieil d'Oran) تحدث خلالها عن مختلف قبائل المنطقة الغربية للجزائر و كيفية تعاملها مع الإسبان .

و تقرير أرومبورو (Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle) و هو تقرير طويل اشتمل على 61 صفحة نشرها محمد القورصو و ميقيل دي إيبالزا سنة 1978 م ،احتوى هذا التقرير على معلومات هامة تخص العلاقة القائمة بين الإسبان و القبائل المتعاملة معهم و الضرائب التي كان الإسبان يحصّلونها منها .

أما في ما يتعلق بالمصادر باللغة الفرنسية فقد استعنت بمجموعة عديدة من المصادر من بينها كتاب (Histoire du royaume d'Alger) لـ :لوجي دو تاسي ،و كتاب (Alger au 18 ème siècle) لفونتير دو بارادي (Venture de paradis) .

احتوت هذه المصادر على معلومات هامة عن الغرب الجزائري خاصة الحياة الاجتماعية منه و أعطت صورة حول حركية قبائل الغرب الجزائري و أهم أدوارها السياسية و العسكرية و نوعية الضرائب المفروضة عليها و غير ذلك من القضايا المتعلقة بالموضوع .

و بالنسبة للمراجع باللغة العربية فإنها كانت عديدة و متنوعة نذكر منها :

كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 -1792 م لأحمد توفيق المدني الذي تناول فيه الوضع السياسي للجزائر منذ الاحتلال الإسباني لها إلى غاية تحرير وهران الثاني .

و كتاب المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 1519 -1830 م لـ : أرزقي شويتام و الذي تطرق فيه لأهم فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني و علاقتها بالسلطة العثماني .

و أما المراجع باللغة الفرنسية فهي عديدة منها :

كتاب (Histoire d'Oran ,avant pendant et après la domination espagnole) لـ " Fey leon " الذي خصصه لدراسة تاريخ مدينة وهران و أهم الأحداث التي تعرضت لها المدينة قبل و أثناء الحكم الإسباني لها .

و كتاب (De la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger) لـ " Walsin Esterhazy " و الذي اشتمل على معلومات هامة حول منطقة الغرب الجزائري و علاقة قبائل هذه المنطقة بالأتراك العثمانيين .

إضافة إلى العديد من المقالات سواءً المحلية أو الأجنبية ،التي تناولت جوانب مختلفة من العلاقات بين قبائل الغرب الجزائري لكل من الإسبان من جهة و الأتراك العثمانيين من جهة أخرى و هي طويلة يطول المقام لذكرها في هذا العرض .

و قد واجهتني في تناول هذا الموضوع جملة من الصعوبات ،تعود أساسا إلى طبيعة الموضوع فهو من المواضيع الصعبة و الشائكة في آن واحد ،و التي تحتاج إلى الأرشيف الإسباني ،و لم يكن باستطاعتي الحصول عليه،غير أنني استعنت بالوثائق الموجودة في الدراسات العربية و الفرنسية التي تناولت الموضوع ، و أنا في هذا المقام لا أدعي استفاءي لكل ما هو موجود ،و لكل ما كتب في الموضوع ،و حسبي أنني بذلت قصارى جهدي في ذلك ،لأنه مهما سعى المرء في الاجتهاد ،فسوف يتعسر عليه الإطلاع على كل الرصيد التاريخي المتعلق بفترة الموضوع ،كما أن الحقل التاريخي بحث دائم و لا حدود له ،فهو صفحة مفتوحة في للإثراء و الزيادة لكل باحث يريد الكتابة و التأليف .

و ما كانت هذه الدراسة لترى النور لولا استنادها إلى جهود السلف ،و ما هي إلا لبنة تضاف إلى سلسلة الجهود المبذولة لإزالة اللبس عن كثير من جوانب تاريخ الجزائر في العهد العثماني بصفة عامة و الغرب الجزائري بصفة خاصة .

و أملي أن تكون –رغم تواضعها –قد فتحت آفاقا واسعة و جديدة للبحث في التاريخ الاجتماعي الذي لم ينل حظه من العناية بالرغم من الجهود المبذولة ،و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أنوه بالجهود الكبيرة التي بذلها أستاذي المشرف محمد دادة في دعم هذا الاتجاه و تشجيع البحث فيه و إليه خالص شكري و امتناني .

كما لا يفوتني أن أعبر عن خالص شكري و فائق احترامي للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة اللذين تكبدوا عناء قراءة الدراسة من أجل تقويم اعوجاجها و تصويب زلاتها و تهذيب أفكارها و إثراء مضمونها و لله الحمد في البدء و الختام .

مدخل :

أهمية المنطقة الغربية للجزائر في الصراع الإسباني العثماني .

1-أهمية المنطقة الغربية الإستراتيجية و الإقتصادية .

2-أوضاع الغرب الجزائري قبيل الإحتلال الإسباني .

3- الجوسسة الاسبانية في المنطقة.

4-احتلال المرسى الكبير ووهران .

5-ولاء بعض المدن الساحلية للاسبان .

5-1:مدينة تنس .

5-2 :مدينة مستغانم .

5-3: مدينة تلمسان.

6-التدخل العثماني في غرب البحر المتوسط و تأسيس إيالة الجزائر.

تناولت في هذا المدخل أهمية المنطقة الغربية للجزائر الإستراتيجية و الإقتصادية و التي كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت بالإسبان إلى احتلال مدنها الساحلية ،بحيث يعتبر سقوط غرناطة سنة 1492 م إِذناً بنهاية الوجود الإسلامي في إسبانيا ،و هذا بعد سلسلة من حروب الإسترداد التي قادتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي في إسبانيا و حتى في سواحل شمال إفريقيا ،و الذي تبعته حالة من التدهور و الإنهيار و الضعف في أوضاع المغرب الإسلامي .

ثم تطرقت إلى إحتلال وهران و المرسى الكبير من قبل الإسبان ،و أهم تجهيزات الحملة العسكرية لاحتلال المدينتين ، و نتيجة لسقوط مدينة وهرن و المرسى الكبير أعلنت بعض المدن الجزائرية ولاءها للإسبان .

و أخيرا تطرقت إلى كيفية انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية ،و الجهود التي بذلها العثمانيون في الإحتفاظ بالمنطقة الغربية للجزائر و بالتالي ظهور الأتراك العثمانيين كقوة ثانية منافسة للإسبان في غرب الجزائر .

1-أهمية المنطقة الغربية الإستراتيجية و الإقتصادية:

كان البحر المتوسط و ما يزال الى يومنا هذا يتمتع بموقع إستراتيجي هام بالنسبة للقارات الثلاث التي تحيط به ،هذا الى جانب انفتاحه على المحيط الأطلسي في جهته الغربية ،و كانت الدول المطلة عليه تسعى على الدوام لتفوز بمكانة متميزة تجعلها تتفرد بفرض هيمنتها عليه ،أو على الأقل أن يكون لها نصيب في السيطرة على خطوط ملاحة السفن فيه ،أو احتلال المواقع البرية الرئيسية المطلة عليه [1]،كما يكتسي البحر المتوسط أهمية في كونه منطقة حضارية ،ترعرعت على ضفافه حضارات راقية :أمازيغية ، يونانية ، فينيقية ، رومانية ،و عربية اسلامية ،و في كونه طريقا عالميا للتجارة و العبور الدوليين بين أجزاء العالم القديم في العصرين :القديم و الوسيط ،و بينها و بين العالم الجديد في العصر الحديث ،بحيث كان و ما يزال حلقة الوصل بين أجزاء العالم المختلفة .[2]

و من بين الدول المطلة على البحر المتوسط نجد الجزائر ،اذ تتمتع هذه الأخيرة بموقع استراتيجي هام ،فهي تطل على البحر المتوسط من جهة الشمال ،و الأمم المشكلة لعالمه ،و تضرب في أعماق الصحراء الكبرى و تحاذي من جهتها الجنوبية عالما آخر من الأمم الافريقية ،و تحتضنها من جهتي الشرق و الغرب بقية الدول المغاربية ،مما جعلها همزة وصل بين القارتين الافريقية و الأوروبية و قلب المغرب الكبير ،و قد سمحت لها حدودها المشتركة مع عدد من الدول الافريقية ،بأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات .[3]

وانطلاقا من هذه النقطة سعى الإسبان إلى إحتلال الجزائر و كذلك بقية بلاد المغرب الأخرى الواقعة على الضفة الجنوبية لهذا البحر حتى تتمكن من فرض هيمنتها على جزئه الغربي و التحكم في مدخله المتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق الذي بدأ الابحار فيه نحو العالم الجديد ضرورة اقتصادية تستدعي الهيمنة عليه [4].

---

[1] :Fernand Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen a l’époque de Philippe II , T3,Armand Colin ,5 ed ,Paris ,1821,p 323.

[2]:يحي بوعزيز ،علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا 1500 -1830 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،بدون سنة النشر، ص 9 .

[3]: أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني (926-1246 هـ /1519-1830 م)،دار الكتاب العربي ،ط1، الجزائر ، 2009 ،ص16.

[4] : فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية و آثاره (910-1206 هـ/1505-1792 م) ،دار هومة ،الجزائر ،2012 ، ص 33.

و من بين المناطق التي إحتلها الإسبان المنطقة الغربية للجزائر بحيث تتمتع هذه المنطقة بتضاريس متنوعة ،بحيث نجد من البحر الى الجنوب مجموعة متنوعة من جبال ،سهول و هضاب و على العموم يتألف الغرب الجزائري من التضاريس التالية :

- الأطلس التلي الغربي :يتميز بانقساماته و نسبة جفافه ،هذا الانقسام ناتج عن تواجد سهول و أحواض تحيط بها السلاسل الجبلية و التي لا تتعدى 1900 م.

- مرتفعات وهران ،الظهرة و جبال مليانة و التي تشرف على البحر الأبيض المتوسط و تقف حاجزا يفصل البحر عن السهول المنخفضة :سهول سبخة وهران ،المقطع ،الشلف هذه السهول المنخفضة يعزلها عن الأحواض الداخلية لكل من مغنية ،سيدي بلعباس، معسكر عن طريق السلاسل الضيقة التي تمتد من جبال ترارة الى غاية الونشريس .[1]

و قد أشار الوزان الى مدى خصوبة المنطقة الغربية للجزائر قائلا :"السهول القريبة من الساحل منتجة جدا ،نظرا لخصبها و الجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات "[2]،وقد وصفها أيضا يحي ابن خلدون بقوله :"انها أعدل الأرض مزاجا و أفضلها نتاجا ما بين افريقية و السوس الأدنى على المغرب الأقصى "[3]،كما تتوفر هذه المنطقة على مصادر وفيرة للمياه تتمثل في الأمطار و العيون و الينابيع ،منها نهر الشلف الذي يصب عند مستغانم.[4]

و يصفها العبدري بقوله : "إن الدّائر بالبلد كله مغروس بالكروم و أنواع الثّمار " [5]،و يقول عنها الزَّهري:" كثيرة الزّرع و الضّرع "[6] .

---

[1]:الواليش فتيحة ،الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر،1993-1994 ، ص 36.

[2]:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،وصف افريقيا، ترجمة من الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر،ج2،ط2،دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1983 ،ص30.

[3]:أبي زكريا يحي ابن خلدون ،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، ج1 ،الجزائر ،1903، ص 84 .

[4]:مصطفى علوي ،صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة و الجغرافيين المغاربة ما بين القرنين 7 و 9 الهجري /13 و 15 ميلادي ، رسالة ماجستير ،جامعة سيدي بلعباس ،2006/2005 ،ص 78 .

[5]: العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد ،الرحلة المغربية ، تحقيق و تعليق محمد الفاسي ،جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1968 ص 14 .

[6]: بركات إسماعيل ،الدرر المكنونة في نوازل مازونة (أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني) –ت 883 هـ /1478م – دراسة و تحقيق ، الجزء الأول ،مذكرة ماجستير ،جامعة منتوري قسنطينة ،2009 /2010 ، ص 41 .

كما تمتعت تلمسان بثروة مائية هائلة ،إذ تذكر المصادر نهري تافْنَا و سْطَفْسِيف :" و كان لها ماء مجلوب من عمل الأوّل من عيون تسمى لُورِبط " ،" و ما جاورها من المزارع كلُها تسقى منه " [1].

يتصف القطاع الوهراني بكونه منطقة سهلة الاختراق،رغم تنوع التضاريس إلا أن هذا التنوع لا يجعل عملية التنقل صعبة ،و لا يقف حاجزا أمام الحركة في مختلف اتجاهاتها ،بل رغم التنوع و الحواجز الطبيعية عُرِّف القطاع الغربي عن باقي المناطق و المقاطعات كأرضية تنقل و التقاء لمختلف التيارات سواء على المستوى البشري أو المنتوجات و ذلك منذ أقدم العصور. [2]

نتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام الذي عرفته المنطقة الغربية للجزائر فان أهم مدنها عرفت نشاطا اقتصاديا ملحوظا خلال القرن الخامس عشرميلادي ،فبالنسبة لوهران فإنها ظلت تحتفظ بمركزها الاقتصادي و كذلك الثقافي ،فأُنشأت فيها الفنادق و الوكالات التجارية ،و ازدهرت فيها الحركة التجارية،فكانت تفد اليها من الجنوب قوافل الصحراء تحمل معها بضائع المنطقة ،في حين كانت ترسوا في مينائها السفن التجارية القادمة من مدن أوروبا مثل البندقية و جنوة و مرسيليا و ألميرية و برشلونة و غيرها .[3] و بذلك كانت المدينة بمثابة المحطة التجارية التي تحط فيها بضائع الصحراء و البضائع الآتية من البحر ،و قد ساهم هذا التواصل في ازدهار بعض الصناعات ،مثل صناعة الصوف و السيوف و الخناجر و الأدوات الطينية و الخشبية ،وقد لخص لنا الحسن الوزان الذي زار المدينة الحياة الاقتصادية بقوله :"وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون[4]، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط ...و بها من البنايات و المؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة ،من مساجد و مدارس و ملاجئ و حمامات و فنادق ...و كان معظم سكانها من الصناع و الحاكة ...أهلها ظرفاء كرماء يحبون الغرباء ،كانت وهران مهبط التجار القطالونيين و الجنويين. "[5]

---

[1]: بركات إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 42 .

[2]:الواليش فتيحة ،مرجع سابق، ص37.

[3]:يحي بوعزيز ،وهران ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الرغاية ،الجزائر ،1985 ،ص58.

[4]:كانت طريقة الاحصاء السائدة في الجزائر هي الكانون ،نعني بها الأب و الأم و الأولاد ،و كلما تزوج أحد الأبناء شكل كانونا.

[5]: الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،مصدر سابق ، ص30.

و قد وصف الزياني مدينة وهران فقال :"هي مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي عظيمة ،ذات مساحة و فخامة جسيمة ،و بساتين و أشجار و مياه عذبة و أطيار ،وحبوب عديدة و فواكه و خضر جديدة ،و بروج مشيدة و قصور معددة ."[1]

و نظرا لأهمية موقع المرسى الكبير و إتساع خليجه ،أقيم فيه حصن دفاعي يعود الى القرن 7ه /13 م ،وهذا ما شجع السفن التجارية الأوروبية على اعتباره محطة رئيسية في البحر المتوسط و منذ بداية القرن 9ه/15 م ،أصبح المرسى الكبير مركزا رئيسا للتبادل التجاري بين الدول المتوسطية الأوربية كالبندقية و جنوة و بين بلاد المغرب الأوسط .[2]وقد وصف الحسن الوزان ميناء المرسى الكبير بقوله :" ما أظن أن في الدنيا أكبر منه ،يمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب و السفن الحربية في مأمن من كل عاصفة و إعصار "[3]كما تكمن أهمية المرسى الكبير في موقعه الاستراتيجي العسكري الذي يمثل البوابة الرئيسة لوهران أو المنفذ لها نتيجة لاعتبارات عديدة منها :قوة تحصين برجها المطل على الميناءين و صلاحية رسو المراكب بها .[4]

أما بالنسبة لمدينة هنين الساحلية[5] فإنها كانت تحتل موقعا جغرافيا ممتازا بين الصخور ،التي تحمي السفن الراسية فيه من الرياح و الأمواج ،سواء تلك القادمة من الناحية الغربية أو من الناحية الشرقية .[6]و ميناء هنين صغير محروس ببرجين ،غير أنه هام حيث تقصده سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان[7] ، و نظرا لأهمية موقعها ،لعبت هنين دورا تجاريا هاما بالنسبة لمملكة تلمسان مع الدول الأوروبية مثل المدن الايطالية و فرنسا،و كذلك إسبانيا خلال العصور الوسطى [8] ،و قد وصف مارمول وضع المدينة و نشاطها في العبارات التالية :"كانت فيها

---

[1]:محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،ط 2 ،الجزائر،2007 ،ص 25.

[2] :Mas Latrie ,Aperçue des relations commerciales de l'Italie septentrionale avec l'Algérie au moyen âge ,Imp Royale ,Paris ,1845 ,p31.

[3]:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،مصدر سابق،ج 2 ،ص 31.

[4]:بلبوري سيد أحمد ، الاحتلال الاسباني الأول لوهران و انعكاساته الاجتماعية السياسية و الاقتصادية ،أطروحة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ ،جامعة وهران ،سبتمبر 1985، ص 78.

[5]:مدينة ساحلية تقع بين بني صاف و الغزوات ،على بعد 60 كلم شمال غرب تلمسان .

[6]:صاري جيلالي،أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين) ،مجلة التاريخ ،المركز الوطني للدراسات التاريخية ،الجزائر ،العدد 12 ،1986،ص18.

[7]: الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،مصدر سابق ،ج 2 ،ص 15.

[8] :Marcais Georges ,Recherches d'archéologie ,Honaine , R.A,T28 ,1928 ,pp 341-342.

المساجد حسنة البناء ،و الدور آهلة بالتجار و الصناع ،إذ كانت سفن البندقية تنحدر اليها كل سنة عند ذهابها إلى تلمسان ،خاصة منذ أن إحتل الكاردينال خمينيس وهران و المرسى الكبير ،فكان تجار تلمسان يذهبون اليها ليتعاملوا مع تجار البندقية فكانت آهلة بالسكان تصنع فيها أقمشة جميلة و أنسجة أخرى من القطن "[1] .

و فيما يخص مدينة مستغانم فإن أكثر ما تتميز به هذه المدينة هو مينائها الذي يعود استعماله إلى عهد الفينيقيين [2] فقد وصفها مارمول بأنه يوجد" لمدينة مستغانم مرسى جيد "[3]و كانت كانت ذات أعين و بساتين و مياه ،و كانت أرضها تصلح لزراعة القطن [4]، لها نسيج عمراني لا يختلف عن الطابع العمراني الذي تميزت به المدن الساحلية الجزائرية الأخرى خلال تلك الفترة ،وصفها الحسن الوزان بقوله :" فيها مسجد في غاية الحسن و صناع كثيرون ينسجون الأقمشة ،ودورها جميلة و سقايتها عديدة ،يخترقها جدول ماء يحرك الطاحونات. "[5]

أما مدينة تنس الساحلية فإنها كانت تتمتع بنشاط اقتصادي و سياسي ملحوظ ،فقد وصف مارمول أحوالها السياسية و الاقتصادية ببقوله :"هي عاصمة هذه المنطقة منذ القديم ،تحصنها أسوار و قلعة كان بها قصر الأمير ...سكان هذه المدينة لهم تجارة واسعة مع الأجانب الذين يجلبون من هذه الناحية القمح و الشعير و غيرها من السلع الأخرى فيحملونها الى الجزائر و الى غيرها من الآفاق ،ذلك لأن هذه البلاد كثيرة الزروع و الخصب و المرعى و العسل و الشمع ،و توجد قبالة المدينة جزيرة صغيرة تحتمي عندها السفن إبان هبوب العواصف إذا تعذر عليها البقاء في المرسى ".[6]

و بالنسبة لمدينة تلمسان فإنها كانت تعتبر المدينة الرئيسية لمنطقة الغرب الجزائري ،و كانت التجارة بها رائجة نتيجة لموقعها الجغرافي الاستراتيجي. [7] بحيث تقع تلمسان في الشمال الغربي من

---

[1]:مارمول كاربخال ، افريقيا ،الجزء 2،ترجمة محمد حجي و آخرون،دار المعرفة ،الرباط، 1989،ص296.

[2]:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،مصدر سابق ،ج2 ،ص32.

[3]:مارمول ،مصدر سابق ،ج2 ،ص350.

[4]:مولاي بلحميسي ،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ط 2، الجزائر ،1981 ص 46.

[5]:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،مصدر سابق ،ج2 ،ص32.

[6]:مارمول ،مصدر سابق ،ج2 ،ص 354.

[7]: عبد القادر فكاير ،الغزو الاسباني،مرجع سابق ،ص 225.

المغرب الأوسط ،تحيط بها الجبال و الهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية [1] كما تقع بين ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق و الغرب من جهة ،و بين الشمال و الجنوب من جهة أخرى ،مما جعلها تفتح أبوابها لتجارة أوروبا و تجارة المغرب و المشرق .[2]

و في نهاية القرن السابع الهجري (13 م) عرّف العبدري تلمسان في رحلته فقال :"و تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور ،و لها جامع مليح متسع و بها أسواق قائمة ،و أهلها ذو ليانة و لا بأس بأخلاقهم ،و بظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعُباد و هو مدفن الصالحين و أهل الخير و به مزارات كثيرة ،و من أعظمها و أشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة أبي مدين رحمه الله ،و عليه رباط مليح مخدوم مقصود ،و الدائر بالبلد كله مغروس بالكرم و أنواع الثمار ،و سوره من أوثق الأسوار و أصلحها ،و به حمامات نظيفة... و هذه المدينة بالجملة ذات منظر و مخبر و أقطار متسعة و مبانيها مرتفعة ... ".[3]

[1]: مريم هاشمي ،العلاقات الثقافية بين تلمسان و بجاية ،رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي ،جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2010 ،ص 11.

[2]: نفسه ، ص 12.

[3]: العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد ، مصدر سابق ،ص 27 -28 .

2- أوضاع الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الإسباني :

عرف سقوط دولة الموحدين تقسيم بلاد المغرب العربي الى ثلاث دويلات هي على التوالي: دولة بني حفص[1] في تونس و دولة بني زيان[2] بالمغرب الأوسط (الجزائر) و دولة بني مرين [3] بالمغرب الأقصى.[4] ولقد ساد هذه الدويلات الثلاث التطاحن و الشقاء سواء من الخارج أو الداخل فتونس الحفصية كانت تعاني من خطر الاسبان خاصة من ناحية صقلية و نابولي،و في المغرب الأقصى كان بني وطاس في صراع مع السعديين على مدينة فاس،و هكذا فقدت المدينة مجدها و انشغلت بالفوضى الداخلية و نزاع السلالات.[5]

و في نهاية القرن الخامس عشر كانت الفوضى السياسية و الاضطرابات ،و تداخل الممالك بعضها ببعض ،قد بلغت في الشمال الافريقي مبلغا لا يمكن أن نلخصه في صفحات ،و إن الانسان ليصاب بنوع من الذهول و هو يتلو قائمة الممالك و الامارات التي اقتسمت رقعة هذا الشمال الافريقي.[6] فقد كانت الحدود السياسية للبلاد في ذلك العهد غير ثابتة ،فقد كان جزء كبير من شرق

---

[1]:دولة بني حفص :تأسست عام(626 ه -982 ه) (1229 م-1574 م) نسبة الى أبي حفص عمر بن يحي المنتائي و قد اتسع حكمها تونس و الجزائر الشرقية حيث دخلت قسنطينة وعنابة و حتى بجاية في حكمها انظر :

- محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار ،المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ،دار المسيرة ،ط 3،بيروت ،1993، ص201.

[2]:دولة بني زيان،أو دولة بني عبد الواد تأسست عام (633 هـ- 1235 م) نسبة الى زيان بن ثابت،عاصمتهم تلمسان أنظر :

- محمد بن عبد الله التنسي ،تاريخ بني زيان ،ملوك تلمسان ،مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان ،تحقيق محمود بوعباد المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1985، ص 111.

[3]:دولة بني مرين :قوم من البدو و كانوا أعزاء على الدولة المؤمنية،دخل بهم كبيرهم عبد الحق بن محيو تل المغرب الأقصى سنة (610 ه- 1213 م)على حين ضعف الدولة و أعلن الحرب عليها سنة (613 ه – 1216 م)،قتل سنة (614 هـ-1217 م) فخلفه ابنه عثمان ،يعتبر يعقوب ابن عبد الحق مؤسس الدولة فهو الذي فتح مراكش سنة(668 هـ-1269 م) وتلقب بأمير المؤمنين أنظر :

- علي ابن أبي زرع الفاسي ،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة و الوراقة ،الرباط ، 1972 ، ص ص 30-37.

[4]: أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492 – 1792 م ،دار البصائر,الجزائر,الطبعة الأولى,2007 ص 64 .

[5] : يلماز أوزتانا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : عدنان محمود ، مراجعة : محمد الأنصاري ، مؤسسة فيصل للتمويل ، ج1، إسطنبول ، 1988، ص ص 230 232 .

[6] : Fernand Braudel ,les espagnols en Afrique du nord ,R. A ,1928,N 69 ,p212 .

الجزائر الحالية و جنوبها الشرقي تحت حكم أمراء حفصيين ،وكانت حدود الدولة الزيانية تمتد من بجاية و الزاب وورقلة شرقا الى نهر ملوية غربا. [1]

لقد ساهمت في تلك الاضطرابات عدة عوامل نذكر منها ضعف الملوك و التطاحن العائلي في الأسر الحاكمة من أجل الفوز بالحكم ،فكان الخصام بينهم قد دفع بعضهم الى الاستجارة بالأنصار لمحاربة السلطان القائم ،فكان الأبناء يثورون و يخلعون آبائهم ،كما كان الأبناء يحاربون بعضهم بعضا لاقتسام ملك أبيهم ،كما استغلت بعض القبائل –التي كانت تحظى بشبه استقلال في أراضيها –تلك الأوضاع، فكلما شعرت بضعف الملوك زادت من حدة عصيانها و تمردها و تحديها للسلطة القائمة ،فلم يكن يعنيها سوى مصالح القبيلة [2] .

فعندما تعرضت الجزائر للاحتلال الإسباني في بداية القرن السادس عشر كانت مجزأة الى حوالى خمسة عشر كيانا [3]،تهيمن عليها القبائل ،فكانت قبيلتا سويد و بني عامر تسيطران على معظم سهول وهران و كان آل المقراني يهيمنون على منطقة القبائل الصغرى (وادي بجاية) حيث كانت قاعدة إمارتهم قلعة بني عباس ،تحولت فيما بعد الى مجانة و القبائل الكبرى ،تحت تصرف آل بن القاضي ،و مقر إمارتهم جبل كوكو أما مدينة الجزائر و سهول متيجة فكانت منذ القرن الرابع عشر ميلادي تحت سلطة الثعالبة تتعرض لنفوذ الزيانيين تارة و لملوك بني حفص تارة أخرى ،إلى أن إستقلت بأمرها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر و كان الشيخ عبد الرحمان الثعالبي أحد رجال حكمها.[4]

و للتعرف أكثر على أوضاع المنطقة الغربية للجزائر قبيل الاحتلال الإسباني يجدر بنا التطرق الى أكبر التنظيمات السياسية التي كانت قائمة آنذاك ألا و هي الدولة الزيانية.

---

[1]:عبد القادر فكاير ،الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر ،رسالة ماجستير جامعة الجزائر 2000 - 2001، ص18.

[2]:للإطلاع على علاقة القبائل بالدولة الزيانية أنظر :

- حساني مختار ،الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للدولة الزيانية ،رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ،1986 ،ص 34 و ما بعدها .

[3]:جمال قنان ،معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1987 ،ص16.

[4]: ولد سنة(786 ه-1384 م)، لم يكن دوره في الزهد و التصوف فقط بل كان له دوره السياسي في التحريض على الجهاد و الوقوف في وجه النصارى ، توفي سنة(876 ه - 1471 م).

تقع الدولة الزيانية في المغرب الأوسط الذي يتوسط المغرب الأدنى شرقا و المغرب الأقصى غربا [1] أما عن حدودها السياسية فإنها لم تكن ثابتة ،بل كانت تتقلص و تتمدد حسب ظروف إستعداد ملوكها و قوتهم العسكرية و الاقتصادية ،و إستقرار أمنهم [2]،حيث كان يحدها شمالا البحر المتوسط ،و جنوبا واد الكبير و صحراء نوميديا ،أما غربا كان يفصلها عن الدولة المرينية نهر ملوية[3] و وادزا[4] ،و شرقا تحدها إفريقية (تونس) [5].

إن المتتبع لتاريخ الدولة الزيانية في نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر يجد أنها كانت تتميز بالتناحر بين أفراد الأسرة الحاكمة ووقوعها تحت التأثيرات المرينية أو الحفصية نظرا لموقعها الجغرافي بين المملكتين السابقتين ،فقد وجد ملوك تونس و كذلك ملوك بني مرين في تلمسان الظروف المناسبة لزرع الفتن و اكتفوا في بعض الأحيان بتأييد الطامعين من أفراد العائلة الحاكمة في العرش، فيدفعونهم الى الثورة ضد من هو في العرش .[6]

و قد إستقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة[7] ،وكانت الغارات على تلمسان قبل بداية القرن القرن السادس عشر تّشن من الغرب أو من الشرق و قد احتلها بنو مرين و بنو حفص مرارا عديدة تحقيقا لأحلامهم التوسعية [8]،بحيث احتلت من قبل ملوك فاس – أي بني مرين - نحو عشر مرات،و مرات،و كان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل أو الأسر او الفرار ،و تعرضوا أحيانا أخرى الى الطرد من قبل ملوك تونس إلا أنهم كانوا يسترجعون ملكهم كل مرة.[9]

و في سنة 1462 م قام أحد أمراء الدولة الزيانية و هو محمد بن أبي ثابت الملقب بالمتوكل على لله بالقيام بثورة، و تمكن من الاطاحة بحكم أبيه الملك أبو العباس أحمد ،حيث يصف لنا

---

[1]: شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي ،عصر الدول و الامارات ،الجزائر ،المغرب الأقصى ،موريتانيا ،السودان ،دار المعارف القاهرة ،ط1 بدون سنة النشر ،ص 19.

[2]:عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 2002 ،ص 43 .

[3]:نهر ملوية :هو نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى يصب الى نهر سلجماسة ،و يصيران نهرا واحدا يجري حتى يصب في بحر الروم شرقي سبتة .

[4]:نهر وادزا :تذكره بعض المصادر بواد صاع الذي يقع الى واد ملوية و يصبان الى البحر .

[5]:مارمول كربخال ،مصدر سابق ،ص 291.

[6]:البوعبدلي المهدي ،أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ،الأصالة وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ،العدد 8 ،الجزائر ،جوان 1972 ،ص276.

[7]:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، مصدر سابق ،ج 2 ،ص8.

[8]:مولاي بلحميسي ،نهاية دولة بني زيان ،الأصالة ،جويلية 1975،العدد 26 ،ص 31.

[9]:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق،ص 8.

التنسي تلك الثورة فيقول :"و لما كانت سنة ستة و ستون (أي سنة 866 هـ/الموافق لسنة 1462م) نهض مولانا المتوكل من مليانة متوجها إلى الغرب و النصر أمامه ،فاستولى على وطن بني راشد ثم على هوارة ،ثم إفتتح مستغانم و مزغران ،ثم عمد الى وهران فافتتحها ،ثم توجه إلى تلمسان ،فأقام عليها يومين و دخلها في ثالث أول يوم من جمادي الأولى من السنة المذكورة ،ففر الأمير أحمد الى العُبّاد[1] و إستحضر بقبر الولى القطب الغوث شيخ الشيوخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري"[2] ،و بعد ذلك أبعد الى الأندلس حيث سعى هناك إلى تكوين جيش عاد به إلى تلمسان فحاصرها لمدة أسبوعين ،لكنه لم يتمكن من فتحها فقتل في معركة وقعت بينه و بين جيش المتوكل في أوت 1463 م.[3]

و بعد المتوكل عرفت الدولة الزيانية فترة من الضعف ،حيث تجددت الفتن العائلية على الحكم ، فبعد وفاة المتوكل سنة 1485 م خلفه إبنه أبو تاشفين ،و بعد أربعين سنة من الحكم خلعه أخاه أبو عبد الله محمد الثابتي ،الذي تميز عهده بالاضطرابات ،حيث أخذت بعض المدن تستقل بأمرها مثل تنس و الجزائر كما أخذت بعض القبائل تنظم إلى أعدائه كلما هاجموا أراضي المملكة .[4]

كانت الدولة الزيانية في هذه الفترة وصلت الى أقصى درجة من الضعف و الانحلال فأخذ الإسبان يحتلون موانئها و أطرافها تمهيدا لإحتوائها في النهاية وفق[5] مخطط استعماري مدروس فبعد أن أن وصل إلى تلمسان آخر أمراء بني الأحمر بغرناطة أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل ،عبر وهران بدأت التهديدات الإسبانية تظهر في الأفق ضد تلمسان و إضطر الأمير الزياني محمد السابع أن يذهب بنفسه إلى إسبانيا ليطمئن فرديناند الخامس و يقدم له الهدايا استرضاء له.[6]

---

[1]:قرية تبعد عن تلمسان شرقا بحوالي 2 كيلومتر .

[2]:محمد بن عبد الله التنسي ،مصدر سابق ، ص 254.

[3]:عبد القادر فكاير ،الصراع الجزائري الاسباني ،مرجع سابق ،ص 22.

[4]:عبد الحميد حاجيات و آخرون ،الجزائر في التاريخ (العهد الاسلامي) ،الجزء 3 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984، ص 455.

[5]:يحي بوعزيز،موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب،دار الهدى،الجزء الأول ،الجزائر،2009، ص87.

[6]: نفسه ،ص 88.

3-الجوسسة الإسبانية في المنطقة :

كانت مملكة تلمسان خلال هذه الفترة تعاني من ضعف داخلي خطير بسبب النزاع الداخلي بين أمرائها على كرسي الحكم ،و قد شجع هذا الإسبان على تطبيق مخطط عملي للنيل من هذه الدولة،منها الأعمال التجسسية [1]بحيث بدأت هذه الأعمال على المنطقة الغربية للجزائر عقب سقوط مملكة غرناطة إذ عينت الملكة ايزابيلا لورينثو دي باديا (Lorenzo de Padilla) حاكم مدينة القلعة في مهمة سرية تجسسية تتمثل في استطلاع أحوال تلمسان و توابعها التي لجأ إليها الكثير من الأندلسيين ،فذهب إلى هذه المملكة خلال سنة 1493 م متنكرا في صورة تاجر من أهل البلد ،و إستقر بها لمدة زمنية تجاوزت السنة تكمن خلالها من رصد أخبار هامة عن المنطقة ،و جمع المعلومات الضرورية للقيام بأعمال الغزو الذي كان بصدد التحضير له.[2] مما جاء في تقريره :"أن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة ".[3]

غير أن نصيب المهمة التجسسية لم يكن بالحد الكافي لبدء عملية الإحتلال ،وعلى أية نقطة يمكن اتخاذها قاعدة أمامية و لحسم الموقف وقع اختيار ميناء هنين كمرحلة أولى ،ثم ميناء دلس وكان سبب هذا الاختيار راجع إلى نوعية العلاقة ما بين نائب ملك مايوركا و أهالي الميناءين السالفين ،وكمنفذ للخطة يبعث بمارتان (Martin de Robles) على هيأة تاجر خاص لشراء الخيول ،فيندس عبر هذه المراكز لكن معلوماته المستقاة لم تكن على حد بالغ الأهمية .[4]

و في تلك الأثناء يبرز تاجر إيطالي على علم تام بمجمل الساحل ،نظرا لتحركاته و تعاطيه للتجارة يدعى جيروم فيانلي (Geronimo Vianelli)، الذي كان عارفا بخصوص الرحلات إلى شمال إفريقيا و على إطلاع واسع بسواحلها ،وكان يعلم بحب الملكة ايزابيلا للأحجار الكريمة النادرة و الكبيرة الحجم، بحيث و في طريق عودته من إفريقيا قدم لها صليب ذهبي غني بالأحجار

---

[1]:عبد القادر فكاير ،الغارات الاسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ،عصور جديدة،العدد 2 ،2011،ص213 .

[2] :Sandoval c x ,les inscriptions d’Oran et de mers-el-kebir, traduit par Dr.Monnereau, R A ,1871,T 15,p178 .

[3]:جون ب وولف ،الجزائر و أوروبا ،ترجمة أبو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986، ص 24.

4 : بلبوري سيد أحمد ، مرجع سابق ،ص 72.

الكريمة مقابل ثمن كبير و بعد ذلك التقي بخمينيس و قدم له ألماسة بثمن 5000 اكو ذهبي[1]،كما أن فيانلي كان يعلم بأن خمينيس اقترح تنظيم حملة ضد إفريقيا فنصحه باختيار المرسى الكبير نظرا لأهمية الموقع و الامتيازات التي يتمتع بها كبوابة رئيسية للدخول الى وهران ،مقدما للكردينال خيمينيس خارطة طبوغرافية عن أوضاع كل من المرسى الكبير و وهران .[2]

و في سنة 1494 م أرسل فرديناند جاسوسا آخر يدعى فيرناندو دي زافرا (fernando de zafra) الذي كان كاتبا للملكين الكاثوليكيين ،فقد سبق له أن كلف منذ سنة 1492 م بمراقبة حركة الأندلسيين المهجرين إلى السواحل الافريقية ،كما سمحت له الظروف بالإطلاع على أحوال القبائل الساحلية الخارجة عن طاعة مملكة تلمسان .[3] و في نهاية مهمته أرسل هذا الجاسوس تقريرا إلى سيده يبلغه فيه عن حالة الفوضى السياسية و الاضطرابات التي كانت تتخبط فيها المملكة.[4]

استغلت الملكة ايزابيلا تلك المعلومات و قررت تنفيذ مشروع الغزو لمملكة تلمسان فأعدت جيشا بلغ عدده 12000 جندي،ترأسه "دي تينديا "(De Tendilla)الحاكم السابق لغرناطة غير أن موتها في سنة 1504 م، قد عطل تنفيذ مخططها .و لكن رغبتها لم تذهب أدراج الرياح بل ظلت موجودة ضمن وصيتها[5]،التي تكفل بتنفيذها زوجها الملك فيرديناند و الكاردينال خمينيس و تمكن الإسبان إثر ذلك من إحتلال المرسى الكبير ووهران ،و فرض سيطرتهم على مدن أخرى بواسطة المعاهدات.[6]

---

[1] :Nelly Blum ,la croisade de Ximènès en Afrique ,imprimerie typographique et lithographique L FOUQUE ,rue Tbuillier , 4(place Kleber),1898 ,p4

[2] :Ipid ,p5.

[3] :Fernand Braudel ,Op Cit ,R. A ,1928,N 69 ,p217.

[4]:فكاير عبد القادر ،الغارات الاسبانية على مدينة تلمسان ،مرجع سابق ،ص232.

[5]:ابن أشنهو عبد الحميد،دخول الاتراك الى الجزائر،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،1972،ص 14.

[6]:عبد القادر فكاير،الغزو الإسباني،مرجع سابق ،ص 117.

4-احتلال المرسى الكبير و وهران :

أ -احتلال المرسى الكبير :

كان لضعف دولة بني زيان تأثير سيئ على أوضاع المغرب الأوسط ، فقد انقسمت على نفسها إمارات صغيرة ، متفككة متناحرة ، مثلا إمارة جبل كوكو[1] بالقبائل، وإمارة بني حفص بقسنطينة وبني جلاب بتوقرت وواد ريغ ، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة ،و شجع الاسبان بشكل كبير هذا الانحلال و الضعف، وذلك لتسْهل عليه مهمة غزو موانئ و مدن الساحل المتوسطي بشكل خاص و المغرب العربي بشكل عام.[2]

من بين المدن الساحلية التي إحتلها الاسبان المرسى الكبير بحيث كانت مجمل الظروف السياسية و الاجتماعية لسكان المغرب مواتية لاجتياح صليبي اسباني و ذلك من خلال التقارير المرسلة الى الملك فرديناند عن طريق الجواسيس الأعين التي بثها قبل بداية الحملة .[3]

فقد كانت الخريطة السياسة لشبه الجزيرة الإيبرية في القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع هجري) تتألف من عدة كيانات سياسية ،تمثلت في مملكة قشتالة ،و مملكة الأرغوان ،و مملكة النفار و البرتغال و هي ممالك مسيحية ،و الى جانب منها مملكة غرناطة الاسلامية .[4]

و في سنة 1469 م تزوج فرديناند ،ملك الأرغون ، إيزابيلا ، ملكة قشتالة و بهذا الزواج توحدت المملكتان في الأهداف و المسعى ،إذ توسعتا داخل المحيط الإسباني ،و ذلك بالقضاء على مملكة غرناطة الاسلامية ،و خارجه في البحر الأبيض المتوسط ببسط نفوذهما على ممراته.[5]

---

[1]: إمارة جبل كوكو : وهي إحدى الفروع المنفصلة عن إمارة الدولة الزيانية ، وكان يحكمها رجل اسمه ابن القاضي ، وهي القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى ، وكانت لهذه الشخصية أحداث عظيمة مع القائد خير الدين ، أما القسم الشرقي من تلك الجبال فكان يحكمه الأمير عبد العزيز الحفصي ، وعاصمته قلعة بني عباس وكان النزاع قائما بين الإمارتين لمدة زمنية طويلة .

[2]: يحي ، بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر – جزائر حديثة – ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1965، ص 254- 255 .

[3]: بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ، ص73.

[4]: حنيفي هلايلي ،أبحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر ،2010، ص 30.

[5]: نفسه ،ص35 .

و بزواج فرديناند من ايزابيلا ،و بعد القضاء على آخر قلعة اسلامية بغرناطة عام 1492 م و انضمام إقليم النفار إلى المملكة سنة 1512 م ،تحقق حلم الوحدة الاسبانية بسرعة فائقة ،و من جراء ذلك تولدت أسطورة إسبانيا (الإمبريالية).[1]

و مهما كان الأمر، فإن فرديناند و إيزابيلا إختارا لقب (الملكين الكاثوليكيين)، و هذا ما يفسر مدى التعصب الديني و الرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين و إبعاد حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الايبيرية .و كان هذا وراء التحرشات الإسبانية و البرتغالية على سواحل شمال إفريقيا خلال القرن الخامس عشر و طوال القرن السادس عشر ،في إطار الحرب الصليبية المقدسة ،التي كان يغذيها رجال الكنيسة الكاثوليكية .[2]

و كانت المنافسة بين البرتغاليين و الإسبان في التوسع على هذه المنطقة قد تسببت في حدوث توترات بين البلدين ،لولا تدخل البابا إسكندر السادس ،حيث أسفرت جهوده إلى إنعقاد مؤتمر جمع بين ملك البرتغال خوان الثاني ،و ملك إسبانيا فيرديناند ،في مدينة تورديسياس (Tordesillas) في يوم 7 جوان 1494 م،و تم خلال هذا المؤتمر تحديد مناطق نفوذ البلدين ،و ذلك بإعتبار جزر الأزور حدا فاصلا لنفوذهما ،فمجال البرتغال يقع غرب الجزر ،أما مجال إسبانيا يقع شرقها .[3]

ولكن إسبانيا لم تسارع الى تنفيذ سياسة الإحتلال في منطقة نفوذها ،بعد الإتفاق مع البرتغال مباشرة و ذلك لبروز بعض ملامح الإختلاف داخل الأسرة الملكية الحاكمة أي ما بين فرديناند و ايزابيلا حيث لوحظ تباعد في تفكير سياسة التمركز بالشرق الأوروبي حفاظا على نفوذها بإيطاليا و مواصلة سياسة التثبيت و البقاء نظرا لإعتماد إسبانيا الملِّح في تموينها على قمح إيطاليا و صقلية .[4]

و كان تحسس ايزابيلا الشديد باديا في تطلعاتها العسكرية خارج الرقعة الايبيرية قصد ملاحقة المسلمين في المغرب ،مدعمة في ذلك بمساندة و تأييد أسقفها الكبير خمينيس و نتيجة لهذه الاختلافات الحادة ظلت ايزابيلا تطالب بإلحاح بالتعجيل في تهيئة الظروف لتحضير الحملة العسكرية[5]،و قررت الشروع في عمليات الغزو لمملكة تلمسان ،فأعدت لذلك جيشا قوامه اثنا عشر

---

[1] : Fernand Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen,Op Cit ,p19.

[2] :Ipid ,pp 19-20.

[3]: تم فيما بعد تعديل هذا الاتفاق الى معاهدة أخرى تمت في فيلافرانكا (Villafranca) سنة 1509 م ،باعتبار صخرة باديس حدا فاصلا بين نفوذ البلدين .

[4]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ، ص 75.

[5]:يحي بوعزيز ،علاقات الجزائر الخارجية ، مرجع سابق ،ص 11.

ألف جندي ،تولى قيادته الكونت تينديلا (Tendilla) ،الذي كان حاكما على غرناطة ،لكن موت الملكة المفاجئ في 26 نوفمبر 1504 م ، و هي في سن الثالثة و الخمسين قد وضع حدا لتلك الاستعدادات .[1] و لكن رغبتها لم تذهب أدراج الرياح بحيث أوصت بعدم التخلي عن مواصلة الإستعدادات لتنفيذ الغزو و توجيه الحملة ضد شمال افريقيا.[2]

قام الملك بإستدعاء الكاردينال خيمينيس لعقد مجلس استشاري حول الاستعدادات و الترتيبات لشن هجوم يكتسح معظم شواطئ الشمال الافريقي، إلا أن هذه الاستشارة لم تجد صداها في سمع فرديناند كما توخاه الصليبيون حيث وافقهم على تنفيذ الخطة مبدئيا و طالبهم بإعطائه مهلة من الوقت للتروي ،و التفكير بحجة العجز المالي الذي عاناه من جراء الحروب الايطالية و فقدانه الوسائل المادية الكفيلة بتمويل هذه الخطة لضمان نجاحها.[3]

فالكاردينال الوزير خمينيس تطوع يومئذ من ماله الخاص بما جهز الأسطول,و أعانته الكنيسة بأموالها,فأمكن جمع الحملة و الإقدام على الغزو[4].

إذن صمم فرديناند على تنفيذ وصية ايزابيلا ،ووقع اخياره على دون دييغو فيرناندیز (Don Diego Fernandez) قائدا عاما للحملة ،ووضع تحت قيادته جيشا ينيف على العشرة آلاف وكان الأسطول الذي وضع تحت قيادة دون رامون دي كاردونا (Don Ramon De Cardona) يتركب من سبعة بواخر حربية و مائة و أربعين زورقا مختلفة الأحجام .[5]

أبحر الأسطول يوم 3 سبتمبر 1505 م من قاعدة كانتال دي فازميليانة (Cantal Vezeméliana) بالقرب من مالقة متجهة صوب الحرية ثم منها الى كاب فالكون .[6] وكان يتكون من سبع سفن حربية ،و مائة و أربعين سفينة نقل كبيرة من مختلف الأصناف[7] ،لكنه إتجه إلى إلى ألمرية و هذا نظرا للعوامل الطبيعية المتجلية خاصة في الرياح المعاكسة ،بحيث تعززت القوة

---

[1] : Grammont (H de) ,Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830) Ernest Leroux ,paris ,1887,p5.

[2] :Nelly Blum ,Op Cit ,pp5-6.

[3] :C kehl ,Oran et l'Oranie Avant l'occupation français, B.S.G.O ,T63, 1942,p24-25.

[4]: أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة ، مرجع سابق ،ص 86.

[5] : Grammont (H de) ,Op Cit ,p 23.

[6] :Sandoval ,op cit , R.A ,T15,1871 ,p179.

[7] : Grammont (H de) ,Op Cit ,p5.

العسكرية بحامية أرغونية يتم نقلها من ألمرية كي تساهم في تدعيم الطاقة العسكرية للأسطول.[1] **لقد** تم توزيع قيادة الجيش على النحو التالي ،فقد تولى قيادة المدفعية ديغو دي فيرا (Diego de Verra) و تولى كل من بيدرو لوبيز دوروسكو (Pedro Lopez Dorosco) **و الدون غونزالو أبورا** (Don Gonzalo Ayora) **قيادة الحرس ،بالاضافة** إلى الجاسوس الايطالي **فيانيلي ،الذي صاحب الحملة بصفته دليلا .**[2]

وصل الأسطول أمام "المرسى الكبير " **يوم** 11 سبتمبر **و بالضبط** إلى رأس فالكون غرب **المدينة حيث بدأ الإنزال** [3]**،وكان هذا التأخر مفيدا للاسبانيين ,لأ**ن جماعة المسلمين الذين **جاؤوا من من كل حدب تلبية لداعي الجهاد,عندما بلغهم نبأ اقلاع الأ**سطول الاسباني قد ملوا الانتظار , **وقلت لديهم المؤن , فرجع أكثرهم** إلى ديارهم , تاركين في المرسى الكبير عدد قليلا منهم من أجل **المراقبة و الاستطلاع.**[4] يتراوح عددهم بين أربعمائة و خمسمائة رجل ،**و رغم قلة عددهم فإنهم حاولوا منع الغزاة من الإنزال .**[5]

كانت الخطة العسكرية التي اعتمدها الإسبان في مهاجمتهم المرسى الكبير و حصنها تتمثل في فتح جبهتين رئيسيتين متوازيتين أولها برية و ثانيها بحرية و هذا حتى لا تتكرر صور الفشل التي **اعتادوها خلال هجماتهم الفارطة .**[6]

شرع الاسبان يهاجمون المرسى الكبير صبيحة يوم 10 أيلول و في الوقت الذي كانت فيه البواخر **الحربية ترسل قذائفها المدوية على الميناء ،كانت بواخر النقل تنزل الجنود .**[7]

لم تستطع **الحامية الاسلامية** الصغيرة صد الجند عن النزول إلى البّر , **رغم المقاومة العنيفة** القاسية التي قام بها رجال تلك الحامية ,**و** إستمرت هذه المعركة الغير متكافئة ثلاثة **أيام متواصلة** 500 مجاهد يقفون في وجه **5 ألاف جندي** إسباني مجهز أحسن تجهيز,**و إستشهد خلال المعركة قائد الحامية الباسل,و إحتل الاسبان القلعة و تحصنوا فيها .**

---

[1]: أحمد توفيق المدني ،**مرجع سابق، ص 86.**

[2] : Elie de la Primaudaie , le commerce et la navigation de l’Algérie ,Lahure paris ,1861, p 245.

[3] : Montanes Diego Suarez ,Mers-El-Kebir ,Traduit par A Berbrugger , R.A ,T 9 1865 , p 339.

[4]: بلبوري سيد أحمد ،**مرجع سابق ، ص 86.**

[5] :Grammont (H de) ,Op Cit ,p8.

[6]: أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة سنة ،**مرجع سابق ،ص 86.**

[7]: **مبارك بن** محمد الهلالي الميلي،تاريخ الجزائر في القديم و الحديث،الجزء 3 ،**مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر ، 1964،ص23.**

عندئذ إجتمع أهل المدينة و أصحاب الرأي فيها في دار المزوار ,و تشاوروا في الأمر فمنهم من رأى وجوب تنظيم مقاومة شعبية و الدفاع عن المدينة شبرا شبرا ومنهم وهم الكثرة رأوا أن هذه المقاومة لن تغني عنهم في واقع الأمر شيئا ,نظرا لكثرة عدد الإسبان وقوة سلاحهم و أنهم قد احتلوا قلعة الساحل,فالمقاومة التي يتلوها الانهيار سيكون مآلها أن يأتي السيف عليهم جميعا .

وقف الشاب موسى بن علي يلهب حماس الناس و يستفز الشعور من أجل المقاومة اليائسة لكن أغلبية القوم لم تكن معهم فقروا عقد اتفاقية مع الإسبان تضمن لهم الحياة و حرية الإنسحاب من المدينة ,وهكذا تم الأمر وهم تحت طائلة الحصار الضيق.

وقد أعطى القائد العام الاسباني أجل ثلاث ساعات للمسلمين كي يخلوا المدينة و بقية الحصون و ينسحبوا عن آخرهم من التاسعة صباحا إلى الظهر على شرط ان لا يأخذوا معهم أي شيء من الزاد و المؤن و لا من حيوانات الجر و لا من الأسلحة أي أنهم لم يأخذوا معهم إلا ثيابهم و ما خف من أموالهم.[1]

وصل المدد و أطل على مشارف المدينة و لكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها ،وتمكن الإسبان من التحكم الفعلي و الكامل لها ،كانت القوة العسكرية هائلة لو وصلت بيوم واحد فقط لإستطاعت ردهم و تحرير القلعة ،إذ كانوا يفوقون الإثنين و العشرين ألف رجل،و ألفين من الفرسان،كلهم من القرى المجاورة ومملكة تلمسان.[2]

و قد أخلى المسلمون المدينة أول الأمر من النساء,ثم تبعهم الرجال ,و عندما تم انسحاب المسلمين دخل الاسبان المدينة , و رفعوا فوقها أعلامهم , و أقاموا صلاة الشكر لله.[3]

و عندما سمعت إسبانيا بأنباء الاستيلاء على المرسى الكبير قررت إعلان الأفراح لمدة ثمانية أيام.[4] و ذهب الماركيز القائد الأعلى توا إلى مسجد المدينة الأعظم ,فأمر حالا بتحويله كنيسة للنصارى , وكرسه و باركه , وأطلق عليه اسم "كنيسة القديس ميكائيل ", و أقيم به القداس صبيحة الأربعاء 15 جويلية .[5]

---

[1] : أحمد توفيق المدني ،حرب ،مرجع سابق.ص 87.

[2]: بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ،ص 88.

[3] : أحمد توفيق المدني ،حرب ،مرجع سابق،ص 88.

[4]: مبارك بن محمد الهلالي الميلي ،مرجع سابق،ص 23.

[5] : أحمد توفيق المدني ،حرب ،مرجع سابق ،ص 88.

ب –إحتلال وهران :

لقد أغرى موقع مدينة وهران و جمالها و أسال لعاب القادة الإسبان و خاصة الكاردينال خيمينيس فبناءا على التقرير التجسسي الذي تلقاه من فيانيلي الذي اعتبرها من أشهر مدن بلاد المغرب لغناها بالأسواق و التجارة ،عزم على غزوها.[1]

كان الكاردينال كسيمينيس قد أتم استعدادات الهجوم على مدينة وهران الذي كان يرغب أن يقوده بنفسه،ففي 20 أوت 1508 م عينه الملك فرديناند قائدا عاما للحملة الموجهة ضد وهران [2] عززت الحملة الثانية هذه المدعمة بالقائد خمينيس و بيدرونافارو(pedro navarro) وجود الوحدات الأولى بالمرسى الكبير تحت قيادة مارتيناز ،ووطدت تمركزها و هذا منذ أن أقلعت من قرطاجنة يوم الأحد 13 مايو 1509 م ،غير أنها أرست بالميناء نتيجة للعواصف ،[3]و لم تنطلق ثانية إلا يوم الأربعاء 16 ماي و كانت هذه الحملة تتكون من عشرة سفن من نوع (Galère) ،ذات ثلاث صفوف من المجاديف ،و ثمانين مركبة نقل و عدد آخر من السفن الصغيرة ،أما عدد الجنود فكان عشرة آلاف من المشآة ،و أربعة آلاف حصان و ثمانمائة متطوع .[4]

تم انزال الجنود من السفينة في الليل،و ذلك لكي لا يعطي خمينيس للأهالي الوقت لمعرفته [5] بينما حاكم المرسى الكبير كان قد هيأ المعركة على طريقة أخرى ,كان قد اشترى بذهب وفير و بوعود جمة لا حد لها ذمة اليهودي أشطورا من مهاجري الأندلس ،من الذين أنقذهم نفس المدينة (وهران) وأهلها من المحارق الاسبانية وقد كان أشطورا هذا قابضا للمكوس العام لمدينة وهران واشترى هو – بنفس الوسيلة وبنفس الطريقة – ذمة اثنين من قابضي المكوس الذين يعملون تحت إدارته ،و هما عيسى العريبي و ابن قانص.[6] بحيث تمكن أشطورا بواسطة مراكبه الصغيرة من إستقدام

---

[1] :Esprit Flechier ,Histoire du cardinal Ximenés ,T1,J. Anisson ,Paris ,1693 ,pp 363-364.

[2]:مبارك بن محمد الهلالي الميلي،مرجع سابق ،ص26.

[3] : Elie de la Primaudaie , le commerce, Op Cit ,p 248.

[4]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ، ص 91 .

[5] :M p Chausolles ,L'Algérie pittoresque ou histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours ,imprimerie de J B Paya éditeur Toulouse, 1845 ,p104.

[6]: أحمد توفيق المدني ،مرجع سابق .ص 100 .

الجنود الاسبان من على ظهر السفن الراسية قرب وهران ليلا،وإدخالهم إلى مخزنه [1]. **و لما علم السكان** بالخطر الذي يستهدف مدينتهم اعتصموا في المرتفعات المواجهة للمناطق الساحلية الممتدة بين المرسى الكبير و مدينة وهران ،و لمنع الغزاة من احتلال بلادهم **،رموهم بالسهام و الحجارة ،و دفعوا عليهم** الصخور من المواقع العليا التي كانوا يتموقعون بها[2] ،غير أن التفوق العددي للإسبان و نظام سلاح المدفعية مكنهم من إجبار المقاومين على التراجع نحو المدينة للاحتماء وراء أسوارها.[3]

تمكن الاسبان من الدخول الى المدينة من أحد أبوابها بفعل خيانة اليهودي أشطورة ،**و قد وجد الكاردينال كسيمينيس الفرصة متاحة ليشبع تعطشه** إلى دماء المسلمين،فأمر بتقتيل أكبر عدد ممكن من المسلمين،بحث لم تمر ساعات قلائل حتى تم تقتيل أربعة آلاف شخص عدا النهب و السرقات **غادر كسيمينيس وهران بعد أن حول مساجدها** إلى كنائس[4]**، قدر قومز (Gomez) غنائم الاسبان ب 500** ألف ايكو ذهبي.[5]**عادت بالثراء على كبار العسكريين و الجنود على السواء ،فقد ذكر أحد الضباط بأنه قد استحوذ لصالحه على عشرة آلاف دوكا.**[6]

و في اليوم الثاني من سقوط المدينة يستدعي خمينيس كل الجند للتجمع بالساحة **و هم معلمين** بكل ما جمعوه من **غنائم،فينتقي أنذر النفائس ليبعث بها** إلى الملك فرديناند بغرناطة و يوزع ما تبقى على أفراد الحملة بينما تنازل عن حصته و لا يختار إلا بعض الكتب العربية التي عثروا عليها بمكتبة القلعة و ثريا بالمسجد الأعظم اضافة الى الأسلحة و الأعلام.[7] **كما قام كسيمينيس بمكافأة اليهودي** اشطورة و أقره في وظيفته القديمة مكاسا في الأسواق،و قابضا للمال **و هكذا أصبح الدون "دييغو** فيرنانديز دي كوردوبا " أول حاكم اسباني على مدينة وهران.[8]

---

[1]: بلبوري سيد أحمد ،**مرجع سابق، ص**93.

[2] :Rozet et Carette ,Algérie ,2 Ed ,Bouslama ,Tunis ,1980,p47.

[3] :L Didier ,Histoire d’Oran ,période (1501-1550) ,Jeanne d’Arc ,Oran ,1927 ,p- p 100-101.

[4] :مبارك بن محمد الهلالي الميلي،**مرجع سابق ،ص**27 .

[5] :Henri Léon Fey ,Histoire D’Oran avant ,pendant et après la domination espagnole, Typographie Adolphe Perrier Editeur ,Oran , 1858.P 72.

[6] :Blum N ,Op Cit ,p160.

[7]: بلبوري سيد أحمد ،**مرجع سابق ،ص** 94.

[8]: يحي بوعزيز ،موضوعات ،**مرجع سابق ،ص**96.

لقد أحدثت واقعة احتلال مدينة وهران أثرا كبيرا في نفوس أهلها ، بحيث **ذكرها أبوراس الناصري:**

خَامِسْ عَشَرَ مِنْ عَاشِر أنَاخَ بِهَا   الاسْبَانْيُوْنْ أهْل الشرْكِ وَ الرجْسِ
جَحَافِل الكُفْر قَد حَمَوا جَوانِبَهَا   وَ عَنْ دِفَاعِهِمْ عَجَزَ أبُو قَلْمُوس .[1]

كما أورد أبو راس الناصري في كتابه عجائب الأسفار بأن هناك رواية محلية تقول بأن سبب أخذ النصارى لوهران ،دعوة الشيخ الهواري عندما قتلوا ولده ظلما ،حيث قال **"شوّشتمونا شوشكم** الله من البر **و البحر "**[2].

[1]:محمد بن يوسف الزياني ،**مصدر سابق ، ص 142.**

[2]:محمد أبو راس الناصري ،عجائب الأسفار ،مخطوط بالمكتبة الوطنية **،الجزائر ،تحت رقم 1632 ،ورقة 37 .**

6-ولاء بعض المدن الساحلية للاسبان :

بعد استلاء الإسبان على وهران و المرسى الكبير ،وجدت **بعض مدن الغرب الجزائري نفسها** مجبرة على توقيع معاهدة الولاء للإسبان [1]،و من بين المدن التي أعلنت خضوعها للإسبان :

6-1:مدينة تنس :

في سنة 909 هـ -1503 م تولى عرش بني زيان في تلمسان السلطان أبو زيان الثالث الملقب بالمسعود ،لكن عمه أبا حمو المعروف ب "**بوكلمون**" ثار عليه ،و أخذ منه العرش **و سجنه ،و بعد** عامين من ولايته و قعت نكبة المرسى الكبير .[2]

و كانت مدينة تنس أول المدن التي أعلنت **ولائها للا**سبان ،فبعد احتلال المرسى الكبير **و بينما كان هؤلاء يعدون أنفسهم لاحتلال مدينة وهران،**وقعت أزمة داخلية بين أمراء العائلة الحاكمة في تلمسان ،فإثر وفاة الملك محمد السابع (المعروف بالثابتي) **منذ سنة 1503 م آل الحكم لابنه** الأكبر عبد الله [3]**،وكان له شقيقان** ،و هما أبو زيان و يحي ،اللذان تآمرا على أخيهما الملك الثابتي مع بعض الشخصيات على اغتياله لكن اكتشاف المؤامرة ،أدى الى القاء القبض على أبي زيان ،و تم وضعه في السجن ،بينما تمكن أخوه يحي من الفرار مستنجدا بالاسبان .[4]

ساعد الاسبان يحي و نصبوه حاكما على تنس ،على أن يكون تحت نفوذهم ملتزما بدفع الضرائب لهم و زودوه بقوات عسكرية تساعده على تأمين موقعه ضد أخيه عبد الله ملك تلمسان تتألف من أربعة سفن و خمسمائة جندي كان ذلك خلال سنة 1508 م .[5]

---

[1]: محمد لعباسي ،أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر و أخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918 ه /1512 م إلى سنة 953 ه /1546 م ،شهادة ماجستير ،جامعة وهران ،2005 - 2006 ، ص 29 .

[2]:أحمد توفيق المدني ،حرب ،مرجع سابق ، ص 98.

[3]:الوزان ،مصدر سابق ،ص 35.

[4]:مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ،تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر ،المطبعة الثعالبية ،الجزائر ،1934 ، صص 30-31.

[5] :Jean Monlau ,Les Etas Barbaresque , 2eme ed ,P.U.F, Paris ,1973 ,p 53.

6-2:مدينة مستغانم :

كانت مدينة مستغانم من المدن الساحلية التابعة للدولة الزيانية و هي مدينة محصنة بأسوار منيعة اشتهرت منذ وقت طويل بإزدهارها خاصة في الميدان الزراعي لخصوبة أراضيها ،و بعد احتلال الاسبان لمدينة وهران ،توجهت أنظارهم إليها ،بسبب موقعها الطبيعي القريب من مدينة وهران و أجبر شيوخ المدينة و أعيانها الى توقيع معاهدة استسلام مع حاكم وهران الاسباني ،و ذلك في 26 ماي 1511 م [1] يلتزم بموجبها شيوخ و سكان مدينة مستغانم و كذلك مزغران بعدة شروط ،نذكر من بينها ما يلي :

- أن يكونوا في خدمة الملك و الملكة بكل وفاء .
- أن يدفعوا الضرائب و الرسوم التي كانوا يدفعونها لتلمسان في أول جوان من كل عام ،لأمين مخزن مدينة وهران .
- إطلاق سراح جميع الأسرى .
- أن يزودوا وهران و المرسى الكبير بالمواد الغذائية و السلع الأخرى،بأسعارها العادية .
- أن يعلموا القائد العام في وهران ،بأي عمل يقومون به ،فيما يتعلق بأمن مدينة وهران .
- في حالة الالتزام بما سبق تحديده ،فإن(أصحاب السمو) يلتزمون بدورهم على حمايتهم ضد أعدائهم سواء القادمين من جهة البر أو البحر .[2]

6-3:تلمسان :

لقد عرفت الدولة الزيانية متاعب كثيرة ،منها التدخلات الأجنبية في شؤونها الداخلية من سلاطين الدول المجاورة ،المرينيين في المغرب الأقصى و الحفصيين في تونس .كان آخرها التعرض الى الخطر الاسباني ،الذي تطور الى التلاعب بمصيرها من أجل السيطرة عليها ،بحيث وصلت مملكة بني زيان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الى درجة قصوى من الضعف بسبب النزاع الداخلي بين أمرائها على كرسي الحكم [3] . أدى بها الى توقيع معاهدة مع إسبان مدينة وهران لمدة خمس سنوات و ذلك في 20 جوان 1511 م. [4]

---

[1] :Elie de la Primaudaie, Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnols en Afrique (1506 -1575) ,R.A , T 19 ,1875,p 73.

[2]: Ipid ,pp 74-75.

[3]:عبد القادر فكاير،الغزو الإسباني ،مرجع سابق،ص 115 .

[4] :Braudel :les espagnols.. , Op Cit ,R.A ,1928,p224.

يقول المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي بأن" صرح بني عبد الواد أخذ يتساقط منذ أن ركن ملوك هذه الدولة من بني زيان إلى التواكل و التخاذل،و تثاقلهم عن القيام بالمصالح العامة ،و انهماكهم في التهالك على الرئاسة،و قصر اشتغالهم على أنفسهم شخصيا ،فانمحت يومئذ هيبتهم عن نفس الرعية،و انتشرت الفوضى بين الناس في كل ميادين السياسة و الاجتماع...و ملوك الإسبان يومئذ يترصدون مثل هذه الأمور خلسة،و يترقبون الظروف المواتية للقضاء على دولة الاسلام بهذا الشمال الافريقي ."[1]

لقد ظل الاسبان في وهران حريصين على ابقاء ملوك تلمسان موالين لهم بعد قبول ملك تلمسان محمد الخامس بن محمد الثابتي (1505-1516 م) الخضوع لسيادتهم في سنة 1512 م.[2] فأيدوا كل أمير زياني تعاون معهم ضد منافسيه،و كانوا يشنون الغارات على تلمسان من حين لآخر من أجل إزاحة الأمراء المعادين لهم و تنصيب المستجيرين بهم.[3]

تجدد الصراع العائلي على الحكم في تلمسان، ففي عهد أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي (1516-1528 م) الذي اتبع نفس سياسة أخيه بمهادنة الإسبان ،و كان قد سجن أخوه أبي زيان عندئذ تحزب ضده أنصار أخيه أبي زيان و استنجدوا بعروج ،فتوجه هذا الأخير إلى تلمسان و أطلق سراح الملك المسجون ،و نصب أبا زيان في الحكم،و فر أبو حمو الثالث الى وهران عن طريق فاس.[4]

إلا أن الجند التركي أغلظ في معاملة أهل تلمسان،و راح عروج يتصرف في تلمسان تصرف الفاتحين مما أدى إلى غضب السكان على الأتراك[5] ،ووقعت الفتنة من جديد في تلمسان و جعلت عروج يقدم على قتل الملك أبي زيان إلى جانب سبعين شخصا من أفراد أسرته،كما قضى جنوده على بعض سكان المدينة.[6]

---

[1]: عبد الرحمان الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج 2 ،دار الثقافة ،الطبعة الرابعة ،بيروت ،1980، ص 181 .

[2] :Bargès l'abbé ,complément de l'histoire des bani-Ziane rois des Tlemcen ,Ernest laroux,paris,1887,p418 .

[3]: عبد القادر فكاير،الغزو الإسباني ،مرجع سابق،ص119 .

[4] :Haedo Diego de , Histoire des rois d'Alger, traduit par H D .Grammont, R.A 1880-1881 ,T24,25,pp272-273.

[5]: مبارك بن محمد الهلالي الميلي،مرجع سابق ،ص 47 .

[6] :Bargès, Op Cit ,p434.

وكان عروج قد ترك وراءه لحفظ خط رجعته ستمائة تركي بقلعة بني راشد،كما فرض على قبائل بني عامر و بني سناسن أن يدفعوا له الضرائب حبوبا حتى يتمكن من تموين جيشه لأنه كان يتوقع حصارا يفرضه عليه الإسبان،كما أرسل الى سلطان فاس يعرض عليه التحالف [1].

وكان أبو حمو قد توجه الى وهران في سرية تامة مع أبنائه و أتباعه ،و من أجل النجاح في مهمته أرسل أحد اخوانه إلى الامبراطور شارل الخامس،الذي كان يتخذ من طليطلة مقرا لحكمه و بعد استقبال الامبراطور للأمير الزياني و عده بتقديم المساعدة التي طلبها[2]، ويذكر" فاي" (Fey) أن أحد الشيوخ يدعى بورقبة من ضواحي تلمسان توجه هو الآخر الى وهران يطلب من القائد الإسباني مساعدات عسكرية لمحاربة قوات عروج كما سلم له اثنين و ثلاثين طفلا من أبناء الأعيان كرهائن بناءا على طلب الاسبان.[3]

أرسل القائد الاسباني غوماريس تقريرا إلى الملك الإسباني يدعوه فيه إلى ضرورة ضم تلمسان إلى سلطتهم،كما طلب مساعدات عسكرية لتنفيذ ذلك المخطط فوافق الملك على تزويده بجيش يتألف من عشرة آلاف رجل [4].

أرسل حاكم وهران ، القائد دون مارتان دارغوت على رأس ثلاثمائة جندي إلى قلعة بني راشد رفقة أبو حمو و قاموا بفرض حصار على القلعة و تمكنوا من الإستيلاء عليها و القضاء على الحامية التابعة لحكومة الجزائر التي كان على رأسها اسحاق أخ عروج [5]، و لما وصل إلى تلمسان ضرب عليها حصارا استمر لمدة ستة أشهر ،ولشدة القصف المدفعي الاسباني اضطر عروج إلى ترك قلعة المشور،فتعقبته القوات الإسبانية و قتلته في معركة شديدة و ذلك في شهر ماي 1518 م.[6]

دخل الجيش الاسباني تلمسان و عينوا أبو حمو الثالث ملكا عليها،و أملوا عليه معاهدة أخرى في 13 سبتمبر 1535 م يكون ملزما بموجبها على دفع ضريبة سنوية قدرها 12 ألف دوكا (Ducats) وفي المقابل يكون الملك محميا من طرف الاسبان.[7]

---

[1]:مبارك بن محمد الهلالي الميلي،المرجع نفسه،ص48.

[2]:فكاير عبد القادر،الغزو الإسباني ،مرجع سابق،ص120.

[3] :Fey Leon , Op Cit ,p80.

[4] : Mercier (E) ,Histoire de l'Afrique septentrional ,T3, Ernerst leroux ,paris 1888 , p21.

[5]:مبارك بن محمد الهلالي الميلي،مرجع سابق،ص 49.

[6] :Berbrugger (A) ,la mort du fondateur de la régence d'Alger ,R.A ,T4,1859-1860, p27.

[7] :Mercier, Op Cit ,T3 ,p19.

و في عهد الملك أبي محمد عبد الله بن محمد الثابتي(1528-1540 م) تعرضت تلمسان الى حملة أخرى بقيادة "ألونسو مارتينيز دي أونجيلو "(Alonso Martinez de Angelo) مصطحبا معه عبد الرحمان ابن رضوان أحد كبار شيوخ قبيلة بني عامر و الذي كان يريد تنصيب حفيده الطف عبد الله الأخ الأصغر لمحمد بن عبد الله على ملك تلمسان ،و لهذا الغرض اتصل بالاسبان في وهران فقبلوا مساعدته فانتقل إلى وهران رفقة حفيده و معه أربعمائة فارس في 3 فيفري 1535 م،[1]ووافق الكونت دالكوديت على تزويده بقوة عسكرية تتألف من ستمائة رجل و أرسل معهم أربع قطع من المدفعية الصغيرة.[2]

و كان ملك تلمسان قد سلم قيادة جيشه للمنصور بن بوغانم زعيم قبيلة بني راشد، فخرج لمنع المعتدين من التقدم نحو تلمسان ،و بدأ القتال بين الطرفين،و استمر لمدة ثلاثة أيام.[3] و في 4 جويلية 1535 م تغلغل مائتا فارس من بني راشد إلى داخل المعسكر الاسباني ،و تمكنوا من تشتيت قواتهم،و خوفا من الهلاك تظاهر مارتينيز بلجوئه إلى التفاوض مع قائد بني راشد [4]،حيث أرسل مترجمه يطلب من ابن غانم السماح له و لقواته العودة بسلام إلى وهران ،لكن المنصور أدرك نية عدوه في ربح الوقت،ريثما يتمكن من طلب المساعدات من وهران،ففوت عليه الفرصة ،و تقدمت قواته إلى داخل التحصينات الاسبانية،فألحقت بهم هزيمة نكراء [5] .

وعندما توفي الملك أبي محمد عبد الله سنة 1540 م خلفه في الحكم ابنه أبو عبد الله محمد[6] و كان الملِك مواليا للإسبان في وهران فثار عليه أخوه أبوزيان أحمد في سنة 1542 م بتأييد من قوات حسن باشا بن خير الدين ،و افتك منه الحكم فهرب محمد السابع إلى وهران يستجير بالإسبان ووضع نفسه تحت حمايتهم ،و لهذا عزم الكونت دالكوديت على غزو تلمسان بنفسه فشرع في تنظيم حملة كبيرة يقودها بنفسه.[7]

---

[1] :Chantal de la veronne, Oran et Tlemcen dans la première moitié de 16 siècle Geuthner ,paris,1983 ,pp98-99.

[2] : G. Jacqueton, l’expédition d’A Martinez de Angelo contre Tlemcen (juin-juillet 1535) ,R.A ,N36,1892 ,pp149-165.

[3] :Ruff Paul ,la domination espagnole a Oran sous le gouvernement du comte d’Alcaudete(1543-1558),Leroux ,paris,1900,p49.

[4]:عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني ،مرجع سابق،ص123.

[5]:مارمول كاربخال ،ج2،مرجع سابق ،ص313.

[6] : عرف بمحمد السابع ،استمر في الحكم الى غاية سنة 1550 م .

[7]:عبد القادر فكاير،الغزو الإسباني ،مرجع سابق،ص123. .

و في 27 جانفي 1543 م خرج الكونت دالكوديت على رأس قوة عسكرية تتألف من أربعة عشر ألف جندي و خمسمائة فارس[1] ،إلتقى بقوات قائد بني راشد المنصور بن بوغانم عند وادي يسر ،لكنه لم يتمكن من وقف زحفهم ،فتراجع أمام القوات الاسبانية.[2]

و في يوم 5 فيفري واجه أبو زيان الكونت دالكوديت عند أسوار المدينة في معركة عنيفة استمرت من العاشرة صباحا إلى غاية المساء،و في الأخير أُجبر أبا زيان على الإنسحاب مع رجاله إلى منطقة أنغاد[3] و قد ذكر بعضهم أن الخسائر البشرية كانت كبيرة من جانب ملك تلمسان و قتل من الجيش الاسباني ثمانمائة جندي.[4]

دخلت القوات الاسبانية مدينة تلمسان في 6 فيفري و معها أبي عبد الله محمد ،و تعرضت المدينة إلى النهب و التدمير،و يذكر مارمول بأنهم نهبوها من أقصاها إلى أقصاها ،و هم يقتلون أو يأسرون كل من يصادفونه فيها[5]،كما استولى دالكوديت على قافلة كبيرة كانت تحمل القمح و الشعير لسكان المدينة الفارين الذين كانوا يقيمون في أحوازها ،فتمكن من الاستيلاء على ثلاثمائة و خمسين جملا و مائة و خمسين من الرماح و أسر ألف رجل و قتل ستين آخرين.[6]

أبرم أبو عبد الله مع دالكوديت معاهدة في يوم 26 فيفري أعلن فيها الولاء للإمبراطور،و في 11 مارس خرج دالكوديت من تلمسان في طريقه الى وهران ،و معه عدد من الأسرى و كثير من الأسلاب.[7]

تقدم الملك المخلوع نحو تلمسان لاسترجاع عرشه و قام بمحاصرتها ،فخرج اليه أخوه أبو عبد الله و قاتله خارج المدينة،و انتصر عليه،و لكن عند عودته إلى تلمسان،أغلق السكان أبوابها في وجهه و استدعوا أبا زيان ليحكمهم و استقبلوه بحفاوة كبيرة .[8]

---

[1] :Bargès ,Op Cit ,p49.

[2] :Mercier ,Op Cit ,T3 ,p50.

[3]:سهل واسع يقع وراء الجبال المحيطة بتلمسان من الجنوب و الغرب .

[4] :Ruff ,Op Cit ,p92.

[5]:مارمول،مصدر سابق،ج2 ،ص314.

[6] :Ruff, Op Cit ,pp93-94.

[7] :Francisco de la Cueva ,Guerre de Tlemcen ,traduction de M. Camille Brunel BSGAO ,1891 ,T10 ,p379.

[8] :Barges ,Op Cit ,p 52.

أسرع أبو عبد الله محمد إلى وهران لطلب النجدة مرة ثانية من الكونت دالكوديت ، لم يتردد هذا الأخير في الاستجابة فخرج على رأس جيش يتألف من ألفي جندي من المشاة بالإضافة إلى القطع المدفعية توجه الى معسكر عبر وادي تليلات حيث كانت قوات أبي زيان معسكرة هناك المؤلفة من ألفين و أربعمائة مقاتل.[1] و جرت المعركة بين الفريقين ،كانت الغلبة فيها لصالح جيش أبي زيان ،مما أجبر دالكوديت على الانسحاب ،و في طريق عودته إلى وهران تعرض إلى هجوم آخر شنه عليه سكان منطقة مديوني[2]، وتمكن أتباع أبي زيان من القبض على أبي عبد الله،فقتلوه و حملوا رأسه إلى أخيه في تلمسان.[3]

وكانت الدولة الجزائرية الحديثة التي أسسها خير الدين في مدينة الجزائر ،بعد ربطها بالخلافة العثمانية تفرض سيطرتها على بني زيان ،فقد أورد صاحب غزوات عروج و خير الدين مجموعة من النصوص تتعلق بهذا الموضوع من بينها :"أن مولاي عبد الله بعد الهزيمة التي تلقاها رجع الى المهادنة و إعطاء الطاعة حاضرا فبعث الى خير الدين أعيان حضرته و أكابر وقته يستمدون منه الصلح و العفو ،و يعدونه بحمل الستين ألف دينار ،ويضاعفون الخراج الذي كانوا يؤدونه اليه ،لتكون جملته عشرين ألف دينار مع جوائز و هدايا "[4]

و كان خير الدين قد أبرم مع مولاي عبد الله معاهدة نصت على أن الدولة الزيانية تقدم مساعدة مالية للدولة الجزائرية ،حددت بعشرة آلاف دينار سنويا ،و هي أقل بكثير مما كانت هذه الدولة تقدمه للاسبان.[5]

شهدت تلمسان سنة 1550 م تدخل الأشراف السعديين ،حينما حاول محمد الشيخ بسط نفوذه عليها لكن قوات حسن بن خير الدين تمكنت من طرده في السنة الموالية (1551 م) ،و لما و صلت تلمسان إلى هذه الحالة قرر حسن بن خير الدين أن يضع عليها حاكما عثمانيا دون أن يشرك إلى جانبه أي أمير زياني ،و أن يترك فيها حامية من الجزائر،و بذلك وضع حد لحكم الأسرة الزيانية .[6]

---

[1] :Ruff ,Op Cit ,p110.

[2] :Mercier ,Op Cit ,T3 ,p60.

[3] :Bargès ,p 453.

[4]:مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ،مخطوط بالمكتبة الوطنية ،تحت رقم 1622، ورقة 16.

[5]:مجهول ،نفس المصدر ،ورقة 31.

[6]:عمار بن خروف ،العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر الميلادي،ج1،الأمل ،الجزائر، 2006 ، ص ص 35-36.

7–التدخل العثماني في غرب البحر المتوسط و تأسيس إيالة الجزائر :

بعد أن أبرم أعيان مدينة الجزائر ،معاهدة الهدنة مع الاسبان خلال سنة 1510م ،استغل هؤلاء الوضع السيئ الذي كانت تعيشه المدينة ،حيث فرض فرديناند سنة 1511 م ضريبة أخرى قدرها 50% على مستورداتهم من الصوف ،وذلك بغرض دفع تكاليف حملته الافريقية [1] فكانت تلك القلعة "كالشوكة غرست في أعناق الجزائريين " [2] ،كما كانت الحامية الموجودة بها تراقب السفن الاسلامية ،فأحدث ذلك ضررا كبيرا في نفوس سكانها . [3]

نتيجة لهذه الأوضاع التي كان يعيشها سكان المدينة ،بدءوا يتطلعون إلى عمل شيء ما للتخلص من قيود تلك المعاهدة ، وكانت إسبانيا قد شهدت في بداية سنة 1516 م وفاة الملك فيرديناند الكاثوليكي إستغلها أهل المدينة في تخليص أمرهم . [4]

في هذا الوقت كان البحر المتوسط مسرحا لإنتصارات أربعة إخوة من أصل أحد الجزر اليونانية وكانت ميزتهم الشجاعة ومعرفة علوم البحر مما جعلهم مهابي الجانب في البحر من طرف القراصنة والنصارى وبعد دخولهم الإسلام وضعوا أنفسهم تحت خدمة سلطان إسطنبول حيث كانوا يقومون بحملات جريئة على شواطئ إسبانيا قصد مساعدة مسلمي الأندلس . [5]

ومن الصعب تحديد أصل الإخوة بربروسة [6] ولكن ما اتفق عليه المؤرخون أن أصل الأسرة الأسرة كانت تعيش إحدى قرى البلاد اليونانية بجزيرة مدلي [7] أو ميتيلين ، وكان أبوهما يدعى يعقوب بن يوسف ،وكان تركيا مسلما – يعمل في الجيش التركي - . [8]

---

[1]: وليم سبنسر ،الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب و تقديم عبد القادر زبادية ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2006 ،ص28.

[2]: عزيز سامح آلتر ،الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ،ترجمة محمود على عامر ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1989 ص 50.

[3]: فكاير عبد القادر ،الصراع الجزائري الإسباني ،مرجع سابق ،ص78.

[4]: عبد الرحمان الجيلالي ،مرجع سابق ،ج3 ،ص39.

[5]: كورين شوفاليه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 – 1541 م) ، ترجمة : جمال حمادنة ، د .م . ج الجزائر ، 2007 ، ،ص 26 .

[6]: عرف الإخوة أبناء يعقوب بـ :بربروسة وهي تحريف لكلمة بربروس Berberouse التي تعني اللحية الشقراء أو الصهباء التي تميل إلى الحمرة .

[7]: وهي جزيرة بالأرخبيل اليوناني ، فتحها محمد الفاتح سنة 1457م ،وتقع بالضبط في السواحل الغربية لآسيا الصغرى .

[8]: محمد الطيب ، عقاب :الأخوان عروج وخير الدين ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 ،ص ص 14 - 15 .

ويشير خير الدين في مذكراته[1] أن والده كان من السباهية[2] ، وكانت له أرض إقطاع في منطقة واردار(VARDAR) المجاورة لسلانيك (SELANIK) ، وهبها له السلطان محمد الفاتح وكان إسحاق مقيما في قلعة مدلي أما عروج فقد ركب البحر.[3]

وكان الإسبان في هذه الفترة قد قضوا على الحكم الاسلامي بالأندلس ،و شرعوا في اضطهاد من بقي من المسلمين هناك ،و طردهم و تشريدهم ،فاقترب عروج و أخواه من شمال تونس و اتصلوا بالأمير الحفصي ،و تفاوضوا معه ،فسلم لهم ميناء حلق الوادي عام 1504 م ،ليتخذوه مركزا لأسطولهم البحري و ذلك مقابل خمس ما يغنمونه من الغنائم .[4]

و في عام 1512 م اتجه عروج و إخوته إلى بجاية لاستخلاصها من الإسبان ،تلبية لنداء أهلها ،و لكنهم لم يفلحوا في مهمتهم لأن الحصون الإسبانية كانت قوية ،و طبيعة المدينة الجغرافية صعبة ،و بعد عامين تمكن عروج و إخوته من افتكاك مدينة جيجل عام 1514 م من الجنويين[5] و أندري دوريا ،و اتخذوا هذه المدينة قاعدة لهم بدلا من جربة و حلق الوادي ،لكونها أقرب الى أماكن الصراع ضد القراصنة الاسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط .[6]

بعث شيخ مدينة الجزائر سالم التومي و فدا الى مدينة جيجل لطلب المساعدة من الأخوين عروج و خير الدين ،و مما جاء في نص ذلك الاستنجاد " سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد ،و أخذتم بجاية و جيجل من أيدي النصارى و نصرتم الدين هنيئا لكم أيها المجاهدون ،لابد أن تقدموا الينا

---

[1]: مذكرات خير الدين : وهي أمر من السلطان سليمان القانوني ، أمر بها خير الدين أن يكتب كيف خرج هو وأخوه من جزيرة مدليلي ؟ وكيف تم فتح الجزائر ؟ و الغزوات التي قام بها ، وكان لخير الدين زميل اسمه المرادي ، فكان خير الدين يملي و المرادي يكتب .

[2]:و هو اصطلاح يطلق على الفرسان الذين كانت تجندهم الدولة العثمانية مقابل استفادتهم من أراضي الاقطاع التي كانت تمنح لهم لقاء دفع ضريبة الخراج ،لخزينة الدولة .

[3]:خير الدين بربروس ،مذكرات خير الدين بربروس ،ترجمة محمد دراج ،شركة الأصالة للنشر و التوزيع ،ط1 ،الجزائر ،2010، ص 21.

[4]:يحي بوعزيز ،علاقات الجزائر الخارجية ،مرجع سابق ،ص 34.

[5]: الجنويين :هم أهل مدينة جنوة الإيطالية ،إحتلوا مدينة جيجل سنة 1260 م أنظر :

- أحمد توفيق المدني ،محمد عثمان باشا داي الجزائر1766 -1791 م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، م . و . ك ،الجزائر ، 1986 ، ص 23 .

[6]: يحي بوعزيز ،علاقات الجزائر الخارجية ،المرجع نفسه ،ص 35.

و تخلصونا من أيدي الملا عن الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة و ذلة شديدة ...."[1]،ووعدوا عروج بمكافأته هو و جنوده و العيش بينهم في مدينة الجزائر بكل اطمئنان .[2]

وافق عروج على هذا العرض ،حيث كانت رغبته كبيرة في الانتقال إلى مدينة الجزائر ذات الموقع المتميز و المناسب لمواصلة الجهاد البحري ضد المسيحيين .

جمع عروج قواته و شحن ستة عشر سفينة التي كانت لديه بالمدافع و الذخيرة ،ثم توجه إلى مدينة الجزائر[3] و قبل مغادرته لمدينة جيجل ترك عروج و صية عند أهل المدينة لأخيه خير الدين – الذي كان في تلك الأثناء يقوم برحلة بحرية – يوصيه فيها بضرورة تزويده بقوات اضافية تساعده في مهمته ضد إسبان قلعة الصخرة المقابلة لمدينة الجزائر [4]،و لما رجع خير الدين من رحلته و علم بأمر أخيه ووصيته ،جهز مائتي و ثمانون رجلا بكل ما يحتاجون إليه من عدة ،و أرسلهم إلى أخيه[5]،كما أرسل خير الدين مساعدات أخرى لأخيه عروج عندما حل عليه أخوه الآخر إسحاق ،الذي كان ينشط في شرقي المتوسط ،فجهز أربع سفن حربية و شحنها بعدد من المقاتلين و خمسة عشر مدفعا ثم أرسلها تحت قيادة أخيه اسحاق .[6]

و لما حل عروج بمدينة الجزائر إستقبل من قبل الأهالي إستقبالا حارا ،كان يتقدمهم أعيان المدينة ووجهاؤها على رأسهم شيخها سالم التومي .[7]

و كانت أول الأعمال التي قام بها هو توجيه أنظاره الى قلعة الصخرة ،فقد ذكرت بعض المصادر الغربية أنه نصب عددا من المدافع صوب القلعة ،و قبل أن يبدأ بقصفه لها أرسل انذارا إلى قائدها يدعوه إلى التسليم و لما رفض القائد الإسباني ،أعطى عروج الأمر بقصفها بالمدافع .[8]

---

[1]:محمد بن رقية التلمساني ،الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ،مخطوط بالمكتبة الوطنية ،الجزائر تحت رقم 1626 ،ورقة 3.

[2] :Haedo Diego de ,Topographie et histoire générale d'Alger ,Traduit par : A Berbrugger et Monnereau , R.A ,T14-15, 1870,p416.

[3]:هناك اختلاف في الآراء حول الطريق الذي سلكه عروج الى مدينة الجزائر ،فقد أورد هايدو في كتابه "تاريخ ملوك الجزائر "و من نقل عنه أنه سلك طريق البر بينما أرسل أسلحته مع بعض جنوده عن طريق البحر ،بينما هناك من ذكر و على رأسهم عمار بوليفة في كتابه "جرجرة عبر التاريخ "،أن عروج توجه الى المدينة بحرا و ابن القاضي هو الذي سلك طريق البر .

[4]:مجهول، غزوات ،مصدر سابق ، ص 27.

[5]:ابن رقية ،مصدر سابق ،ورقة 3.

[6]:مجهول ،غزوات ،مصدر سابق ،ص28.

[7]:ألتر،مرجع سابق ،ص 51.

[8] :Edourd Cat ,petit histoire de l'Algérie ,T1 , Adolphe Jourdan ,1889 ,p239.

و تضيف نفس المصادر أن عروج اضطر بعد مرور مدة معينة من القصف إلى وقفه ،و تأجيل أمر تحريرها الى وقت لاحق ريثما تتوفر الفرصة المناسبة لذلك .

و من أبرز الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة ،و التي أثير حولها الكثير من الجدل هو حادث مقتل سالم التومي ،فقد اختلفت الروايات التاريخية حول تلك النهاية ،و لكن مهما اختلفت الروايات فإن الذي حدث هو نهاية الشيخ سالم التومي ،و انتهت معه مشيخة الجزائر ،ليبدأ فيها منذ أواخر سنة 1516 م عهدا جديدا كانت بدايته تحت قيادة عروج ،الذي بدأ في وضع معالم الدولة الجديدة .[1]

كما جاء إلى عروج وفد من تلمسان يصف له الوضع السياسي في العاصمة الزيانية ،و ما انتابها من فوضى و اضطراب من جراء تنازع أفراد الأسرة الزيانية و تطاحنهم على السلطة ،و طلب هذا الوفد من عروج نجدتهم من السلطان أبي حمو الثالث الذي جلس على عرش تلمسان بإعانة الإسبان و تحت حمايتهم بعدما أدان لهم بالطاعة و أعلن لهم بالتبعية ،و سجن الملك أبي زيان [2]،فلبى عروج دعوتهم و استقبله الأهالي و أعاد الملك لهذا الأخير [3].

بعد وفاة عروج ، عزم خير الدين على مغادرة الجزائر ،حيث جمع أعيان المدينة و علمائها و عرض عليهم فكرته قائلا لهم :"إني عزمت على السفر الى حضرة السلطان ،و قد أمنت الآن على بلادكم ،من العدو "[4] فقد ورد في كتاب الزهرة النيرة أنه قال لسكانها "أمنت على بلادكم من العدو بما تركت فيكم من العدة و المجاهدين و من وصل اليكم من أهل الأندلس ...لأني تركت فيكم من العدة أكثر من 400 مدفع و لم يكن في بلادكم و لو مدفع واحد ".[5]

غير أن مجلس الأعيان تشبتوا ببقائه بينهم حيث قالوا له :"يا أيها الأمير ،لا تطيب أنفسنا بفراقك ،و لا نسمح لك بذلك ،فان الله تعالى قد نصرنا بك على العدو ...أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها و الدفاع عن ضعفاء أهلها،و لا رخصة لك في الذهاب عنهم و تركهم عرضة للعدو "[6]

---

[1]:فكاير عبد القادر ،الصراع الجزائري الإسباني ،مرجع سابق ،ص81.

[2]:أبو زيان : هو السلطان أبو زيان أحمد الثابتي بن عبد الله ،تولى عرش تلمسان سنة 923 ه /1517 م أنظر :

- عبد الرحمن الجيلالي ،مرجع سابق ، ج 2، ص 223 .

[3]: محمد بن عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور و دورها في سياسة و حضارة الجزائر ،م و ك ، الجزائر ،1984 ،ص 229 .

[4]:مجهول ،غزوات ،مصدر سابق ،ص41.

[5]ابن رقية ،مصدر سابق ،ورقة 17.

[6]:مجهول ،غزوات ،مصدر سابق ،ص17.

فلما ألحوا عليه بالبقاء بينهم ، فعند ذلك قال لهم خير الدين : " أنتم رأيتم ما وقع من اللاعبين الكفار ولا يؤمن عواملهم وقد ظهر لي من الرأي أن نصل بيدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا سليم ".[1]

إن إصرار السكان على بقاء خير الدين لدليل على ثقتهم فيه ،و أما شرط خير الدين فهو دليل على حنكته السياسية ،حيث استطاع أن يقنع الجزائريين بإلحاق بلادهم بالدولة العثمانية من جهة و على تبصره بالظروف المحيطة به من جهة أخرى ،لأنه كان يعرف الكثير عن نوايا الإسبان ،و عن مدى أطماعهم في شمال إفريقيا ،و كان يشعر بأخطار الهجمة الإسبانية على الجزائر ،و أنه غير قادر على مقاومة القوات الإسبانية لوحده ،و لذلك قرر أن يتصل بالسلطان العثماني ،و يعرض عليه خدماته ،و يظهر له الطاعة و الولاء ،لكي يضمن لنفسه سندا قويا في مواجهة الإسبان[2].

فلم ير أهل المدينة رأيا أصوب منه فاستحسنوه و راحوا يعدون خطابا يحتوي على تفاصيل الأوضاع في الجزائر ،و المبررات التي دفعتهم لاعلان الولاء له ،و جه فيما بعد خير الدين و فدا من الأعيان و على رأسه أحد رجاله الثقاة و هو الحاج حسين ،إلى القسطنطينية لطلب حماية السلطان سليم الأول .[3]

وقد نشر الدكتور عبد الجليل التميمي ترجمة عربية لوثيقة تركية محفوظة في دار المحفوظات التاريخية بإسطنبول تحت رقم 6456 ، وهي رسالة أهالي الجزائر على اختلاف مستوياتهم بتاريخ 26 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 1519 م ، وكان هدف خير الدين ربط مصير الجزائر رسميا بالدولة العثمانية ، رسالة موجهة بإسم جميع الطبقات من القضاة والخطباء و الأئمة و التجار والأعيان وكافة السكان ، ،وهذا دليل على رغبتهم الجامحة في التخلص من الذل وهيمنة النصارى التي بدأت تتلاشى من موانئ المغرب .[4]

وجاء في نص الرسالة ما يلي : « ...إن أهل مدينة الجزائر هم عبيد السلطان العثماني، ليس لهم أحد سواه ، يلجأون إليه في موقفهم الحرج استفادوا بأفضال بابا عروج في مدافعة الكفار ، لأنه

---

[1]: جمال قنان : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر (1500 – 1830م) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة،1987 ، الجزائر ص 43 .

[2]: حليم ميشال حداد و عاطف عيد ،قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم ، المجلد 28 ،قسم الجزائر ، بيروت ص 119 .

[3]:حكم الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة ما بين ماي 1512 م و سبتمبر 1520 م.

[4]: حلمي محروس إسماعيل ، تاريخ العرب الحديث - من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى - ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ، ص ص25-26.

كان ناصر الدين و الحامي المجاهد في سبيل الله ، إلى أن سقط شهيدا في حصار الإسبان لمدينة تلمسان ، وخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله خير الدين ، وكان له خير خلف ، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل و الإنصاف ، وإتباع الشرع النبوي الشريف ، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم و الإجلال ،وكرس نفسه وماله للجهاد لإرضاء رب العباد ، وإعلاء كلمة لله ....».[1]

و لما وصلت البعثة إلى إسطنبول استقبلت بحفاوة كبيرة من قبل السلطان الذي قبل هديتهم و وافق على طلبهم و أثناء عودتهم أرسل معهم راية و خطابا إلى أهل مدينة الجزائر ،يعلمهم فيه أنهم أصبحوا من تشملهم عنايتهم .[2] كما أرسل معهم بعض القطع المدفعية و كميات من الذخيرة الحربية بالإضافة الى ألفي جندي ببنادقهم كما رخص بانتقال المتطوعين إلى الجزائر .

إستجاب لنداء السلطان أربعة آلاف متطوع الذين التحقوا بالجزائر ،كما منح السلطان خير الدين لقب بايلرباي أي أمير الأمراء.[3]

[1] :عبد الجليل التميمي ،أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519 م ،المجلة التاريخية المغربية ،العدد 06، 1976 ، ص 120 .

[2]:مجهول ،غزوات ،مصدر سابق ،ص 42.

[3] :Grammont (H de) ,Op Cit ,p30.

و أهم ما يمكننا استنتاجه من هذا المدخل ما يلي :

تحتل الجزائر بصفة عامة و المنطقة الغربية منها بصفة خاصة ، بموقع استراتيجي هام بحيث تضاريسها متنوعة اشتملت على العديد من الأراضي الخصبة و الموارد المائية الهامة ،و نتيجة لهذا الموقع الهام عرفت معظم مدنها إزدهارا إقتصاديا ملحوظا و هذا ما شجع الإسبان على احتلال هذه المنطقة .

إن العدوان الإسباني على الجزائر في بداية القرن السادس عشر كان نتيجة العديد من التطورات التي عرفتها إسبانيا منذ توحيدها ،بحيث وضعت نصب أعينها مسألة القضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس و لم تكتفي بهذا فقط ،بل قامت بمطارة المسلمين الفارين من الأندلس إلى شمال إفريقيا و احتلت أهم مدنها الساحلية .

كما ساعدت الأوضاع المتردية التي كان يعيشها الشمال الإفريقي عامة و الغرب الجزائري خاصة و المتمثل في ضعف الدولة الزيانية ،الإسبان في تحقيق مشروعهم التوسعي ،اذ قاموا بإرسال العديد من الجواسيس إلى مملكة تلمسان لكي يتمكنوا من وضع مخطط لإحتلال المنطقة و بالفعل فقد نجحوا في احتلال بعض المدن الساحلية بالقوة العسكرية مثل المرسى الكبير و وهران ،كما تمكنوا من وضع بعض المدن تحت سلطتهم بواسطة فرض المعاهدات .

و نتيجة لظهور الخطر الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،قام أعيان مدينة الجزائر بالإستنجاد بعروج ،و هو ما أدى إلى قيام سلطة جديدة في مدينة الجزائر التي أخذ شأنها يتعاظم للوقوف في وجه العدوان الإسباني ،بحيث دخلت في صراع مع الإسبان حول كامل مدن الغرب الجزائري منذ البداية و خاصة مدينة تلمسان، و بالتالي تم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية ،أكبر دولة إسلامية في ذلك الوقت ،و التي قدمت المدد الكافي لمدينة الجزائر طيلة فترة حكم العثمانيين للجزائر .

الفصل الأول :

قبائل الغرب الجزائري و علاقتها بالإسبان

1- تعريف القبائل و تنظيمها .

2-القبائل المتعاونة مع الاسبان .

3-أسباب تعاون القبائل مع الإسبان .

3-1 :شن الغارات .

3-2 :المنطقة الجغرافية للقبائل .

3-3 :تخوف القبائل من الأتراك .

3-4 :استغلال الأراضي الزراعية .

3-5 :طمع القبائل في أموال الإسبان .

4-علاقة القبائل بالإسبان .

4-1 :معاهدة الأمان .

4-2 :الجوسسة .

4-3 :التجارة .

4-4 :الضرائب :

4-4-1 :ضريبة السيغورو .

4-4-2:ضريبة الرومية .

4-5:الأسرى.

تطرقت في هذا الفصل إلى مفهوم القبيلة بصفة عامة و أهم تنظيماتها ، ثم أشرت إلى أهم قبائل الغرب الجزائري المتعاونة مع الإسبان و أسباب مساعدتهم و التي تمثلت خاصة في شن الغارات و طمع القبائل في أموال الإسبان .

ثم عرجت على علاقة القبائل بالإسبان فتناولت معاهدة الأمان المبرمة بين تلك القبائل و الإسبان.

و أخيرا ذكرت عملية الجوسسة في المنطقة و النشاطات التجارية إضافة إلى التحصيل الضريبي و ختمت هذا الفصل بالإشارة إلى موضوع الأسرى و ما عرفه من شد و جذب .

1-تعريف القبائل و تنظيمها :

إن القبيلة هي وحدة سياسية للسكان مثل العائلة ،ووحدة إجتماعية تتكون من تجمع عدد من الدواوير تنتمي الى جد مشترك ،كما تمثل وحدة اقتصادية و إستقلالية إدارية نسبية ،فكل قبيلة كانت هي التي تضبط أساس الجباية ،وتسهر على استخلاصها ،إضافة إلى أن القبيلة هي وحدة قانونية و ذلك بتسويتها لجميع النزاعات أمام مجلس المجموعة أو حاكمها .[1]

كما أن القاعدة الإجتماعية لتنظيم القبائل كانت تتمثل في تجمع عدد من الدواوير أو الخيام و مجموعة هذه الدواوير تشكل فرقة يحكمها شيخ ،و هذه القبائل و الفرق ليست غريبة عن بعضها البعض بحيث تنتسب الى نسب واحد ،و أعلى طبقات النسب هي :الشعب ثم القبائل ثم العمائر ثم البطون ،ثم الأفخاذ ثم الفصائل.[2] و قد كان التقسيم الجاري به في هذه الفترة هو أن الشعبة تسمى صفا و القبيلة عرشا و الفرقة خروبة[3] .[4]

و القبيلة خاضعة للتطور ،فهي تكبر بالتحالف مع قبائل أخرى أو بغير ذلك ،حتى تغطي منطقة بكاملها ،و تصبح قوة سياسية و عسكرية يحسب لها ،لأن أفراد القبيلة كانوا كلهم محاربين ،و هؤلاء الفتيان المحاربون في القرى هم بمثابة الأسوار في المدن .[5]

و تعيش القبيلة كالدولة ،بتاريخ وطني تعبر عنه بعاداتها ،و بتحالفات مستقرة و ثابتة ،و بخط سياسي واضح و مضبوط ،و براغماتية نفعية و ادراك للمصالح العامة .[6]

---

[1]:لوسيت فالنسي ،المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830 ،ترجمة الياس مرقص ،دار الحقيقة للطباعة و النشر ط1 ، بيروت ،1980 ،ص ص 43-44.

[2]:الأمير عبد القادر ،مذكرات،سيرته الذاتية ،تحقيق محمد الصغير بناني و آخرون ،ط3 ،شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر ،1998 ،ص 82 .

[3]: الخروبة : هي وحدة عائلية تخضع لسلطة الكبير في العائلة الذي له حق الإشراف على أمور الخروبة مثل : حفظ النظام و فض المشاكل العائلية ،و اليه يرجع أمر الزواج و الطلاق ،فمجموع العائلات يؤلف الخروبة ،و مجموع الخروبة يؤلف القبيلة انظر:

- أحمد توفيق المدني ،كتاب الجزائر ،دار المعارف ، ط 2 ،الجزائر ، 1963 ، ص 102 .

[4]: توفيق دحماني ،النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193 هـ-1779 م/1246 هـ-1830م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الجزائر ،2003-2004 ، ص51.

[5]:بلبروات بن عتو ،المدينة و الريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة وهران ،2008/2007 ،ص 254 .

[6] :Daumas Eugène ,Mœurs et coutumes de l’Algérie ,Introduction Djeghloul Sindbad ,Paris ,1988 ,p 31.

تعد القبيلة بنوعيها الزراعية (المستقرة)و الرعوية (المتنقلة)،الأساس الثاني بعد الأرض للحياة الإجتماعية [1]،و هذا يؤكد قول نوشي :" لن نفهم شيئا عن المغرب العربي إذا إستبعدنا القبيلة "[2] و يعيش العرب و البربر وفق هذا التنظيم القبلي القوي كما عبر عن ذلك الجابري بقوله :" إن القبيلة ...تكبر بتحالف أو غيره ،حتى تغطي منطقة بكاملها ،و تصبح قوة سياسية و عسكرية بحسب حسابها ،لأن أفراد القبيلة الذكور كانوا كلهم محاربين و كان دورهم الإجتماعي تابع لدورهم الحربي قوة و ضعفا ،و كان هؤلاء الفتيان المحاربون في القرى بمثابة الأسوار في المدن "[3] .

يذكر لوجي دو تاسي أن القبائل مركبة من زخم من العائلات الريفية ،نميز بينها بأسماء المناطق و الجهات التي تسكنها ،و أحيانا بأسماء أجدادهم الذين ينحدرون منهم .[4] تسكن هته العائلات في خيام بحيث تشيد الخيمة بعمودين كبيرين ،و يتشكل بابها من أغصان الأشجار و تمتد الخيمة طولا ،و توجد بها سقيفة مربعة الشكل في الوسط تفصل بين بيت الأسرة و المكان المخصص للحيوانات.[5]

و قد تحدث حمدان خوجة عن الخيمة فذكر أنها تُشد بواسطة أوتاد ،و تقاس ثروة المالك بعدد الأوتاد التي تشدها ،كما تحاط بحجارة توضع عليها الأواني ،و يوجد في المطبخ الطناجر و القدور المصنوعة من الطين ،أما الملاعق و الصحون و الأواني التي تحفظ السمن و العسل فكلها مصنوعة من الخشب ، غير أن المطبخ يخصص أيضا لتربية الدواجن [6].

كتب شالر عن سكان الريف قائلا :"و يسكنون في الخيم و هم دائما يغيرون محل اقامتهم تبعا للفصول و لتوفر الكلأ لحيواناتهم ".[7]

---

[1]: احميدة عميراوي ،علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي ،البعث ،الجزائر 2002 ، ص 21 .

[2]:لطرش حنان ،السلطة و المجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني ،شهادة ماجستير ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ، 2005 /2006 ، ص 29 .

[3]: محمد عابد الجابري ،العصبية و الدولة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1992 ، ص 23 .

[4] : Laugier De Tassy ,Histoire du royaume d'Alger ,Henri du Sauzet , Amsterdam 1927 ,pp 44-45.

[5] :Ipid ,pp 45-46.

[6]: حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ، ص ص 71 - 72 .

[7]:شالر وليام ،مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824 م ،تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1982 ،ص108.

و تحتل الخيمة حيزا جغرافيا أوسع من ذاك الذي تحتله المنازل و القرابى ،لكن إتساع المساحة لا يعني كثرة السكان ،فالمناطق التي يسكنها الرحل هي الأقل من حيث العدد ،غير أن الخيمة من جهة أخرى سجلت حضورها في المناطق السهلية حتى أنها وصلت إلى البحر في غرب وهران ،و إلى مستغانم في شرقها لكن دائما في المناطق السهلة التي تقل فيها الحواجز الطبيعية الصعبة [1].

و ذكر هاينريش أن الدوار هو إجتماع ما بين عشرين إلى ثلاثين خيمة ،كل خيمة مصنوعة من جلد البقر ،وهي لا تقفل و معرضة للريح و المطر و كل مجموعة من الخيم محاطة بسياج من الأعواد و الأشواك توضع فيها الماشية في الليل ،و قد توجد حول هذه الخيم كلاب لحراسة الماشية من الحيوانات المفترسة ،[2] أما شلوصر فقد عدد مجموعة خيم الدوار الواحد بخمسين إلى مائة خيمة ينظم شؤونهم شيخ الدوار ،فهم خاضعون له عن طيبة خاطر ،و يكون عدد من الدواوير بلادا يحكمها قائد .[3]

و كانت التجمعات السكنية التي يطبعها إستخدام الخيام في دواوير الغرب الجزائري كبيرة حيث يصل عدد الخيام الى خمسمائة خيمة بين الواحدة و الأخرى مسافة ،و توضع على شكل دائري ،و حول الخيام قطعان كبيرة من المواشي و مجموعة من الكلاب [4].

أما العالم الألماني هاينسترايت تحدث عن وضعية سكان الريف قائلا :"عرفت أن كل ما تتكون منه ثروة العربي ،خيمة مسودة من دخان الموقد ،ينقلها حسب رغبته من مكان الى آخر و قطيع ماشية و زاد من القمح محفوظ في أحد المطامر و بعض الأثاث ."[5]

و إذا كانت الصفوف تتشكل من مجموعة قبائل ،فإن أعضاء القبيلة كانوا مرتبطين بعضهم ببعض بحيث يمتلكون قطعة أرض بشكل مشترك ،و يمارسون نشاطهم داخلها ،وكان يقودهم شيخ يتولى ذلك و هذا ما يؤدي بنا إلى التساؤل عن كيفية وصول المرء إلى رتبة شيخ؟

---

[1] : Augustin Bernard ,Edmond Doutté ,L'habitation rurale des indigènes de l'Algérie ,in Annales de Géographie ,1917 ,N 141 ,T 26 ,p 220.

[2]: هاينريش فون مالستان ،ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ،ترجمة أبو العيد دودو ،ش . و . ن . ت ، ج1 ، الجزائر 1980 ، ص ص 177-187.

[3]:شلوصر ،فندلين ،قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 ،ترجمة و تقديم أبو العيد دودو ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ،1980 ،ص 89.

[4]:أبو العيد دودو ،الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830 – 1855 ، م . و .ك ،الجزائر ،1989 ، ص 135.

[5]:رحلة العالم الألماني ج .أو .هاينسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145 ه /1732 م)، ترجمة وتقديم و تعليق ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الاسلامي ، تونس ،بدون سنة النشر ،ص 59.

في الواقع كان يتولى أعضاء الجماعة فيما بينهم بالإتفاق ، و التناقش الحر تعيين العضو الأكثر نفوذا لشغل منصب شيخ القبيلة .[1]

و يتم تمييزه في القبيلة حيث تكون خيمته وسط بقية الخيام الأخرى و يختار لها مكانا أرفع مقارنة بغيرها .[2] و نظرا لطبيعة اختيار الشيخ ،فإن سلطته الادارية كانت تعتمد على رضى أفراد القبيلة و تنفيذ ما اتفق عليه أكابرها في الشؤون الهامة ،وهذا ما أكسب الشيخ في الغالب سلطة أبوية غير محدودة و قدرة على تنفيذ القرارات الصادرة من القايد .

تتنوع مهام الشيخ حسب حاجات القبيلة التي يشرف عليها ،فهو مكلف بمراقبة مواسم الحرث و الحصاد و تقسيم الأراضي بين العائلات إذا كانت الأرض مشاعة ،و ينظر في قضايا توزيع مياه الري و تخصيص المراعي و اختيار مكان استقرار الدوار اذا كانت القبيلة تمارس حياة الترحال الموسمي .[3]

كان شيوخ القبائل يتمتعون بسلطات واسعة مما جعل منهم زعماء المناطق الريفية الحقيقيون فقد كانوا في أواخر العهد الزياني بتلمسان مصدر قوة الدولة الفعلية و مواقفهم السياسية كانت حاسمة [4].

و على العموم كان شيوخ القبائل يمارسون وظائفهم في إطار القبائل و الأعراش بترأسهم لهيئة الجماعة التي كانت تدير شؤون القبيلة و فق القوانين العرفية الخاصة بها .[5]

و قد ذكرت لوسيت فالنسي بأنه إذا عامل شيخ القبيلة رعاياه معاملة سيئة ،أو لم يحترم المبادئ فان السكان لا يتآمرون عليه ،و لا يثورون ،بل أن كل القبيلة تتخلى عنه و تلتحق بقبيلة أخرى و الذي يستقبلهم شيخها و يرحب بهم [6]،إذن كان الشيخ في القضايا المهمة يستشير رؤساء الخيمة

---

[1]: لوسيت فالنسي ،مرجع سابق ،ص129.

[2] : Laugier de Tassy ,Op Cit , p 55.

[3]:بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ،ص 396.

[4] :Rufe ,Op Cit ,pp 13-16.

[5]:عمر حرفوش ،الادارة الجزائرية في العهد العثماني "الادارة المركزية نموذج "،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر ،2008-2009 ،ص78.

[6]: لوسيت فالنسي ،مرجع سابق ،ص ص 129 - 130.

الخيمة أو العائلة في الأمور الهامة ،و ما كان يهم المرء في كل الحالات هو قدرة الشيخ على حمايته ،و إنتزاع حقوقه من خصومه .[1]

2– القبائل المتعاونة مع الإسبان :

لقد أدى الوجود الإسباني في وهران و المرسى الكبير و الوجود العثماني في باقي الغرب الجزائري إلى فرز بين القبائل ،منها ما انضمت إلى الإسبان و منها ما انضمت إلى الأتراك العثمانيين أما القبائل الواقعة على الحدود الفاصلة بين إقليمي الإسبان و العثمانيين فقد ظلت مترددة بين التبعية لهؤلاء و أولئك بحيث لما تضعف شوكة الإسبان تقترب من العثمانيين، وتقترب من الإسبان عندما تضعف شوكة العثمانيين ،يتجدد ذلك في كل مرة يهاجم الأتراك العثمانيين المنطقة أو يهاجمون وهران و المرسى الكبير[2] .

تعود جذور علاقة قبائل الغرب الجزائري بالإسبان عقب إحتلال الإسبان للمرسى الكبير سنة 1505 م ،عندما فتح الاسبان سوقا تجاريا بجوار المدينة من أجل تزويدهم بما يحتاجونه من المحاصيل الزراعية و الحيوانية ،مقابل ما كان عند الاسبان من الذهب و الفضة [3] ،لكن جماعة المسلمين اعتبرت أولئك المتعاونين خونة و عاملتهم معاملة العداء ،و أخذت توجه ضدهم الغارات و الهجوم على سوق التعاون هذا بصورة دائمة ،استمر ذلك الموقف إلى أن إحتل الاسبان مدينة وهران .[4]

و بعد إحتلالهم لوهران زاد إهتمام الإسبان لكسب ود العرب القاطنين حول المدينة مستعملين في ذلك جميع الأساليب و الطرق ،و هذا ما أدى ببعض القبائل إلى إعلان ولائها للإسبان .

كان شيخ بني عامر ،عبد الرحمان بن رضوان ،أول من إنظم إلى الإسبان ،بعد أن تأكد من إنهزام العثمانيين ،و مقتل عروج ،و إستمر التحالف بين بني عامر و الإسبان مدة طويلة ،هذا ما استخلصناه من الرسائل المتبادلة فيما بينهم ،و التي يعود تاريخها إلى عام 942 ه/1535 م .[5]

---

[1]:توفيق دحماني ،الضرائب في الجزائر (1206-1283 ه/1792-1865 م)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الجزائر ،2007-2008 ،ص427.

[2]: صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 -1830 ، دار هومة ، ط2 ، الجزائر ، 2007 ، ص 303 - 304 .

[3]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص344.

[4]:أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ،ص ص 101-102.

[5] : L. Feraud ,lettre arabes de l'époque de l'occupation Espagnole en Algérie , in R.A 1873 ,N 17 , pp318.

تمكن الإسبان من توسيع منطقة نفوذهم في المنطقة الغربية للجزائر إلى الشرق و الغرب و الجنوب في شعاع يصل طوله إلى حوالى 20 فرسخا من وهران ،و لقد أكد تقرير الدوق كانزانو حاكم وهران في أواخر القرن السابع عشر ،على أن شريط بني غدو هو الحد الشرقي للسيادة الإسبانية ،و أن إقليم جماعة فلاحي بني يعقوب هو الحد الجنوبي ،و إقليم جماعة أولاد ميمون هو الحد الغربي ،هذا ما أكده كذلك تقرير أرامبورو ،الحاكم الإسباني ،بحيث جاء في تقريره بأن الإسبان كانوا يسيطرون قبل الإنسحاب الأول سنة 1708 م ،على منطقة تمتد غربا إلى وادي تلمسان ،على بعد 14 فرسخا من وهران ،و تمتد شرقا إلى 20 فرسخا ،أي إلى ما قبل الوصول إلى الشلف بفرسخين ،و تمتد إلى الجنوب إلى أبعد من وادي السيق إلى المكان المعروف بإسم مقرة ،على بعد 20 فرسخا من وهران ،يستثنى من هذه المنطقة مدينتا مزغران و مستغانم [1] .

يعطي المشرفي تحديدا عدديا للقبائل المتعاونة مع الإسبان و يركز عليها في سرده لبعض الأحداث التاريخية إلا أنه قد تجاهل و لم يذكر في إحصاءاته قبائل أخرى كانت لها روابط و علاقة تحالف مع العدو ، ربما كان ذلك نتيجة و سببا في غلو القبائل الأولى في معاضدة الإحتلال أكثر من غيرها[2] و هذه القبائل هي: كريشتل-شافع-حميان-غمرة-جيزة-أولاد عبد الله-أولاد علي-الونازرة.

2-1كريشتل:

نسبة لجدهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمان المغراوي[3]، و أصل مسكنهم قرب مصب نهر الشلف ثم انتقلوا الى مزغران في هجرة ثانية و منها إلى أرض متوعرة كانت مرتعا و مسرحا لقبيلة بني زيان[4] ثم الى سيرات ،الواقعة في شرق مستنقعات المقطع شمال المحمدية،اشتغلوا بالزراعة و التجارة[5] يبلغ عددهم حوالى الستين دوارا[6] ، و هي بطن من من بطون زناتة في أواخر عزها و مجدها إذ تلاشت قوتهم و ضعفت شوكتهم و ساءت أحوالهم فاغتصبوها منهم و استقروا بها منذ بداية القرن الثامن الهجري،و لما طاب لهم المقام بها شرعوا في

1: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 304 .

2:بلبوري سيد أحمد،المرجع السابق،ص36.

3 :عبد القادر المشرفي الجزائري،بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر،تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم،بدون دار النشر،بدون تاريخ،ص 13.

4:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس الاسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر،مجلة الحوار الفكري، عدد7 مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة،ديسمبر 2007 ،ص147.

5:فكاير عبد القادر،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ، ص 345.

6:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص144.

تشييد قرية صغيرة حملت اسمهم[1] نظرا لما تتوفر عليها من امكانيات استراتيجية لكون موقعها في غاية التحصين اذ هو محاصر من الجهتين بالبحر و الجبل الذي يصعب على الغازي اقتحامه و ذلك لعدم توفر طرق المواصلات البرية ما عدا الممر الجبلي الضيق الوعر الذي يخول لها التفتح على العالم الخارجي و المناطق المجاورة لها.[2]

وكان شأنهم مع الاسبانيين جلب الأخبار لهم وتغطيس الناس فهم "المغاطيس" ويقال لهم المغطسون فهذا الاسم هو لهم على الحقيقة ,ولغيرهم على المجاز ، ويحكى أنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم ،بأن باعوه للإسبانيين غفلة منه وكيفية التغطيس انهم يأتون بدوابهم للدواوير على صفة الحضر المتجولين بالدواوير ,البائعين للعطرية.[3] ومعهم مناطقة من الجلود الفلالية. فإذا وجدوا خبرا جلبوه للنصارى وإذا رأوا فرصة في الصغير أو الكبير أخذوه وجعلوا الجلود على فيه كي لا يتكلم وحملوه على دوابهم ومشوا به ليلا لوهران فيبيعونه للإسبانيين وينتفعون بثمنه.[4]

و نسب إليهم أنهم كانوا يقومون بهذه الأعمال رغبة في جمع المال ،و قد أدت صلاتهم بالاسبان إلى الاستقرار حول وهران ،و كانت لديهم زوارق يسافرون فيها من مدشرهم لوهران إذا اشتد عليهم الأمر و سدت عليهم الطرق البرية ،يحملون فيها للإسبانيين سائر الخضر و نحوها و كان الإسبانيون لا ينقطعون عنهم في البحر لأخذ ما يفتقرون إليه من عندهم ،و كان من الكرشتليين بعض الأعين للنواحي الشرقية و القبلية . [5]

2-2قبيلة شافع:

وهم بطن من بطون بني عامر التي بالمغرب وذلك أن بطون بني عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ,ثلاثة لا غير:

<u>البطن الأول</u>: هم شافع بن عامر بن زغبة الهلالي ,وبطونهم أربعة ,وهم :

---

[1]:تقع على بعد 15 كلم من وهران بحرا.

[2]: بلبوري سيد أحمد،المرجع السابق،ص37.

[3]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق،ص13.

[4]: نفسه ،ص14.

[5]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني،مرجع سابق ،ص345.

الشقارة ,نسبة لشقرة بن شافع بن عامر بن زغبة .وأولاد مطرف ,ويقال لهم :"المطارف" نسبة لمطرف بن شافع بن عامر بن زغبة .وأولاد صالح ،ويقال لهم "الصوالحية" نسبة لصالح بن شافع بن عامر ين زغبة ,وأولاد بالغ ,نسبة لبالغ بن شافع بن عامر بن زغبة الهلالي.

البطن الثاني: هم بنو يعقوب الذين تنسب اليهم أرض اليعقوبية ،و بطونهم خمسة عشر.

البطن الثالث : هم "بنو حميد " وبطونهم ستة وستون بطنا مختلفة.[1]

قبيلة من قبائل العرب كانوا متفرقين في الجزيرة العربية ،ثم هاجروا إلى الشام ومصر ،و منها زحفوا إلى المغرب الاسلامي سنة 442 هـ/ 1050 م في نطاق هجرة بني هلال ،كانوا يقيمون بالعين البيضاء بملاتة وكذا في جبال سيدي سعيد التلمساني ،وكان منهم الرعية للنصارى لدرجة أنهم وصفوا بأنهم هم الإسبانيون دون غيرهم من اخوانهم من بني عامر .[2]

كما أنها تعد القبيلة الثانية الموالية و المتعاملة مع الاسبان إلا أن تعاونها هذا بعيد عن الميدان التجاري و الاقتصادي بل كان مقتصرا على الإنخراط في السلك العسكري حيث عملوا كجنود مرتزقة و ذلك لبأسهم الشديد و قتالهم العتيد.[3]

كان عددهم نحو العشرين دوار وكانوا أهل نجدة و بأس شديد،و تقوى بهم الاسبان و اشتدت شوكتهم على المسلمين فكانوا عيونهم الباصرة و جنودهم الهائلة الماكرة[4].

2-3قبيلة حميان:

هم قبيلة عظيمة نسبة لجدهم حميان بن عقبة بن يزيد ابن عيسى بن زغبة الهلالي[5]،سكنوا[5]،سكنوا أول الأمر بأرض الحفرة من ملاتة ثم اقتطعهم الأتراك العثمانيين أرضا بالغرب من تامزوغة نحو ساقية سيق إلى أن جاءت الحملة الاسبانية التي تفرغت بعثاتها بالهجوم على العبيد الشراقة حذو المقطع فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين و رجع فلهم لوهران[6]،و هكذا تم لهم الإستقرار جنوب كانستال و شرق مدينة وهران[7] ، كان عددهم حوالى الثلاثين دوارا و لهم بسالة عظيمة و مكيدة

---

[1]:عبد القادر المشرفي،المصدر السابق،ص15.

[2]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص346.

[3]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق،ص39.

[4]:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص144.

[5]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق،ص24

[6]:الآغا بن عودة المزاري،طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى اواخر القرن التاسع عشر ،تحقيق يحي بوعزيز الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى بيروت لبنان،1990، ص 233.

[7]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق،ص39.

مكيدة في الحروب و فتك عظيم بالمسلمين[1] بحيث يذكر فاليجوا في احدى مذكراته أن حميان و شافع يتحالفون دوما مع الإسبان و هم أحسن الأصدقاء لهم[2].

و يذكر المشرفي أن هذه القبيلة اشتهرت بالترحال من مكان لآخر و اتبعت في ذلك الحياة البدوية المتنقلة.[3] و كان لهؤلاء حميان رغبة شديدة في التنصر حتى أن الباشا ابراهيم[4] باشا الجزائر لما أتى وهران غازيا في أثناء القرن الحادي عشر و هو أول من غزى وهران من الأتراك و صعد للمايدة و نصب بها مدافعه فلم يفده ذلك شيئا و صعبت عليه، فارتحل راجعا لمملكته ،حينئذ وقع للنصارى الإسبانيين الإعتناء الشديد بقلعة مرجاجو،فصعب عليهم الماء ،وكان أول من أتى لهم من جندهم و رعيتهم بقرب الماء لأجل إقامته و تحصينه شيخ حميان بقبيلته[5]،و قد هاجم بعض الأدباء إثر هذا التصرف الذي قام به شيخهم في مساعدة الإسبان و نصحهم على بناء الحصن فقال:

لَأَنْكَبْ أَلْمَا من قَرَية لِمَنْ يقُولْ أَنَا حَمْيَانِي
أَدْفَعْ الكَلْب مَع رَبه و قُلْ قَلْبُهُ مَا زَالَ نَصْرانِي.[6]

و لما أعجبوا برأيه خشوا من فتكه بهم و قالوا :"المدبر لنا مدبر علينا " فنووا الفتك به و شرعوا في بناء هذه القلعة و حفروا بقرب أساسها بئرا شديد العمق ،و ألقوه فيه.[7]

2-4قبيلة غمرة:

سكنت بجوار حميان[8] أصلهم من بأرض الحفرة من ملاتة و تعايشوا معهم طويلا إلا أن نسبهم يختلف عن الآخرين فهم ينتسبون إلى البربر عن طريق جدهم غمرة البربري[9]، عددها يزيد على

---

[1]:حنيفي هلايلي ،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص145.

[2] :Don Joseph vallejo ,mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de mers-el-kébir Ecrit dans les premiers jours de l'année 1734,R.A, volume 66, Alger, 1925, p353.

[3]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق 24.

[4]:إبراهيم باشا :باشا الجزائر من 1732 م إلى 1745 م.

[5]:عبد القادر المشرفي ،مصدر سابق،ص 24 .

[6]:حساني مختار ،تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الاسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوطتين :فتح وهران للجامعي ،الرحلة القمرية لابن زرفة ،جامعة الجزائر ،مخبر المخطوطات ،الجزائر ،2003،ص142.

[7]: عبد القادر المشرفي، مصدر سابق،ص28.

[8]:حنيفي هلايلي ،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص 145.

[9]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص347.

على الستة دواوير و قد نصروا الإسبانيين نصرة شديدة على المسلمين حتى كانوا لهم عضدا في كل شيء. [1]

2-5قبيلة قيزة:

و يقال لهم جيدزة و هم فرقة من بني عامر من أولاد عامر بن ابراهيم نسبة لجدهم جيزة بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف ابن سعيد ابن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي[2]،سكنوا نواحي تارقة القريبة من عين تموشنت حتى سمي الجبل بإسمهم إلا أن هذا المكوث لم يدم طويلا شأنه في ذلك شأن الفرق الأخرى المتنقلة الغير قارة،و لما تم اللقاء بينهم و بين إخوتهم الونازرة انتقلوا مصطحبين إياهم إلى جهة ملاتة فسكنوا بضواحي تامزوغة[3] ووادي الغاسول[4] ،خضعت للاسبان سنة 1517 م ،[5]و كانوا اهل بأس شديد و لهم قوة و بطش و فتك بالمسلمين[6] .

والملاحظ أنه أثناء اشتداد الحصار على الإسبان فقد سكنوا معهم و أقاموا في أبراجهم أي ما بين البرج اليهودي و برج مرجاجو و كانت لهم محبة شديدة مع الإسبان [7] بحيث ساندوهم طويلا في مختلف المجالات منهم من دخل في سلك الجندية و منهم من إنظم إلى فئة المغطسين و قد سموا باللصوص نتيجة لما قاموا به من عمليات إختطاف للأهالي [8]، و سبب ضعفهم تسلطهم على ولي الله سيدي أحمد الحلفاوي منهم فدعا عليهم بالشر فتقبل الله دعائه[9] بحيث جاء ذكر هذه القبيلة في منظومة الحلفاوي الجزائري جاء فيها ما يلي "...فما زالوا يجسرون العدو بخيلهم و رجلهم على اقتحام حلل المسلمين و دورهم و انتهاك حرمتهم و التلاعب بالأديان و موالاة الكافرين بالخدمة و النصيحة و المبايعة لهم على الطاعة و الإذعان ."[10]

---

[1]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق،ص 25.

[2]:نفسه ،ص26.

[3] :تقع أسفل جبل بوحنش ،في سهل مليتة جنوب سبخة وهران .

[4]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق،ص40.

[5] : Mohamed El Korso et Mikel de Epalza , Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle d'après le rapport Aramburu , Alger , 1978 , p 85.

[6]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق،ص26.

[7]:حنيفي هلايلي، عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص145.

[8]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق،ص40.

[9]:عبد القادر المشرفي ،مصدر سابق،ص27.

[10]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق،ص41.

2-6قبيلة أولاد عبد الله:

و هم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم عبد الله بن صغير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي[1]. كان مسكنهم بوادي الثلاثاء بملاتة و يفوق عددهم الستين دوارا، ذوو بطش شديد و مكر عتيد [2] ،كما كان لليهود عليهم صولة عظيمة وكانوا أشد نصحا و إعانة للاسبان ،يقبلون ،يقبلون يد اليهودي و النصراني من الجهتين تشريفا لهم، و لهم نكاية شديدة بالمسلمين ،و لهم محبة في عبادة الأوثان و الأصنام [3]،كما نسب اليهم أنهم كانوا مع إخوانهم المسلمين و ليس لهم غيرة على على الإسلام،حتى أن أحدهم اسمه أبو نصابية[4] وصف بالكافر عندما نسب اليه قتل الباي شعبان عند باب وهران سنة 1098 هـ /1686 م و اجتز رأسه.[5]

2-7قبيلة أولاد علي :

و هم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم علي بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز ابن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي[6]،هم فرقة كبيرة تناهز السبعين دوار[7] ، خضعت للإسبان سنة 1523 م ،كانوا في البداية مستقرين شرق تاسالة لكن أولاد عبد الله طردوهم فاتجهوا أولا الى منطقة عين البرد [8] ثم استقروا بأراضي الضواحي من تامزوغة تحدها شمالا أراضي حميان و جنوبا وادي سيق مع أراضي أولاد سليمان[9] ،و لهم إذعان عظيم للإسبان ،و كانوا يغيرون بالليل و النهار على المسلمين [10]،ففي منتصف القرن السادس عشر خرج من وهران أحد رجال أولاد علي مع الإسبان يدعى رابح بن صولة على رأس جيش عربي و أغاروا على الكرط ،بل تكرر غزوهم لها إلى أن استأصلوا أهلها فهرب من بقي بها [11]، وكانوا

---

[1]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق، ص27.

[2]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق ، ص41.

[3]:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق، ص145.

[4] : من النصاصيب أحد بطون أولاد عبد لله .

[5]:الآغة بن عودة المزاري ، مصدر سابق ، ص230 .

[6]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق، ص27.

[7]:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق، ص145.

[8] : Mohamed El Korso et Mikel de Epalza , Op Cit , p 85.

[9]:بلبوري سيد احمد،مرجع سابق، ص41.

[10]:المزاري ،مصدر سابق ، ص219.

[11]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق ، ص41.

أشد الاعتناء بالإسبان يقدمون لهم التبن و الحطب و اللبن و العسل و المعز و الخيل و البغال و كل ما يحتاجونه[1] .

2-8قبيلة الونازرة :

بطن من بطون أولاد عبد الله بن صغير بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز ابن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي يقال لهم الونازرة نسبة لجدهم ونزار بن عبد الله بن صغير بن عامر الزغبي[2] ،كان مقر سكناهم بادئ ذي بدئ بوادي سنان بعين تموشنت فسكنوا تارقة مجاورين لإخوتهم العامريين من قبيلة قيدزة ثم انتقلوا معهم إلى تامزوغة واستقروا أخيرا بملاتة[3] ،طاقتهم الديموغرافية ضئيلة جدا بحيث لا تتعدى ستة (6) دواوير،و لما جاء الإسبان لوهران كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم ،منهم العيون و الجنود ،أطلق عليهم الإسبان تسمية اللصوص ،و كان اليهود مكلفون بجباية الأموال من دواوير هذه القبائل.[4]

وكان للإسبان ترتيب في رعيتهم ليحصل التعاقد لهم في خدمتهم كتقديم الونازرة على قيزة و قيزة على حميان و حميان على شافع و غير ذلك.[5]

و قد رصدت لنا وثائق الأرشيف الإسباني بسيمانكاس عن تعاون القبائل الوهرانية مع الإسبان بخصوص نقل المورسكيين و إبعادهم عن مراكز الإحتلال الإسباني ،فقد تفاوض المسؤولون الإسبان مع هذه القبائل قصد مساعدتهم،من أجل نقل المورسكيين نحو تلمسان و مستغانم و كانت هذه القبائل العربية تشمل :أولاد موسى و أولاد سيدي عبد الله و بني عامر.[6]

---

[1]:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص145.

[2]:عبد القادر المشرفي،مصدر سابق،ص28 .

[3]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق،ص41.

[4]:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص145.

[5]:عبد القادر المشرفي ،مصدر سابق،ص28.

[6]:حنيفي هلايلي،عملاء و جواسيس ،مرجع سابق،ص146.

هناك قبائل أخرى كانت تتعامل مع الاسبان و لم يذكرها المشرفي في استعراضه أهمها:

قبيلة سويد:

و هم سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]، و من بين بطونها فليتة و أولاد ميمون و مجاهر و صبيح .[2]

و مع أواخر القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي ، أصبح جزء من قبيلة سويد يعرف بأولاد قصير ،و بالناحية الغربية من الجزائر فقد عرفت باسم "المحال " .[3]

كانت تسيطر مع بني عامر على معظم سهول ولاية وهران،إذ نجدها تحارب إلى جانب صفوف الإسبان ،وقد عثر على وثائق تتضمن رؤساء سويد إلى ملك إسبانيا و أخرى إلى الحاكم العام الكونت دالكوديت يطلبون أجرهم لما حاربوا في صفوفهم بأمر من رئيسهم حميدة العبد ،وقد عثر عليها في الخزانة الملكية الاسبانية بسيمانكاس بضواحي مدريد .[4]

أهل يفّر:

كانوا يستفيدون من الأراضي المغطاة بالأحراش الواقعة بين إقليم شافع و البحر ،و كانوا من رعايا وهران ،بدون أية واجبات عدا رعاية مائة حصان تابعة للإسبان و يصحبونها في الحملات و تسند لهم مهمة رعاية قطعان الغنائم من الماشية ،و يشكل أهل يفّر حوالي مائة و خمسين كانونا خربت مساكنهم مرات عديدة في الحصارات التي كانت تتعرض لها وهران [5].

جماعة فرسان أولاد ميمون:

---

[1]:الطيب بوجمعة نعيمة ،كتاب نسب زغبة و منتهى أصلهم لأبي الحسن على بن محمد بن الخطيب القرشي التلمساني (دراسة و تحقيق)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ و الحضارة الاسلامية ،جامعة وهران ،2005-2006 ،ص33.

[2]: أبي زكريا يحي ابن خلدون ،كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مج 11،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1982 ،ص 94.

[3]: ابن سحنون الراشدي ،مصدر سابق ،ص 325.

[4] : Charles Féraud, lettre arabes,Op Cit ,p p 316-317.

[5]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 307 .

كانوا يزرعون الإقليم الذي يقع فيه وادي القصب على بعد 15 فرسخا من وهران و يحده جبل تسالة شرقا و ذلك الوادي غربا و الزيدور شمالا و السلسلة الجبلية تنيرة جنوبا ،الأراضي في هذا الإقليم مروية .[1]

جماعة فرسان أولاد إبراهيم :

كانوا يزرعون أراضي تقع بين وادي مقرة (9 فراسخ من وهران) إلى غاية سيدي إبراهيم (13 فرسخا من وهران) و هي أراضي خصبة جدا ،تجاور أولاد ميمون في الناحية الغربية و سلسلة تنيرة في الشمال ،و أولاد موسى بن عبد الله في الناحية الشمالية ،و أولاد سليمان في الناحية الشرقية و بني يعقوب الذين يشتغلون بتربية الماشية في الناحية الجنوبية[2] .

فرسان أولاد سليمان:

كانوا يزرعون الأراضي الواقعة بين المرابط سيدي عبد القادر كشتوين و وادي مطبوح يجاورون في جهة الغرب أولاد إبراهيم و بني يعقوب و في الجهة الشمالية تحدهم منحدرات تمزوغة و يحدهم شرقا و جنوبا وادي بني سيراج [3].

هناك قبائل تذبذبت و تأرجحت ما بين نصرة العدو تارة و التخلي عنه تارة أخرى

"...أما غيرهم من زناتة و بني راشد و من عداهم من الأعراب البعيدة الموطن فتارة بعضهم ما يعم القريب من الدخول تحت النصارى و تعجز حميتهم عن نقض ذمتهم و تارة يفرون بأنفسهم و يظهرون عداوتهم ."[4]

و بالرغم من ذكر العديد من هذه القبائل الموالية نلاحظ أنه يوجد ثمة تفضيل و تركيز على ثلاث قبائل فقط في مختلف قرارات و مراسلات ولاة وهران و قادتها و حتى في اتفاقيات الحماية ألا و هي: شافع- حميان و هبرة.[5]

و هناك من لاحظ أن تلك القبائل ،رغم تظاهرها بالولاء للإسبان ،فإنها كانت في الواقع معادية لهم حيث كانت تقوم بالإغارة على المراكز الإسبانية من حين للآخر [6]،إلا أن الخصومات

---

[1]: : صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 309 .

[2]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 309 .

[3]: نفسه ، ص 310 .

[4]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق، ص44.

[5]: نفسه، ص45.

[6]:أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص296.

و الصراعات التي كانت تطبع علاقات تلك القبائل قد كانت في صالح الإسبان اللذين كانوا يجندون منها بعض المتعاونين قصد استخدامهم في **الاستخبارات و الاستدلال أثناء قيامهم ببعض** الهجمات على القبائل المعادية لهم.

و نتيجة لتعاون بعض القبائل مع الإسبان صار الناس "يعايروهم بالدخول تحت ذمة الكوافر ،و افتراشهم بناتهم الحرائر ،فكأن ذلك ما قرع أسماعهم ولا طرق رباعهم ،و العياذ بالله من **طبع** القلوب و غلظ الحجوب ،فمن ذلك قول أبي العباس أحمد بن عبد الله أبي محلى المساوري **المراكشي ....**

فَهَلْ مُبلغٌ عَني قَبَائِل عَامِر وَلاَ سِيمَا مَنْ قَدْ ثَوَى تَحتَ كَافِرِ
وَ يَا مَعْشَرَ الأَتْراك يَا كُل عَالِمٍ و كُلَّ وَلِيٍ حَافظ للأَوامرِ
أُنَاشدُكُم بالله مَا عذرُ كُلكُم لَدى الله في وَهْرانَ أُم الخَنَازِرِ
أَذَلّكُم الجَبَارَ كَيفَ رَضَيْتمُ بسَبِي العَذارَى منْ بَنَاتِ الأَكَابِرِ
فَلاَ هَمةَ تَعْلُو بكُمْ عَنْ دَنيَّة وَ لاَ غيْرة تَدعوكُم للمَآثِرِ
وَلاَ ذمة تَرْعونَهَا فِي نَبيكُمْ و لاَ حُرْمَة تَحْمُونها بالبَوَاتِرِ
وَمَا منكُم إلاَ خصيٌ أذلّه بهَيْسَمه النَصْرَانيُ يَا آل عَامِرِ
أَضَيْمُ المُلُوكِ أَمْ تَغْلبُ كَافِرٍ عَلَيْكُم فِي جِوارِ الكَوافِر" [1].

---

[1]:محمد بن يوسف الزياني ،مصدر سابق ،ص ص 156 - 157 .

3- أسباب تعاون القبائل مع الإسبان :

3-1شن الغارات:

لقد سعى الإسبان إلى التوسع نحو المناطق الداخلية ،إنطلاقا من المناطق الساحلية التي وقعت تحت نفوذهم خاصة حول المرسى الكبير ووهران ،مستعملين في ذلك عدة طرق من بينها شن الغارات على القرى و التجمعات السكانية التي رفضت الإنضواء تحت سلطتهم .

يقول محمد بن يوسف الزياني "و كان طاغية النصارى المستقرين بوهران اسمه دك فصار يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخل في طاعته الونازرة و قيزة و شافع و حميان و أولاد علي و أولاد عبد الله و غيرهم من بني عامر و غمرة منهم شيعته اللذين ينصرونه و يعتمد عليهم في جلب الأخبار،و المسير في الطرق .."[1] .

فبعد عامين من احتلال الاسبان للمرسى الكبير شن الجنود الاسبان غارة عسكرية على دوار الغرابة بالقرب من مسرغين و ذلك بهدف نهب ماشيتها،و ذلك راجع لأن حصن المرسى الكبير مبني فوق قمة صخرية بحيث لا يوجد ماء و لا غذاء لذلك حاول الإسبان تموين و تزويد هذا الحصن[2] ، إلى جانب رغبتهم في بسط نفوذهم على الطريق المؤدي إلى تلمسان .[3]

إن السبب الرئيسي الذي دفع جند الاسبان للقيام بالغارات المفاجئة لم يكن بدافع المواجهة و المجابهة مع الأهالي بل كان نتيجة لسد رمق الجوع و تعويض ما فقدوه من مؤونة و ذلك نتيجة لكون المؤن التي كانت تأتي دوما على و شك النفاذ [4]، بحيث كانت النداءات متتالية و المراسلات من إسبانيا متواصلة،من قبل الحكام مع السلطة الملكية الإسبانية قصد ضمان تموين المراكز الشاطئية و إثر هذا صرح الكونت دالكودات في سنة 1535 م قائلا:" يحز في نفسي الدفاع عن وهران و المرسى الكبير ضد الجوع أكثر من مجابهتي العدو"[5]

---

[1]: محمد بن يوسف الزياني ،مصدر سابق ،ص 142.

[2] : C kehl ,Op Cit , p25.

[3] :Montanes Diego Suarez , Op Cit ,R.A 1865 ,T9 p412.

[4]:بلبوري سيد أحمد،مرجع سابق،ص189.

[5] :Paul Rufe ,Op Cit ,p 10.

و نظرا للدعم اللوجيستي الهام الذي حظي به الإسبان بسبب تحالفهم مع القبائل المحيطة بوهران استطاعوا الخروج من محيط المدينة و التوغل نحو الداخل حتى جهات سعيدة و معسكر ،و كان الجيش الإسباني خلال هذه الهجمات ينهب و يسبي و يقتل الى درجة إبادة قبائل كاملة .[1]

لقد عانى السكان خاصة في الجهات التي كانت قريبة من مناطق الإحتلال الإسباني في وهران و المرسى الكبير من أعمال الغزو و السطو على ممتلكاتهم ،فقد جاء على لسان أحد الجنود الإسبان قوله :"كثيرا ما كنا ننظم حملات في داخل البلاد ،و ذلك من أجل إقتياد رؤوس الماشية و التزود بالمواد الغذائية الضرورية ،فقد هاجمنا إحدى القبائل المستقرة على بعد بضعة فراسخ[2] ،انطلقنا ليلا و بعد مشي مجهد ،وصلنا إلى الدواوير مع بزوغ الفجر ،وكان الناس لا يزالون نائمين ،فقمنا بنهبهم دون شفقة ،و كثيرا ما كنا نحصل على الكثير من الغنائم ،المتكونة من الأسرى و الماشية و الأسلحة و سلع أخرى ،كانت كلها تعرض للبيع ،و جزء من الحيوانات المستولى عليها تم توزيعها على الجنود في بعض الأحيان كان يلزم الدخول في معارك طاحنة ،و تبعا لذلك فقد نتعرض لكمائن قاتلة ،بعد مشي لساعات صعبة كثير من الجنود و الضباط يفقدون حياتهم في هذه الحملات ".[3]

إن الحرفة الوحيدة في وهران هي أعمال الغزو ضد السكان ،فعندما تصل الأخبار إلى وهران عن ترحال قبيلة أو دوار و استقراره بقرب المدينة ،يقوم الحاكم بإجراء التحريات عن حالة الدوار و قوتها و خاصة ما تملك من ثروة،و في نفس الليلة كان يشن عليها الهجوم بواسطة القوات التي لديه عند الفجر ،فيقومون أولا بأعمال القتل ،ثم يتبعون ذلك بأعمال النهب و في الحال يسلكون طريق العودة بكل حيوية و نشاط دون توقف ،من أجل تجنب الوقوع في فخ التصادم مع الدواوير الأخرى المجاورة ،و هم يحملون معهم كل ما استطاعوا حمله من الغنائم و أشخاص و حيوانات ،و أشياء أخرى ،و فور وصولهم إلى وهران يختار الحاكم أولا لصالحه هدية تتمثل في عبد سواء كان رجلا أم امرأة ،و نصف الغنيمة التي جاؤوا بها ،أما الباقي فيباع علانية و ثمن هذا البيع يقسم على 160 جزء ،ليقسم في الأخير بناء على القواعد المحددة ،و أكثر المستفيدين هم الحاكم و الشخص الذي دله على هذه العملية ،و ينال الشخص الذي أوشى عن الدوار أجره.[4]

---

[1]: كمال بن صحراوي ،أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث جامعة وهران ،2013 - 2014 ، ص 84 .

[2] : مفردها فرسخ وهي وحدة قياس يقدر طولها بحوالي أربعة كيلومترات.

[3] :Cazenave , L'organisation militaire d'Oran pendant l'occupation espagnole (1509-1791) ,L'armée de d'Afrique ,N 41 ,1928 ,p328.

[4] : Camille Kehl ,Op Cit ,p39.

يذكر فاليجو(Vallejo) بأن الطمع في بعض الأحيان كان يدفع الإسبان إلى تنظيم غارات دون مبرر معقول على الدواوير و على القبائل التي طلبت منهم العون و الحماية ،و شبه غاراتهم على القرى الآمنة بغارات التتار على المجر و بولندا ،و إلى جانب الحبوب و الأنعام ، كانوا يسبون الصبيان من أجل تنصيرهم و أما الرجال و النساء فكان لقائد الجيش الأعلى بوهران ،الحق في إختيار بعضهم ،أما الباقي فكان يقسم بين الضباط و و الجنود و الموظفين ،أو يباعون في أسواق إسبانيا بأثمان مرتفعة [1]، وهكذا كانت أعمال الغزو مدرة للثروة و المال ،فكانت وهران منطلقا لغزوات مشهورة وقعت في بداية القرن السابع عشر ،أتت بمئات الأسرى ،كما حققت مداخيل معتبرة و كانت حمى الحصول على الغنائم قد طغت على روح كل وهران. [2]

و من القبائل التي عانت من محاولات التوسع الإسباني بنو شقران الذين أثخن فيهم الإسبان و سبوا كما وسعوا سيطرتهم على المنطقة ،و قد أشار أبو راس الناصري الى ذلك بقوله :" ثم غزو فروحة بغريس أرض الشيخ سيدي محمد بن يحي... فلقوا خيلا من بني عياد أحد بطون الحشم فتحاربوا و إستشهد منهم العروسي أحد أجواد غريس "[3].

و نظرا لتضرر السكان من تلك الغارات اضطروا إلى تشكيل نظام للحراسة و الاستطلاع لرصد تحركات الإسبان ،فكانوا يكلفون أشخاصا على الإنتشار عبر الطرق و على المرتفعات لمراقبتهم و إتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهتهم أو الإفلات من غدرهم ،فعندما يشرع الجنود الإسبان في تحركهم ضد القرى الواقعة حول وهران و المرسى الكبير ،كانت القبائل تعلم بوصولهم ،من طرف هؤلاء الحراس ،بحيث عندما يقترب الجنود الاسبان من الدواوير كانت هذه الأخيرة تتنقل و بسرعة الى أماكن أخرى ،و كانت في بعض الأحيان تطبق حسب رأي "مونتانيس" سياسة الأرض المحروقة أمام تقدم صفوف الغزاة الاسبان ،ثم تهرب بكل عجلة ،و ذلك حفاظا على سلامة العائلات. [4]

و يقول محمد بن يوسف الزياني في هذا الخصوص بأنه "صار الناس لا يهنأ لهم في بلادهم نوم إلا إذا جعلوا من يحرسهم ،و عندما ينام أحدهم تجده يهذي بإغارة النصارى عليهم و يصرخ في نومه من شدة خوفهم " [5].

---

[1] :Vallejo ,Op Cit ,pp 364-368.

[2]:عبد القادر فكاير ، الغزو الإسباني ،مرجع سابق،ص283.

[3]: أبو راس الناصري ،عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ،تحقيق و تقديم محمد غالم ،منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، ط1 ،وهران ،2005 ،ص 44.

[4] :Diego Suarez Montanes ,Op Cit ,<u>R.A</u>,1865,T 9, p197.

[5]:محمد بن يوسف الزياني ،مصدر سابق ، ص 163 .

كان المخبرون ينقسمون إلى مجموعات تتألف كل واحدة منها من شخصين ،و ذلك من أجل الإعلان عن الخطر ،أو إخطار الدواوير ،و ذلك بتحريك راية بيضاء في النهار ،و بناءا على هذه الإشارة تقوم القبائل بالرحيل من مكان إقامتهم بصورة سريعة ،أو يتخذون الإجراءات اللازمة و الإستعداد لمواجهة الخطر ،تدعى هذه الحركة عند قبيلة بني حميان "تيبرقنت " (Tiberguent) أما في الليل فكان هؤلاء المخبرون يستعملون إشعال النار، و تدعى هذه العملية شوالة (chouala) عند نفس القبيلة ،وكذلك عند بعض القبائل الأخرى [1]، وقد أشار إلى ذلك أحد الكتاب الأوروبيين حيث قال "كانت كل الدواوير تلجأ بسرعة إلى الأسلحة ،و هي عملية تيبرغنت أما الشوالة فتقوم على اشعال النار بسرعة ،و هو يعني النداء لاستعمال السلاح ليلا ".[2]

3-2: المنطقة الجغرافية للقبائل :

تواجد القبائل المتحالفة مع الإسبان بأراضي منبسطة لم تسمح لهم بالدفاع عنها لعدم وجود الحصانة الطبيعية ،مما جعلها معرضة لهجمات الجنود الإسبان ،و لم يكن الأمر مقتصرا على القبائل المجاورة لوهران ،بل امتد إلى جوار مدينة تلمسان ،حيث بث الرعب بين صفوف القبائل خوفا من النصارى ،وهذا عكس ما حدث في بجاية حيث لم يتمكن هؤلاء الجنود من الخروج من المدينة لطبيعة الأراضي المجاورة لها لأن أغلبها مناطق جبلية يصعب التوغل إلى داخلها و قلة معرفتهم بتضاريسها ولهذا كانت قرى هذه المدينة تتميز بشدة تحصينها مما صعب على الاسبان الوصول اليها [3] .

كما أن سكان المناطق الوعرة التي يصعب الوصول إليها مثل سكان الظهرة و الونشريس و مرتفعات تلمسان و طرارة يتغلبون على الخطر بتجمعهم في منطقة واحدة للدفاع عنها ،و هذا عكس سكان الخيام الذين يفرون من الخطر بالانتقال إلى جهات أخرى [4].

3-3 تخوف القبائل من الأتراك :

يذكر فاليجو أن سبب تعاون العرب مع الإسبان يعود إلى تخوفهم من الأتراك العثمانيين و قبائل عربية أخرى ،ورد ذلك في سياق حديثه عن العائلات التي كانت تقطن في بلدتي ايفري (ifre)

---

[1] :malki nordine , razzia, butin , et esclavage dans l’oranie du xvı éme siècle ,Dar El Garb ,oran , 2003,pp151-152.

[2] :capitaine noel (A) ,Documents pour servir l’Histoire des Hamyanes et la région qu’ il occupent ,<u>B.S.G.O</u> ,1915,T35 ,p 153.

[3]: فكاير عبد القادر، مرجع سابق ،ص 352.

[4] :Augustin Bernard ,Edmond Doutté ,Op Cit ,p 223.

وكناستيل و حسبه فانه لم يكن لهم الجرأة على العودة إلى بلداتهم ،و ذلك لخوفهم من أي هجوم قد يتعرضوا له من قبل العرب و الأتراك العثمانيين .[1]

3-4 إستغلال الأراضي الزراعية :

تحتوي المنطقة الغربية للجزائر على عدد من السهول الخصبة مثل سهل غريس الخصب الذي ينتج كميات كبيرة من الحبوب ،و يعتبر المصدر الرئيسي للقمح في كامل الغرب الجزائري ، إضافة إلى سهول أخرى مثل سهول مستغانم و هبرة و وهران [2] ،و عند احتلال الإسبان لوهران و المرسى الكبير فإن القبائل المجاورة للمنطقة وجدت نفسها مجبرة على قبول الطاعة و الولاء للإسبان من أجل العيش على أراضيها و القيام بنشاطها الفلاحي و الرعوي ، في هذا الخصوص يقول فاليجو : "بأن خصوبة الأراضي المجاورة لوهران و المرسى الكبير جلبت العديد من الدواوير الذين يعترفون بنا و هم أتباع لدينا ،و يعيشون تحت حمايتنا و ذلك من أجل زراعة الأرض التي امتلكوها دائما ."[3]بحيث تحتفظ كل قبيلة بالأرض التي بحوزتها ما لم ترفض دفع الضريبة ،و ما لم بتمرد بعض أفرادها على سلطة الإسبان [4].

كما يذكر الجنرال ديدي (Didier) بأن الأهالي الذين يسكنون في الجبال المحادية للمرسى الكبير طلبوا الأمان من الإسبان و ذلك لكي يتمكنوا من جلب مواشيهم بجوار المرسى الكبير خلال الشتاء .[5]

3-5 طمع القبائل في أموال الإسبان :

كان طمع بني عامر في أموال الإسبان هو الدافع إلى تزويدهم بكل ما يجعلهم قادرين على الصمود [6] . بحيث " لم يكن أحد أشد اعتناء و إعانة للإسبانيين بكل ما يحتاجون إليه من التبن و الحشيش و الحطب و السمن و اللبن و العسل و الضأن و المعز و البقر و الخيل و الإبل و البغال و الحمير من جميع الأعراب الداخليين تحت حكمهم مثل أولاد علي أخزاهم الله و لعنهم و أخلى

---

[1] : Vallejo ,Op Cit , p232.

[2]:علي بن العيفاوي ،مدينة معسكر و دورها في العهد العثماني ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ، 2008 - 2009 ، ص 75 .

[3]: Vallejo ,Op Cit , p348.

[4] :Mohamed El Korso et Mikel de Epalza ,Op Cit ,pp 37-38 .

[5] :L Didier ,Op Cit ,p31.

[6]: كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ،ص 85 .

منهم الأمر و صيّرهم حطبا لجهنم و بئس المصير، فكانوا لا ينقطعون عنهم بذلك ليلا و لا نهارا رغبة لما لهم في ذلك من الثمن الكثير "[1].

كما كان الملك الإسباني يقدم كل سنة كمية من النقود لكل شيخ من شيوخ الجماعات الأهلية تتناسب مع عدد خيام كل جماعة ،الأمر الذي جعل هؤلاء الشيوخ و من ورائهم قبائلهم يتقربون من الإسبان هذا من جهة ،و من جهة أخرى كانت سوق الإسبان تسمح للأهالي ببيع فائض إنتاجهم كما شجع الإسبان الذين كانوا في حاجة لمنتوجات الأهالي عمليات البيع ،التي استفاد منها تجارهم و الأجانب [2] .

---

[1]: عبد القادر المشرفي ،مصدر سابق ،ص ص 36-37.

[2]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص ص 306 - 307 .

4-علاقة القبائل بالاسبان :

4-1: معاهدة الأمان :

لقد ترتب عن الوجود الاسباني فترة أطول في المرسى الكبير ووهران ،اتجاه بعض القبائل إلى التعاون مع الاسبان ،وقد جعلهم موقفهم هذا يشكلون فئة من المجتمع الجزائري لجأت إلى سلوك ساهم من دون شك في تعزيز وجودهم في المنطقة ،أصبح يطلق عليهم اسم (العرب المنتصرة)[1] هذه القبائل مجبرة على تقديم وثيقة الامان للاسبان يتم فيها تحديد كمية الضرائب التي يقومون بدفعها للإسبان و تصبح صديقتهم لكي لا تتعرض إلى غارات الإسبان .

تقوم القبائل المتعاملة مع الإسبان بتجديد عقد الأمان مع الإسبانيين ،بحيث كل قبيلة تعطي إحصاءا لعدد خيامها ،كما يتم جلب أولاد شيوخ القبائل كرهائن إلى وهران ،يعتبرون رهائن للملك ، يبقون في وهران إلى غاية تسديد كافة الضرائب [2]،و على عكس هذه القبائل هناك قبائل أخرى موالية للإسبان كشافع و حميان مكانة خاصة عندهم ،حيث لا يضطرون إلى طلب عهد أمان و لا يدفعون ضريبة و لا يتركون رهائن عندهم كما تفعل بقية القبائل[3] ،و بالمقابل كانت هته القبائل تدفع ضرائب أثقل من ضرائب البقية بحيث "كانوا يقاتلون المسلمين مع عدوهم و يدافعون عنهم و يُغيرون على المحلة المنصورة بالله و هي نازلة بكدية الخيار ،حتى أنهم كانوا على المسلمين أشد مضضا من الكافرين "[4] .

إن عقود الحماية صالحة لغاية سنة واحدة ،من شهر أوت إلى شهر أوت المقبل ،كما أن القبائل التي تريد مواصلة إرتباطها مع الإسبان ،تطالب بعقد جديد قبل موسم الزرع،الحاكم العام هو من يقرر زيادة أو تخفيض قيمة الضرائب ،و هذا على حسب عدد خيام القبيلة .[5]

فقد أورد فاليجو نموذجا لإتفاقية الحماية التي كانت تعقد بين إسبان وهران و القبائل المتحالفة معهم و هذه ترجمة للوثيقة :

" أنا المسمى القائد العام لوهران و المرسى الكبير و مملكتي تلمسان و تنس ،و بعد الإطلاع على رغبة الشيخ شريف و قائد القبيلة و الذي صرح بولائه و إرادته في خدمة الملك و

---

[1]: فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص343.

[2] : Vallejo ,Op Cit , p358.
[3]:Ipid , p360.

[4]: مختار حساني ،مصدر سابق ،ص 84 .

[5] : Vallejo ,Op Cit , p359.

العيش تحت حمايته الملكية ،و حسب طلبكم الموجه الي لحماية دواركم المكون من .....خيام و نظرا لتأييدكم و تأكيدكم لخدمة الملك بكل نزاهة حسنة الإطلاع ،أنكم ستوفون بإلتزاماتكم قررت منحكم وثيقة الحماية هذه التي تجعلكم تحت رعايتنا حتى نهاية شهر أغسطس من السنة القادمة و بمقتضى هذا عليكم أن تسددوا لجلالته و عن طريق الضريبة عشرون دوبلا من القطع ما يمثل ضريبة الرومية و المحسوبة على أساس دبلين للخيمة و لكل دبل عليكم دفع مقياس من القمح ،يحدد على أساس أسعار المحصول حسب تقديرها بعد وضعها في مخازننا.

و إذا ما حاول المغاربة الأعداء الالتحاق بدواركم أو قبيلتكم عليكم مجابهتهم بكل قواكم و إذا ما استعصوا عليكم بإخباري عن الوضعية حالا ،وكل إهمال من طرفكم سيجلب لكم العقاب الشديد كنفس العقاب الذي هو جزائكم في حالة إرتكاب جريمة أو خطأ نحو جلالته .

عليكم تقديم هذه الوثيقة لمكاتب المقتصد و الحسابات لهذه البطحاء و سيدفع لكم المراقب أو رئيس الخزنة و في الوقت المناسب وصلا مقابل ما تدفعونه من الضرائب المذكورة آنفا ،و كل دوار أو قبيلة منكم أو بجواركم لا تعمل مثلكم و لا تؤكد ولائها تعتبر عدوا لنا .

دفعت لكم هذه النسخة أو الوثيقة بعد إمضائها من طرفي و امضائها من طرف كاتبي .

سلمت باسم القصبة الملكية بوهران في......."[1]

4-2:الجوسسة :

بعد إحتلال الإسبان لوهران و المرسى الكبير ،سعوا إلى إجراء مفاوضات مع حكام تلمسان و ذلك من أجل إثبات وجودهم أمام الحكومة المحلية ،و خاصة لضمان تأمين التزود بالمواد الغذائية الضرورية و من جهة أخرى راحوا يتصلون بالقبائل و التجمعات السكانية التي كانت تحيط بالموقع المحتل فتمكنوا من ربط علاقات مع بعض القبائل ،و لكن هذه الاتصالات كانت تعتمد بصورة رئيسية على أعمال التجسس و لهذا الغرض فإنهم شكلوا و بصورة سريعة شبكة من الجواسيس العرب أو اليهود ،الذين كانوا ينقلون إليهم أخبار كل التحركات التي يقوم بها السكان مقابل مكافآت مالية عن المعلومات التي يتلقونها . وكانت أعمال التجسس هذه تتم بتوجيه أشخاص

[1] :Ipid ,p 361-362.

يتظاهرون بأنهم مكلفون بمهام.فقد ركزوا اهتمامهم في البداية على سكان "الكناستيل "و مستغانم و امتد حتى إلى الجهة الشرقية منها .[1]

كما أرسلوا مبعوثيهم إلى تلمسان و تنس و إلى القبائل المجاورة لهما ،و كانوا من جهة أخرى يحصلون على الأخبار من الأشخاص القادمين من هذه المناطق ،إن الهدف الرئيسي من هذه العملية كان التعرف على الشخصيات الهامة التي لها نفوذ على السكان القاطنين في المناطق المجاورة لمدينتي وهران و المرسى الكبير [2] ،كما استعان الإسبان بالسكان لإلتقاط الإستعلامات ،و نشر الأخبار الفاسدة ،و الأقاويل الزائفة و الأنباء المسمومة لخلق البلبلة و التشويش ،و التفرقة في صفوف الجيوش و الشعوب ،و إغرائهم على الحروب الأهلية [3].

و لما اشتدت الحرب بين المسلمين و الإسبان ، استعان كل طرف بمجموعة من الجواسيس الذين ينقلون الأخبار و يحذرون من العدو ،ففي زمن علج علي (1569 م- 1571 م) ألقي القبض على رجل إسمه بن عودة ،و كان جاسوسا للإسبان على الجزائر يرسلونه من وهران لهذا الغرض ،وهو من قلعة بني راشد بينما كان لعلج علي اثنا عشر جاسوسا يبحثون عن جاسوس الإسبان ليعرفوه ،فلما حصل لهم ذلك أخذوه إلى علج علي فكلمه مرارا إلى أن عرف منه كل شيء ثم أمر البنائين بإلقائه في صندوق البنيان فرموه بوثاقه فيه ،و كملوا الصندوق بالتعمير [4] .

و من بين الأشخاص الذين عرفت أسمائهم في هذه العلاقة من الكناستيل ،و أصبحوا موالين للإسبان ، أحمد بن علي ،وحدو باحمد ،و أحمد بن بواري ،و عصار ،و من مستغانم المحمد ،و محمد بن حسون ، و هناك شخصيات أخرى و هم لعراب عبد الله ،و عيسى ،و ابراهيم بن إهين ،و ابن عقبة ،و حتى من اليهود مثل أبراهام بن زميرو ،و صمويل ستورا.[5]

كان هناك نظام تجسس تحت تصرف الحكام الاسبانيين هذا النظام ينقسم الى قسمين :

القسم الاول :يحتوي على الأهالي الذين يكرهون شيخهم ،و يريدون انتهاز أول فرصة تتاح لهم للتخلص منه.

---

[1]: فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق،ص 240.

[2] :Veronne, Oran et Tlemcen ,Op Cit ,p11.

[3]: عبد الحميد بن زيان ابن أشنهو ،دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ،المطبعة الشعبية للجيش ،الجزائر ،1972 ، ص 111 .

[4]: كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ،ص 81.

[5] :Veronne, Oran et Tlemcen ….,Op Cit ,p 17

القسم الثاني : يتكون هذا القسم أساسا من المغطسين و هم الأهالي المتعاونون مع الإسبان مدة إحتلالهم لوهران ،يستعان بهم لإختطاف أبناء المسلمين ،وكان شأنهم مع الإسبان جلب الأخبار لهم .[1]

هؤلاء الجواسيس يقومون بتحديد الدوار المراد مهاجمته ،و على ماذا تحتوي تلك القبيلة من أصحنة للحرب التي يمكن الحصول عليها ،و تحديد المسافة التي تبعد عنها القبيلة ،عندئذ يقوم الحاكم العام بإرسال جواسيس آخرين ،يقومون بالتحقق من ذلك الكلام ،بالإضافة إلى تفاصيل الطريق ،و الأخطار التي يمكن أن تصادفهم أثناء مهاجمتهم لتلك القبيلة .[2]

و يذكر فاليجو أن واحد من هؤلاء "المغاطيس " قصد وهران بهدف الوشاية بأحد دواوير المنطقة فالتقى برجل إسباني و عرض عليه الأمر مشترطا تزويجه بأحد العربيات الأسيرات لدى الاسبان و إعطائه مهرها و سبعة بياستر[3] مقابل كل جزائري يلقى القبض عليه .

ذهب الرجل الاسباني إلى الحاكم العام ليعرض عليه الأمر فاستحسنه ،و بعث مسيحيا مع واحد من المغاطيس للتأكد من موضع الدوار بينما ظل الواشي تحت الحراسة المشددة ،و حين جاء الخبر إلى الحاكم وجه مجموعة من الجنود فقتلوا من الدوار الكثير و سبوا و غنموا .

و عند تقسيم الغنائم كان نصيب الحاكم العام أسيرين عربيين ذكرا و أنثى ،وواحد من كل شيء مسروق ،بينما بيعت الغنائم الباقية لتوزع على 160 يأخذ منها الحاكم خمسها بموجب الحق الذي أقره له ملك إسبانيا ،أما الرجل الإسباني الذي كان سببا في هذه الغارة فكان نصيبه من الغنائم هاما جدا خصوصا و قد تدعمت الخزينة بما كان يدفعه كثير من الأسرى لافتداء أنفسهم ،بينما بيع كثير منهم في إسبانيا مقابل مبالغ ضخمة للغاية .[4]

أشار ديدي (Didier) إلى مسألة الجاسوس المزدوج ،الذي يقوم بإخبار المسيحيين عن دوار ما للقيام بنهبه ،و لكنه في الحقيقة مبعوث من قبل ذلك الدوار و ذلك من أجل ايقاع المسيحيين في

---

[1] :L Didier ,Op Cit ,p35.

[2] :Ipid ,p35.

[3]: هو القرش المكسيكي أو القرش الاسباني و يعرف محليا بقرش بومدفع ،كانت قيمته تساوي نصف سلطاني او ما يعادل 5.5 فرنك فرنسي يراجع :

حمدان بن عثمان خوجة ،المرآة ،تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ط2 ،الجزائر 1982.

[4] : Don José Vallejo ,Op Cit ,pp 365-367.

فخ ،و يضيف بأن هذا الجاسوس المزدوج لا يمكن أن ينجح إلا أحيانا ،و كان مصير هذا الجاسوس عند اكتشاف أمره القتل رميا بالسهام .[1]

و كان المغاطيس يجمعون الأخبار الصحيحة و الكاذبة ،و ثمن خيانتهم تساوي 5 دورو إسباني [2]، كما تحول ما بين 150 و 200 فارس من القبائل المتعاونة مع الإسبان الى "كشافين " يسهلون تنقلات الإسبان ،و يُرسلون أحيانا الى الريف فإذا ألقوا القبض على أحد أخذوه عبدا الى وهران ،كما كانوا يتكفلون بشراء المواد الضرورية و أحيانا يسرقونها ،لكن إذا وقع أحدهم في قبضة القبائل المعادية للإسبان تقطع يده ثم يقتل [3].

3-4 :التجارة :

كانت هناك معاملات تجارية بين تجار إسبانيا و قبائل المنطقة الغربية للجزائر قبل الإحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير ،بحيث توجد مجموعة من الوثائق تتعلق بالمبادلات التجارية بين وهران و القبائل العربية في الأرشيف الإسباني بسيمنكاس ،مثلما هو الحال بالنسبة لهذه الوثيقة التي يعود تاريخها الى سنة 900هـ /1494 م التي تتعرض إلى توافد تجار إسبانيا على القبائل المجاورة لكل من هنين وهران و المرسى الكبير ،و تنس و أنهم كانوا يشترون السلع من تجارها ،و يدفعون لهم السلع الأوروبية ،و يؤكد هذا الوزان عند تعرضه لبني بوسعيد المجاورة لتنس[4] .

و بعدما تمكن الإسبان من احتلال المرسى الكبير سنة 1505 م سارعوا إلى فتح سوق تجاري بجوار المدينة المحتلة ،و ذلك بهدف الإستفادة من المحاصيل الزراعية و الحيوانية التي كانت بيد الأهالي مقابل ما كان بيد الإسبان من ذهب و فضة .[5]

بحيث عندما كانت السلطة القائمة في مدينة الجزائر منشغلة بأمر داخلي ،أو بشأن خارجي و خاصة في النصف الثاني من القرن السابع عشر ،كان بعض السكان من الأهالي القاطنين في أحواز وهران مثل رجال بني عامر و أفراد من بلدة كريشتل يتاجرون مع المدينة .[6]

---

[1] :Didier ,Op Cit , p46.

[2]: ما يعادل 25 فرنك .

[3] :Édouard Lapène ,Tableau historique de la province d'Oran ,depuis le départ des Espagnols en 1792 ,jusqu'à l'élévation d'abdel-kader en 1831 ,Metz bibliothèque Royale ,1842,p 06.

[4]:مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ،الأحوال الاقتصادية و الثقافية ،الجزء الثاني ،دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع ،ط 1 الجزائر ،2007 ، ،ص 179.

[5] :veronne ,Oran et Tlemcen ,Op Cit ,p11.

[6] Camille kehl, Op Cit , p32.

و إثر توقيع الاتفاق الرسمي الأول بين حكام تلمسان و الإسبان في وهران ،أخذ تزويد الموقع المحتل من طرف بعض الفئات من السكان المحليين يأخذ طابعا نظاميا ،ففي خلال الثلاثة الشهور الأخيرة من سنة 1511 م ،نقل هؤلاء إلى وهران 501 خروفا ،و كان هؤلاء السكان القاطنين في أحواز وهران و المرسى الكبير يزودون الموقعين منذ بداية الاحتلال ،فكانوا يقدمون للإسبان إلى جانب الأغنام حيوانات أخرى مثل المعز و الأبقار و الأحصنة و الحمير ،حيث كان الإسبان في حاجة ماسة إلى هذه الأنواع ،و كذلك التمور و الشمع و الجلد و الأغطية و الفحم .[1]

إن القبائل التي كانت تتعامل مع المراكز الإسبانية في كل من وهران و المرسى الكبير ،كانت تتحصل على رخص من الإدارة الإسبانية ،تسمح لها بمزاولة النشاط التجاري و الدخول الى المدينة[2] و يذكر فاليجوا (Vallejo) في تقريره بأن مدينة وهران كانت تتزود بكل أنواع المواد الغذائية من النوع الجيد ،و بأسعار عادية ، و كذلك بالنسبة للمواشي ،بحيث كان هذا التعامل بوفرة و بدون انقطاع .[3]

و بالمقابل كانوا يشترون من اللإسبان القطن و الورق و البندق (Noix de galle) ،و الأرز و السجاد (Toiles des bordats) ،و الطاقيات المصنوعة من الفراء .[4]

كما كان تجار مدينة مزغران يتوجهون إلى وهران لبيع منتوجاتهم الفلاحية ،في حالة السلم لكن عندما يتخلون عن هذه المعاملة يتعرضون للغارة من قبل الحامية الإسبانية بوهران ،أما أهل قلعة بني راشد فيقول عنهم المشرفي "حدثني بعض أهل معسكر أنهم كانوا يأتونه لحاكم وهران ،بالزرع المضروب عليهم ،فيرده وكيله في وجوههم و يتعلل بعدم صفائه ،و يلزمهم تبديله بما هو أصفى منه فيأتونه له مرة أخرى ،و ربما فعل بغير ذلك مرارا و لا يقبله منهم بعد ذلك حتى يرشون ".[5]

كانت مدينة وهران في سنة 1516 م يضمن تزويدها بالمؤن شخصيتان عربيتان و هما أبو هاني و أحمد أبو القاسم ،إلى جانب أشخاص آخرين نذكر منهم عمار و أبو العالية ،و إبراهيم القاصة ،و أحمد السايس ،و إبراهيم بن مونقاس ،و الشيخ سليمان ،و بعد سنة (1516 م)تندر الوثائق التي تحتوي على أسماء من السكان المحليين الذين لهم علاقة مباشرة مع الإسبان في وهران .[6]

---

[1]: عبد القادر فكاير ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص 241.

[2]:مختار حساني ،مرجع سابق ،ص 169.

[3] : Vallejo , Op Cit ,p 231.

[4] :Veronne , Oran et Tlemcen,Op Cit ,p 20.

[5]:مختار حساني ،مرجع سابق ،ص 168.

[6] : Veronne , Oran et Tlemcen ,Op Cit ,p 17.

و من بين الذين يتاجرون مع وهران سكان أغبال الذين قال عنهم مارمول :"الأراضي المجاورة لأغبال مسكونة من الأعراب فهم أغنياء بأراضيهم و مواشيهم ،و أن تجارتها مع وهران ،و يتوقف استمرار النشاط التجاري ،على حفظ العلاقات الحسنة مع وهران "[1] كما كان لقلعة بني راشد دور في تموين وهران لأنها و كما وصفها الوزان "أغنى بلاد الله زرعا و ضرعا تعطي الميرة «أي الطعام » لكل ناحية وهران ،فكانت الحبوب تنتقل منها الى كل من المرسى الكبير ووهران ،إلا أن هؤلاء التجار توقفوا عن تمويل المراكز بعد سيطرة الحامية التركية على قلعة بني راشد ،[2] و هو ما يؤكده صاحب كتاب غزوات عروج و خير الدين :"فلما تمكن عروج من مملكة تلمسان منع أهل القلعة من إمداد النصارى بما كانوا يمدونهم فضاقت أحوال النصارى و اشتد عليهم الأمر "[3]

و عندما يكون الإسبان في أشد الحاجة إلى المواد الغذائية فإنهم يعمدون إلى الإغارة على القبائل و القرى ،و نستدل على ذلك من خلال إحدى الرسائل ،ذكر فيها صاحبها :"بأن شيوخ أغبال لم يتقدموا إلى وهران ،لبيع منتوجاتهم الغذائية ،و لهذا لا بد من إرسال الجند للسيطرة على الأعمال لأن وهران تحتاج إلى المواد الغذائية ،كما أن القبائل العربية لم تصدر لها تلك المواد منذ ثمانية أيام و أن المدينة تعيش ضائقة اقتصادية ،و إذا استمر الأمر على هذا الحال فإننا لا نجد ما نأكله ،و لا يوجد بالمدينة إلا مائة ثور و خمسمائة رأس من الأغنام ،و لم يبق لنا من الحبوب إلا 244 (Fanogus)[4] و هو ما دفعهم إلى للقيام بالغارات على القبائل ليستولوا على ما فيها من المواد الغذائية" .[5]

كان لملوك إسبانيا دور في تشجيع المبادلات التجارية ،بين أراضي الدولة الزيانية و المراكز الإسبانية في كل من وهران و المرسى الكبير ،و هدفهم من وراء ذلك محاربة التهديدات العثمانية حيث عمد الأسطول الجزائري إلى مراقبة حركة التنقل بين وهران و المرسى الكبير و مدن جنوب إسبانيا و إيطاليا ،كما عمد هؤلاء الى محاربة القبائل التي كانت تتعامل مع الإسبان ،بقتل كل من يكتشف أمره بأنه يزود الإسبان بما تحتاج إليه من المواد الغذائية [6].

---

[1]: مارمول ،مصدر سابق ،ص 352.

[2]: مختار حساني ،مرجع سابق ،ص 170.

[3]: مجهول ،غزوات ،مصدر سابق ، ورقة 29.

[4]: هو نوع من المكاييل المستعملة من قبل الإسبان .

[5]: مختار حساني ،مرجع سابق ،ص171.

[6]: نفسه ، ص 182.

4-4 الضرائب :

فرض الإسبان على الأهالي المتعاملين معهم دفع العديد من الضرائب ،فكانت الضرائب التي كان شيوخ القبائل و سكان أحواز وهران يدفعونها من قبل إلى مملكة تلمسان قد حولها الإسبان لصالحهم .

فقد فرض الإسبان على القبائل الموالية لهم أو المتحالفة معهم ،الذين أطلقوا عليهم إسم (Moros de Paz) أي عرب السلام دفع أنواع متعددة من الضرائب ،كانت على شكل حبوب و أنعام و منتجات زراعية أخرى .و قد كلفوا اليهود بجمعها "فكان اليهودي - لعنه الله – يخرج بمحلته لقبض الضريبة فيضرب خباءه بوسط دواوير بني عامر من أولاد عبد الله و غيرهم ،ثم يتصرف فيهم تصرف الملك في رعيته بما شاء أمرا و نهيا ،فيصفّد هذا في الأغلال و يضع على رجلي هذا الأكبال ،و يجلد هذا و يخلي سبيل هذا إلى غير ذلك دون متعرض له "[1].

و يرجع سبب لجوء الإسبان إلى اليهود الى كون الإسبان بعد سيطرتهم على كل من المرسى الكبير ووهران احتاجوا إلى أموال لسد مصاريف الحاميات العسكرية بها ،لأن إسبانيا كانت تعاني أزمات اقتصادية نتيجة لكثرة مصاريفها في مستعمراتها بالعالم الجديد ،لذلك فإن تغطية تكاليف الحملة على المرسى الكبير و وهران كان بفضل أموال الكنيسة الإسبانية لذا لابد من إيجاد مجال للحصول على الأموال و لذلك تم فرض الضرائب على القبائل الموالية لهم و أحسن من يقوم بهذا الدور هم اليهود لعلاقتهم بالسكان .[2]

و تجدر الإشارة إلى المرحلة التمهيدية التي سعى إليها حكام وهران و المتمثلة في إعداد التحضيرات لعقد حفل ودي على شرف شيوخ القبائل و قادة الدواوير المتعاونة مع الإسبان ،بحيث يقوم الحاكم العام لوهران بإستدعاء شيوخ القبائل و أشرافهم قد مقابلتهم في حفل يتسلم في آخره هؤلاء الشيوخ من طرف الوالي مختلف الهدايا ،هذا بعد مناقشة طويلة بين الطرفين حول المنتوج الزراعي و مقاديره ،ينتج عنها فيما بعد الموافقة على ضبط جدول إحصائي يحمل الانتاج لكل منطقة و تحديد تسعيرة موحدة خاصة بالقمح و الشعير .[3] و كان هذا الاتفاق يتم عادة في القصبة إلا إذا اقتضت الظروف غير ذلك ،عندها يتم تغيير مكان الاتفاق إلى تمزوغة أو إلى مكان آخر [4].

---

[1]:عبد القادر المشرفي ،مصدر سابق ،ص 35.

[2]:مختار حساني ،مرجع سابق، ص 151 .

[3]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ،ص 179.

[4] :Diego Suarez Montanes, Op Cit , p 410.

كان هذا الاتفاق مع القبائل حول قيمة الضرائب يتم على مرحلتين :

المرحلة الأولى تتم فيها لقاء الحاكم العام بجميع شيوخ و أعيان القبائل لدراسة مشاكل الانتاج و تسعيرته يقع هذا أثناء مأدبة غذاء تقام بالقصر .

ثم تأتي المرحلة الثانية بعد انتهاء مأدبة الغذاء حيث يستقبل فيها الحاكم العام كل شيخ قبيلة على حدى ليمنح له مكافأة مالية تختلف من شيخ قبيلة الى آخر .[1]

و يمكن تلخيص المقاييس المراعاة من طرف الإسبان في تسديد المنح و المكافآت لمختلف هؤلاء الشيوخ بما يلي :

1- سلطة الشيخ و مدى تأثيرها على القبيلة .
2- مكانته السياسية لدى الإسبان .
3- الخدمات المقدمة من طرف قبيلته و قيمة ولائها .
4- الاعتماد على كمية المحصول المدفوع كضريبة .[2]

و أهم الضرائب التي كان يدفعها الأهالي للإسبان هي :

4-5-1 :ضريبة السيغورو :

وكان يطلق عليها أيضا إسم الثمن ،بحيث تقدم الإدارة الإسبانية في وهران وثائق رسمية تسلم إلى زعماء القبائل ،و تعد هذه الوثائق بمثابة بيان عن قبولهم لشروط ضريبة السيغورو .[3]

و قد حددت الإدارة العسكرية الإسبانية في وهران شروط تطبيق ضريبة السيغورو .التي كان يجب على القبائل القاطنة حول وهران و المرسى الكبير تنفيذها بالحرف الواحد ،و أن أي خلل في تنفيذها يعد صاحبها عاصيا و بالتالي عدوا لإسبان وهران ،و هي كما يلي :

1-على شيوخ أو زعماء الدواوير التصريح ،و تسجيل عدد المحاريث التي يملكها كل شخص،و طبيعة ممتلكاته ،و هذا من أجل تحديد كمية القمح و الشعير المخصصة لضريبة السيغورو ،كما أن هذه الطريقة تعد وسيلة لمعرفة العدد الصحيح للسكان في كل دوار .

2-يمنع منعا باتا على العرب المسالمة الموافقة على ضيافة ،أو إستقبال أحد من العرب المعادية في مقر إقامتهم و هذا ينطبق على أي شخص ينتمي إلى القبائل المعادية للإسبان و لو لليلة واحدة .

---

[1] : Vallejo , Op Cit p359.

[2]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ،ص 180.

[3] :Malki noredine , Op Cit ,p 154.

3-يمنع على العرب المسالمة إبرام أية علاقة ،أو إجراء أي إتصال مع العرب المعادية ،أو الانضمام إليهم .

4-ممنوع على العرب المسالمة أن يزودوا العرب المعادية بأية معلومات أو أخبار تتعلق بالإسبان ،أو كل ما يتعلق بوهران .

5-إن التطبيق الصارم للتعليمات و الأوامر المفروضة من طرف السلطات العسكرية الإسبانية لها علاقة بتنقلات عرب السلام ،و هي بمثابة وسيلة لمراقبة تحركاتهم من أبراج المراقبة و أعالي الأسوار حتى لا يتم اختلاطهم بالعرب المعادية ،و على العرب المسالمة أن يلتزموا عند وصولهم إلى وهران بالتعليمات التالية :

- السير فقط في الطرق المحددة وليس عبر الحقول .
- لا يعبرون الحقول ،و لا يطلقون صيحات الحرب أو إثارة الجنود و استفزازهم كما تفعل العرب المعادية .و إلى جانب هذه الشروط ذكر "دييغو سواريز "أن هناك شروط أخرى موجودة في وثائق الضريبة المذكورة .[1]

و يذكر" دييغوا سواريز " أنه كان مكلفا بتحرير هذه الوثائق ،وكذلك الإتفاقيات السلمية مع السكان مقابل دفع الضرائب ،خلال السنوات الأخيرة من إقامته في وهران .[2]

فقد كانت بيد كريشتل أراضٍ شرق وهران ،ينتجون فيها ثمارا كثيرة يبيعونها في وهران ،و لم يكن الإسبان يطالبونهم بأكثر من دجاجة في العام لكن في المقابل يتم تكليف إثنين من القبيلة يراقبان كل ما يحدث في ميناء أرزيو و يبلغون الإسبان بكل شيء .[3]

4-5-2 :ضريبة الرومية :

ضريبة يدفعها الأهالي القاطنون حول وهران الخاضعون للإسبان إلى السلطة الاسبانية في وهران كل سنة لينالوا الأمان ،يدعونها الرومية و المقصود بها الضريبة التي تدفع للرومي ،فكان كل دوار يدفع ضريبة من القمح تبلغ قيمتها اثنتان من الدوبلات (Doblas) عن كل خيمة ،و هي ضريبة غير ثابتة يتحكم فيها عدد خيام الدوار ،كميات الانتاج و أهمية الدوار لدى الاسبان [4].وكانت ضريبة

---

[1]: عبد القادر فكاير ،مرجع سابق ،ص ص 245-246.

[2] :Malki Noredine ,Op Cit ,p 155.

[3] :Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Op Cit , pp 42-43.

[4] :A .Berbrugger ,Reprise d’Oran par les espagnols en 1732 , R.A , 1864 ,T8 ,p18.

الرومية التي دفعها العرب قبل تحرير وهران الأول في سنة 1708 م تساوي واحد دوبلا لكل 28 برشالا (Berchalas) [1].

في شهر جوان من كل سنة يتم في وهران تنظيم تجمع في قصر الحاكم العام ،يجمع كل شيوخ القبائل و رؤساء العشائر و العديد من الفرسان و الفلاحين ،و ذلك من أجل تحديد قيمة ضريبة الرومية ،و كان يقدم لهم مأدبة إفطار تحتوي على السمك و الفواكه الجافة و غيرها ،ثم تحدد قيمة الدوبلة ،و بعد ذلك يكافؤ الشيوخ بكميات من تبغ البرازيل و بعض النقود كمكافأة جزاء تعاونهم [2].

و عندما يتم تحديد قيمة الضريبة يتحصل الشيوخ على مكافأة ،ثمانية ريالات لكل دوبلا من القمح المدفوع من طرف الدواوير [3] وجاء في تقارير أخرى أنهم كانوا يتحصلون على سندات من قبل صاحب الجلالة تبين الحصص التي استفادوها مثل 100 ، 80 ،أو 60 دورو[4] .

و من باب إبداء حسن النية في سداد هذه الضرائب يقدم كل شيخ دوار بعض أبنائه أو أقاربه كرهائن يستقرون مؤقتا في وهران على حساب الخزينة الإسبانية ،و حين يتأخر عن دفع الضريبة تعطى له مهلة إذا تجاوزها يعتبر عدوا لإسبانيا ،و يعلن هذا كتابيا و يعلق الإعلان على باب تلمسان أو كنستال ،و يكون أمام المتأخرين حلان ،إما دفع الضريبة الذي يسبقه الاعتذار عن التأخر مع طلب مهلة أخرى ،و إما رحيل الدوار او القبيلة هروبا من الإسبان ،و في هذه الحالة تباع الرهائن و تصب المبالغ في الخزينة الملكية[5].

6-4 :الأسرى :

لقد أثار موضوع الأسرى المسيحيين في أراضي الاسلام ،وفي الجزائر منها على الخصوص الكثير من الجدل ،و أسال الكثير من الحبر ،بينما ظل موضوع الأسرى المسلمين في الضفة الشمالية من البحر المتوسط و منه الأسرى الجزائريين في اسبانيا أو في المناطق الموالية لها في أوربا ،يكتنفه الكثير من الغموض ،و يلاحظ سكوت شبه تام للمصادر الغربية عن وضعية العذاب و التشريد و الأسر التي

---

[1]:واحد برشالا يساوي أربعة أمداد .

[2] :Henri Léon Fey ,Op Cit ,p 226 .

[3] :Ipid ,p225-226.

[4]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص 248 .

[5]:كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ،ص 174 .

كان يتعرض لها الجزائريين خاصة ،و المسلمين عامة على أيدي قراصنة و لصوص البحر المالطيين و الايطاليين و الاسبان و الفرنسيين و غيرهم .[1]

يقول شارل أندري جوليان بأنه عند إحتلال الإسبان لوهران سنة 1509 م، تم أسر ثمانية آلاف شخص[2].

و بالنسبة لكيفية وقوع الجزائريين في الأسر فإن أغلب الأسر كان يتم عن طريق الغارات المفاجئة التي كانت القوات الإسبانية تشنها على القرى المجاورة لوهران و المرسى الكبير ،وفي هذا الخصوص يذكر مارمول بأن القائد الإسباني دي مونكادي و في إيطار التحضير لحملته على الجزائر سنة 1519 م " قرر مع القواد أن يخطفوا الماشية في سهول سفين ،و هي مجموعة سكنية كبيرة قرب وهران،توجد فيها عدة دواوير للعرب و البربر ، فتوجهوا نحو أرزيو القديمة لمغالطة جواسيس المغاربة الذين كانوا على أبواب وهران ،ثم عادوا فورا الى هذه المساكن في منتصف الليل ....فحملوا على خمسة وثلاثين قرية ،ففاجئوهم...و اختطفوا خمسة عشر ألف رأس من الماشية الكبيرة و الصغيرة التي كانت في الجبال المجاورة ،و لم يأسروا سوى مائة و ستين من هؤلاء البرابرة الذين قد لاذوا بالفرار و عادوا إلى وهران بهذه الغنائم ".[3]و أثناء حملة دالكوديت على تلمسان سنة 1543 م قام بمهاجمة قافلة كانت تحمل المؤونة إلى سكان المدينة ،كما تمكن من أسر ألف شخص [4].

نظم الإسبان في الفترة الممتدة بين 18 أفريل 1568 م و 16 نوفمبر 1571 م ،إحدى عشر غزوة انطلاقا من وهران و المرسى الكبير ،و تمكنوا خلالها من الإستيلاء على 2160 أسير من مختلف الأعمار ، رجالا و نساء و أطفال ،توفي منهم 26 شخصا ،نتيجة للجروح التي أصيبوا بها و أطلق سلاح 25 شخصا عدما ثبت إنتمائهم إلى العرب المسالمة ،و قد إحتفظ الحاكم العام لوهران بعدد يتراوح ما بين 52 إلى 65 أسير [5].

وكان الإسبان يفضلون قتل أسراهم على إطلاق سراحهم[6] ،كما كان السكان يفضلون الموت على الوقوع في الأسر ،و يذكر في هذا الخصوص "مونتانيس ":"كنا نرى أحيانا الرجال و النساء

---

[1]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ،ص 311.

[2]:شارل أندري جوليان ،تاريخ إفريقيا الشمالية ،تونس –الجزائر –المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي الى سنة 1830 م ،تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة ،ج 2،الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،تونس ،1978 ،ص 324.

[3]:مارمول ،مصدر سابق ،ج 2 ،ص 311.

[4] :Ruff ,Op Cit ,p 94.

[5] :Malki ,Op Cit ,pp 185-186.

[6]:Ipid ,p.162

يستسلمون ، بينما كان آخرون يرفضون الاستسلام رغم الجراح التي كانوا يعانون منها ،و كانوا يطلبون الموت على تحويلهم إلى عبيد "[1].

فقد تصدرت كتاب "مولاي بالحميسي Les Captifs Algériens et L'Europe Chrétienne أبياتا شعرية للشاعر "محمد بلخير" باللهجة العامية تعكس بصدق رغبة الأسير المسلم في الحصول على الحرية,في قوله :

سَلاَكْ المَغْبُونْ مَنْ وَّطَنْ الكُفَارْ   قادَرْ كُلْ غرِيبْ لَبْلاَدْ تَديِهْ

سَلَّكْنِي مَنْ ضِيق العدا و التزيارْ   قادر تبني الريح و الكاف توطيهْ

سَلَّكْنِي يَا خَالْقِي مِنْ هِذِا الجَارْ   حْبس الْرُومِي لَا تخَلِي مُسْلِمْ فيهْ[2].

لقد أدت الغزوات التي يشنها الإسبان على المنطقة الغربية للجزائر إلى وجود نظام إستعبادي خضع له الجزائريون في المواقع الإسبانية ،فكانت وهران هي الموقع الرئيسي الذي تساق إليه الأسرى الذين تم القاء القبض عليهم ،و كان عدد منهم يباع لصالح من يقدم مبلغا أكبر ،لأنه يوجد عدد كبير من الزبائن يودون شراء أكبر عدد من الأسرى ،و قد يحتفظ الحاكم العام لصالحه بالعدد الذي يناسبه ،ثم يذهب بالباقي الى المدن الاسبانية المختلفة[3] .

بحيث و جدت وثائق في الأرشيف الإسباني بسيمانكاس ترجع لسنة 958 ه/ 1551 م ذكر فيها أن تجار إسبانيا كانوا يشترون أسرى مسلمين من وهران ،ومن ثم ينقلونهم إلى الموانئ الجنوبية الإسبانية و منها إلى الأسواق الاسبانية ،حيث يباعون لأصحاب الأراضي أو الاعيان الذين يستعملونهم للعمل في قصورهم ،كما وضحت لنا تلك الوثائق أسعار هؤلاء الأسرى فتقول :"هناك أسيرة تعرف باسم فاطمة عمرها مابين 12 و 13 سنة بيعت لأحد الإسبان بثمانين دينار "[4].

كما جاء في احدى الوثائق ترجع الى سنة 927 ه /1520 م أهم ما جاء فيها أن مدينة مالقا يوجد بأحد مراكزها ستة عشر أسير نقلوا من أراضي الدولة الزيانية ،و هناك واحد وثمانون شخصا أسروا من أراضي الدولة الزيانية ،فنقلوا من وهران ،بواسطة الأسطول الإسباني إلى مدينة مالقا و بيعوا

---

[1]:Montanes ,Op Cit , RA 1865 ,T9 ,p79.

[2] : BELHAMISSI (Moulay), Les Captifs algériens & l'Europe Chrétienne (1518 - 1830), (ENL), Alger, 1988,p 8.

[3]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ، ص 320.

[4]:مختار حساني ،مرجع سابق ،ص ص 180- 181 .

في أسواق العبيد بالمدن الإسبانية [1]،و لم يكن نقل الأسرى لمالقة فقط ،بل نجد الميرية تحتوي على مجموعة من الوثائق تتعلق بالمبادلات التجارية و منها تجارة العبيد[2] .

خلال حملة دالكوديت سنة 1549 م على احدى المناطق السكانية حول مدينة وهران عاد ب 75 أسير ،بيع منهم اثنا عشر أسير بطريقة المزاد في الساحة العامة للمدينة ،من بينهم عشر نساء تتراوح أعمارهم بين 25 سنة و 40 سنة و هن :تالية ،تونس ،عربية ،ملوزة ،عائشة ،مريم ،ملشة فاطمة ،يطو ،عائشة . وكان لبعضهن أطفال ،تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر و ثلاث سنوات .أما الأسيران الآخران ،فأحدهما يدعى علي عمره ست سنوات ،و الآخر اسمه قوحاك و عمره ستون سنة بيع الطفل بخمسة عشر دوبلا ،أما العجوز بخمسة دوبلات .وكانت الأسعار تختلف حسب الجنس و السن ،و أما النساء فتراوحت أسعارهن بين 8 و 48 دوبلا ،أصغرهن سنا هي الأغلى ثمنا.و بعد يومين بيع رجل و عمره 27 سنة بأربع و أربعين دوبلا ،و ستة رجال آخرون تتراوح أعمارهم بين العشرين و الخمسة و خمسين سنة بثمن تراوح بين 5 و 32 دوبلا ،أكبرهم سنا أقل ثمنا [3].

و بالنسبة لعملية افتداء الأسرى فإن أغلبها كان يتم عن طريق التبادل بين الأسرى المسلمين و الأسرى الإسبان ،بحيث وقع تبادل في صفوف الأسرى بين الطرفين سنة 1768 م ،بعد جهود كبيرة من الطرف الإسباني ،انتهت باتفاق في شهر أكتوبر من سنة 1768 م ،حيث اشترط الجزائريون على إسبانيا إطلاق جميع ما لديها من الأسرى مقابل افتداء الأسرى الإسبان الموجودين في الجزائر ،فأطلق سراح 120 أسيرا مسلما مقابل 712 أسيرا اسبانيا حرروا عن طريق دفع مبالغ مالية و أعيدت الاتفاقية نفسها سنة 1773 م ،أين اشترطت الجزائر اطلاق سراح أسيرين مسلمين عن كل أسير اسباني ،و بهذه الطريقة تم تحرير 1106 من الأسرى المسلمين و 570 من الأسبان [4].

ورد في مذكرات أحمد الشريف الزهار :"فلما كانت سنة 1199 ه ،أتى الاصبانيول للصلح و أتوا معهم بالأسارى الذين معهم ،و أبدلوهم النصارى الأسرى ،أما الأسرى الباقين من الاصبانيول فدفع عنهم ألف دورو على الرأس. وكذلك لأهل البلاد قيمة الأسرى الذين بأيديهم ألف دورو

---

[1]:نفسه ، ص 182.

[2]:نفسه ،ص 181.

[3]:فكاير عبد القادر ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ، ص ص 320 ،321 .

[4]:حفيظة خشمون ،مهام مفتدي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية ،رسالة ماجستير ،جامعة منتوري قسنطينة ،2006-2007 ، ص 25 .

لكل رأس ،و حملوا الأسارى ووقع بينهم الصلح "[1]، و في سنة 1755 م قبل الداي عرض رجال الدين المسيحيون و القاضي بتحرير 370 أسيرا جزائريا مقابل 20 أسير مسيحي [2].

و في رسالة بعثها ملك تلمسان مولاي عبد الله إلى حاكم وهران مؤخرة بتاريخ 15 جانفي 1530م أهم ما جاء فيها :"إن العرب الذين تم أسرهم من طرف أشخاص من مدينة قرطبة فإنهم ينتمون إلى منطقة "تبقريت " (Tabekrit) [3]و طلب من جلالته إعادتهم له مقابل 500 دوبلا "[4].

و من بين طرق تحرير الاسرى الجزائريين لدى الإسبان في وهران ،دفع الأموال كان يتولاها رجال من القبيلة لديهم أسرى لدى الاسبان ،فخلال سنتي 1511 م-1512 م تم افتداء عدد من الأشخاص ، نذكر منهم محمد (سبع سنوات) ،محمد البدوي (ثلاثون سنة) ،أحمد (خمسة عشر سنة) ،و قد تراوحت حقوق تحريرهم من وهران ما بين ثمانية الى عشرة دوبلا (Doblas) للشخص الواحد حسب السن [5].

---

[1]:أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهارنقيب أشراف الجزائر ،تحقيق أحمد توفيق المدني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1980، ص 34 .

[2] : BELHAMISSI (Moulay), Les Captifs algériens ,Op Cit ,pp 84-85.

[3]:ميناء صغير يقع قرب رأس هون .

[4] :Primaudaie ;Documents ,R A 1875 ,Op Cit ,p 17.

[5]:عبد القادر فكاير ،الغزو الاسباني ،مرجع سابق ، ص 327.

و أهم ما يمكننا إستخلاصه من هذا الفصل ما يلي :

لقد ترتب عن الوجود الإسباني في وهران و المرسى الكبير تحالف بعض قبائل الغرب الجزائري مع الإسبان ،و قد تسبب ذلك في حدوث شرخ في صفوف المجتمع الجزائري في المنطقة الغربية من البلاد ،و قد ساهم ذلك من دون شك في إستمرار بقائهم مدة طويلة في وهران و المرسى الكبير .

كما نتج عن الإحتلال الإسباني لمدينة وهران و المرسى الكبير لمدة تقارب ثلاثة قرون ،تعرض قبائل المنطقة المجاورة للموقعين إلى غارات مفاجئة كان يشنها الإسبان ضد قبائل المنطقة خاصة القبائل المعادية لهم و كثيرا ما كان الإسبان يشنون غارات حتى على القبائل المتعاونة معهم .

كانت القبائل المتعاونة مع الإسبان مجبرة على دفع ضرائب لهم ،كما كانت هذه القبائل تتعامل مع تجار الإسبان عن طريق بيع منتوجاتهم من أغنام و معز و تمور و غيرها و بالمقابل كانوا يشترون من الإسبان القطن و الورق و البندق .كما إتخذ الإسبان من تلك القبائل جواسيس و أعين لهم يعلمونهم بكل شيء خاصة فيما يتعلق بوضعية القبائل المعادية لهم و ذلك لكي يتمكنوا من الإغارة عليها .

إن أهم ما تعرض له سكان قبائل الغرب الجزائري هو الوقوع في الأسر ،بحيث كان الإسبان يستولون عليهم إما بغرض بيعهم في الأسواق مقابل مبالغ مالية ضخمة أو لغرض إستعمالهم في مختلف الأشغال وخاصة في التجديف ،و قد تعرض لهذه العملية الناس من مختلف الأعمار سواء كانوا ذكرا أو أنثى ،كما كان الإسبان يقومون بإرسال الأسرى المسلمين إلى المدن الإيطالية من أجل بيعهم هناك ،و كانت طرق تخلص بعضهم من الأسر مختلفة ،إما عن طريق الإفتداء بالمال ،أو عن طريق التبادل خاصة بعد توصل البلدين إلى إبرام معاهدة الصلح سنة 1786 م .

الفصل الثاني :

قبائل الغرب الجزائري و علاقتها بالأتراك العثمانيين

1- بايلك الغرب الجزائري و خصوصيته .

2- قبائل المخزن و علاقتها بالسلطة العثمانية .

3- قبائل الرعية و علاقتها بالسلطة العثمانية .

4- القبائل المتحالفة وعلاقتها بالسلطة العثمانية .

5- القبائل المستقلة و علاقتها بالسلطة العثمانية .

6- تأثير المغرب الأقصى على قبائل الغرب الجزائري.

تناولت في هذا الفصل بايلك الغرب الجزائري و أهم الخصوصيات التي تميز بها عن غيره من البايلكات ،ثم ذكرت أهم قبائل المخزن الموجودة في الغرب الجزائري ،تعريفها و أهم الأماكن الإستراتيجية التي تتمركز بها هذه القبائل ،و أبرز الإمتيازات التي كانت تتمتع بها .

ثم أشرت إلى أهم قبائل الرعية الموجودة ببايلك الغرب الجزائري و علاقتها بالسلطة العثمانية مع ذكر أهم الضرائب التي كانت تدفعها هذه القبائل للأتراك العثمانيين ،ثم عرجت على قبائل الغرب الجزائري التي تحالفت مع الأتراك العثمانيين منذ إستقرارهم في هذا البايلك و أهم الأسباب التي أدت بالسلطة العثمانية إلى التحالف مع هذه القبائل .

كما تطرقت إلى القبائل المستقلة عن السلطة العثمانية في الغرب الجزائري ،و أهم أسباب إعلان عصيانها و عدم خضوعها للبايلك .

و أخيرا ذكرت تأثير المغرب الأقصى على قبائل الغرب الجزائري، خاصة القبائل التي تقع على الحدود بين المغرب و الجزائر و التي كانت غير ثابتة في ولائها سواء للأتراك العثمانيين أو لسلاطين المغرب الأقصى .

1-بايلك الغرب الجزائري و خصوصيته :

تأسست في مطلع القرن السادس عشر ،سلطة جديدة بمدينة الجزائر ،بعد أن حل بها الأخوان عروج و خير الدين بربروس ،اللذان استجابا لطلب المساعدة الذي تقدم لهما به أهالي مدينة الجزائر [1]،و بفقدان وهران –أهم موانئها – تدهورت الوضعية المالية لدولة الزيانيين بتلمسان فدخلت أجزاء شاسعة من أراضيها تحت نفوذ شيوخ القبائل و زعمائها [2]،و انحصرت سلطتها الدولة الزيانية في مدينة تلمسان و الضواحي التابعة لها ،و انفصل الجزء الشرقي من المملكة بصفة واضحة حيث أسس "عرب الأمحال " بزعامة حميد العبد إمارة في تنس [3].

بدأ الأتراك العثمانيون بتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة ،بالقضاء على سلطة الثعالبة بالجزائر[4] ثم توجهوا غربا فأخضعوا إمارة تنس سنة 922ه/1516 م التي كانت تحت حكم حميده العبد بحيث و بعد مقتل سالم التومي تحالف مع ابن هذا الأخير ضد عروج ،إلا أنه فشل في محاولته فأصبح بعد ذلك ،حليفا لخير الدين ،و كان يتعامل في نفس الوقت مع الإسبان [5].

و على ما يبدو أن حسن بن خير الدين ،كان أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية في بايلك الغرب ،و قبل أن يعود من حصار و هران إلى مدينة الجزائر في عام 968 ه /1563م ترك حامية عسكرية في مستغانم ،و عين أبا خديجة بايا [6] و تفاديا للغارات الإسبانية القادمة من وهران ،و التحكم أكثر في قبائل المنطقة الغربية ،فضل الباي نقل مقر إقامته إلى المناطق الداخلية ،فإختار مازونة مقرا للبايلك. [7]

تولى أمر بايلك الغرب في بداية العهد العثماني بايان اثنان ،أحدهما مقره مازونة و الآخر تلمسان .و في عام 1706 م وحدهما الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي (1686 م -

---

[1]:مجهول ،كتاب غزوات عروج و خير الدين ،تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر ،المطبعة الثعالبية و المكتبة الأدبية ،الجزائر 1934 ،ص ص 27 – 44.

[2] :Ruff ,Op Cit ,pp 13-17.

[3] :Belhamissi moulay ,Histoire de Mostaganem des origines a l'occupation française centre nationale d'Etudes historique ,Alger , 1976 , pp 55-67.

[4] :Laugier de Tassy ,Op Cit , pp 11-13.

[5] :Walsin Esterhazy ,De la domination turque dans l'ancienne régence D'Alger Lib de Charles Glosslin ,Paris ,1840 ,p 126.

[6]:محمد بن يوسف الزياني ،مصدر سابق ،ص 192.

[7] :Walsin Esterhazy ,Op Cit ,p 163.

1733 م)،و نقل عاصمة البايلك الى قلعة بني راشد ،ثم إلى معسكر ،و هذا حتى يقترب أكثر من وهران [1] .

كانت رقعة بايلك الغرب الجغرافية في العهد العثماني تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الأغواط جنوبا [2]،و من الحدود المغربية غربا إلى بايلك التيطري و دار السلطان شرقا .و يكتسي هذا الموقع الإستراتيجي أهمية بالغة ،ذلك أنه يتفتح على عدة كيانات و تجمعات بشرية :المملكة المغربية ،و أوربا ،و المناطق الصحراوية من خلال القوافل التجارية ،و بايلك التيطري و دار السلطان [3].

قسم البايلك إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان ،و يحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل و الأعراش ،و الدواوير .و كان يعين على كل وطن أو مجموعة من الأوطان قائد .أما الشيوخ فكانوا يعينون على القبائل و الدواوير . [4]

وكان الجهاز الاداري للوطن يتكون من القائد ،الذي يعينه الداي ،باقتراح من الباي ،على رأس الوطن أو مجموعة من الأوطان ،و كانت تربطه علاقة مباشرة بالباي .وهو في الغالب من أصل تركي أو كرغلي أو من الأعلاج ،و يمكن أن يكون أحيانا من أصل عربي .و كانت مهمته تتمثل في الإشراف على شؤون القبائل ،التي يحكمها بواسطة شيوخها ،و يسهر على الأمن ،و السير الحسن للأسواق ،التي كانت تعقد في المناطق الخاضعة له[5].

كان شيوخ القبائل يتمتعون بسلطات واسعة مما جعل منهم زعماء المناطق الريفية الحقيقيون فقد كانوا في أواخر العهد الزياني بتلمسان مصدر قوة الدولة الفعلية و مواقفهم السياسية كانت حاسمة [6]و عندما حل الأتراك بالجزائر فإنهم وجدوا واقعا اجتماعيا و سياسيا متجدرا في الماضي ،تمثل في وجود عدة كيانات سياسية محلية تمثلت في المشيخات [7] ،بحيث حافظ العثمانيون على هذا

---

[1]:يحي بوعزيز ،مدينة وهران عبر التاريخ ،دار الغرب للنشر و التوزيع ،ط 2 ،وهران ،2002 ،ص 80- 95.

[2]: ابن سحنون الراشدي ،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ،تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي ،منشورات التعليم الأصلي سلسلة التراث ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،1973 م ،ص 12 .

[3]: الواليش فتيحة ،مرجع سابق ،ص 16.

[4]:أرزقي شويتام ،مرجع سابق ،ص 53.

[5]:نفسه ، ص 54 .

[6] :Rufe ,Op Cit , pp 13-16.

[7]:عمر حرفوش ،مرجع سابق ،ص 76.

التنظيم الاجتماعي في الأرياف ،و ذلك بإبقائهم على سلطة شيوخ القبائل ،و دعمهم لشيوخ الزوايا و الطرق الصوفية ،مما يمثل ازدواجية في السلطة الادارية .[1]

و على العموم فقد تركت السلطات أمور الادارة الداخلية لشيوخ القبائل المنحدرين من العائلات الكبرى فكان كبير الشيوخ الذي ترأس شيوخ الفرق ،يعامل كخليفة للقائد التركي ،لذلك سمي بشيخ الشيوخ ،لأن السلطات كانت على دراية تامة بأن أعيان تلك القبائل لم يكونوا ليقبلوا بشيخ غريب عن قبيلتهم ،لذلك أبقى البايلك و بصفة وراثية على عادة رئاسة شيوخ بعض العائلات لتلك القبائل [2].

إن الطابع الذي ميز بايلك الغرب قبل 1792 م هو الطابع العسكري ،نتيجة الصراعات المستمرة بين الأتراك العثمانيين من جهة و سلاطين المغرب من جهة أخرى ،إلى جانب الإحتلال الإسباني في كل من وهران و المرسى الكبير ،و من ثم كان على سكان المنطقة الغربية من إيالة الجزائر التأهب باستمرار لأي طارئ (حالة استنفار دائم) فكان لهذا الوضع بالغ الأثر على جميع جوانب الحياة ،فعدم الاستقرار خارج المدن الكبرى و الجبال المنيعة انعكس سلبا على الزراعة ،وكذا على العمران ،ليصبح المصدر الرئيسي في الثروة يتمثل في تربية الماشية ،حتى يسهل الانتقال بها أثناء نشوب معركة ،أو قدوم غارة ما [3].

و هذا الوضع جعل تنظيم البايلك أكثر سهولة من جهة ،و أشد قوة من جهة أخرى ،بحيث كان البايلك مقسما إلى ثلاث قيادات كبرى ،قيادة الشرق :و التي تمتد من مازونة إلى حدود دار السلطان و يتولى أمرها خليفة الباي ،أما القيادتان الباقيتان فقد كانتا تشملان باقي الأقاليم ،و تديرهما قبيلتي الدواير و الزمالة ،و قد كان لهتين القبيلتين أربع أغوات يتقاسمون العمل فيما بينهم ،و لا يباشرها إلا إثنين فقط ،في الوقت الذي يستريح فيه الآخران ،و قد كان آغا الزمالة و آغا الدواير مجبرين على تنسيق الأعمال بينهما لأن السكان الواقعين تحت نظر هذا متداخلون مع السكان الواقعين تحت

---

[1]: ناصر الدين سعيدوني ،ورقات جزائرية ،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت لبنان ،2001 ،ص 254 .

[2]: عمر حرفوش ،مرجع سابق ، ص 77.

[3]: سميرة طالي معمر ،القوى المحلية في بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني (1206 هـ -1246 هـ/1792 م -1831) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،2010/2009 ،ص 42.

نظر ذاك .و كان ذلك متعمدا من طرف الأتراك العثمانيين حتى إذا فكر أحدهما في التمرد ،أمكن الآخر إحباط مشروعه في كل نقطة من نقاط سلطته[1] .

تجمع المصادر التاريخية على أن سكان الأرياف خلال العهد العثماني ،كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة و هم يعيشون في قبائل متناثرة ،فكانت القبائل القاطنة في المنطقة التلية تعتمد في حياتها اليومية على الزراعة نظرا لخصوبة التربة ووفرة المياه ،أما القبائل المنتشرة في الهضاب و الصحراء ،فكان أساسها يتمثل أساسا في تربية المواشي [2].

يقول حمدان بن عثمان خوجة عن سكان الأرياف ما يلي :"ينقسم البدو إلى طبقتين أو على الأصح إلى نوعين من السكان ،فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون ،أصلهم من الشرق و ينحدرون من قبائل عربية ،أمل الذين يسكنون الجبال أو الأماكن الوعرة ،فهم البرابرة الحقيقيون الذين تختلف لغتهم عن لغة العرب "[3].

و يمكن تصيف سكان الريف من حيث نوعية نشاطهم الاقتصادي إلى سكان سهول يشتغلون بزراعة الحبوب أو سكان الجبال يشتغلون في البساتين و غراسة الأشجار المثمرة ،أو أُجَرَاء في فحوص المدن أو خماسة لدى ملاك الأراضي أو رعاة ينتشرون في السهوب أو رحلا يجوبون الصحراء ،غير أن هذا التقسيم لا يمكن أن يوضح لنا الحياة الاجتماعية في الريف الجزائري في ذلك العهد كما يوضحها التقسيم المبني على أساس علاقة هذه الأقسام أو الطبقات بالسلطة العثمانية الحاكمة ،و سكان الأرياف بهذا الاعتبار إما قبائل متعاونة مع الأتراك ،تقدم للبايلك خدمات منوعة مقابل امتيازات محددة ،و إما قبائل متحالفة تأخذ منها اللزمة ،و إما قبائل ممتنعة عن سلطة البايلك محصنة عن سطوة محلاتها بمواقعها الجبلية ،و إما قبائل الرعية الخاضعة لجميع المطالب المخزنية [4].

لقد عرف بايلك الغرب ظروف خاصة تمثلت أساسا في الوجود الاسباني بوهران و المرسى الكبير مما أثر على توزيع السكان في هته المنطقة ،بحيث تحول إلى عامل طرد للقبائل خاصة من المناطق القريبة من وهران و المرسى الكبير ،كما عرف البايلك أيضا سيطرت القبائل المخزنية على أجود الأراضي الواقعة بين وادي المالح غربا و مينا و الشلف شرقا ،بحيث امتلكت 78 % من

---

[1]:سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ،ص ص 42-43.

[2]:أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 98.

[3]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ،ص 53 .

[4]:أحمد بحري ،الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671 -1830 م ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة وهران 2002/2001 ،ص 58 .

السهول الوهرانية ،و سيطرت قبائل الدواير القوية وحدها على أزيد من 100000 هـ ،و بذلك اضطرت قبائل الرعية إلى النزوح نحو المناطق الجبلية أو السهول المقفرة [1].

كانت القبائل في بايلك الغرب منقسمة في الأساس بين قبائل مخزنية خادمة للسلطة و قبائل محالفة لها مقابل إمتيازات ،و قبائل ممتنعة يصعب الوصول إليها ،و بين هذه و تلك رعية خاضعة تقع عليها الأعباء الضريبية المختلفة و تشكل أكبر نسبة ضمن النسيج البشري المعمّر للريف ،و لذلك قيل :" لم تكن القبائل كلها على مرتبة واحدة ،فمنها الآكلة و منها المأكولة "[2].

2 – قبائل المخزن و علاقتها بالسلطة العثمانية :

إرتبطت الإدارة العثمانية بالجزائر و بالخصوص في المناطق الريفية بمصطلح "المخزن "،و يعود أصل هذه الكلمة إلى تلك المؤسسة الإدارية ،التي أنشأتها دول المغرب قبل الفتح الاسلامي و المتمثلة في الأعوان الإداريين المكلفين بتسيير و حفظ محصولات الضرائب العينية المكدسة في "المخازن" ،إلى أن أصبح هذا اللفظ يطلق على تلك الإدارة نفسها.

و قد تطور معنى هذا اللفظ ،ليشمل كل الأعيان الإداريين التابعين للبايلك تقريبا ،إلى أن أصبح في العهد العثماني ،لفظا مرادفا لكلمة "سلطة أو حكومة "[3].

يٌعرف ناصر الدين سعيدوني قبائل المخزن بأنها :"مجموعات سكانية تعميرية إصطناعية متمايزة في أصولها ،مختلفة في أعراقها ،فمنها من أقره الأتراك العثمانيون في الأراضي التي وجدت عليها لتكون سندا لهم و منها من أعطيت لها الأراضي لتستقر عليها ،و منها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ، لتؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية "[4].

وقد عرف المزاري المخزن بقوله :" إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت ،وحيثما وجدت و تملكت و باتت ،و النسبة اليه مخزني،ومخازني،مفرد المخازنية في تحقيق المباني، و سمي بذلك لأنه يخزن بصدره ما يؤلمه الى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه و به يلزمه ،وقد يطلق المخزن مجازا على دار الحاكم نفسها في المستبن و منه قولهم إني ذاهب إلى دار المخزن " .[5]

---

[1]: قدور بوجلال ،العلم و العلماء في بايلك الغرب ،مذكرة ماجستير ،جامعة وهران ،2008-2009 ،ص ص 51-56.

[2]: كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ،ص 246 .

[3]:عمر حرفوش ،مرجع سابق ، ص 39.

[4]:ناصر الدين سعيدوني ، ورقات ،مرجع سابق ،ص 258 .

[5]:المزاري آغا بن عودة ،مصدر سابق ، ص 30.

يمكننا تصنيف قبائل المخزن إلى ثلاثة أنواع هي : القبائل المحلية العريقة ،التي كانت تحتل الأراضي الخصبة ،الواقعة في المناطق التلية ،أو القريبة من المدن ،و قد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية و سهلة المنال ،و لهذا فضلت منذ البداية التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها و الانتفاع ببعض الامتيازات ،و التمتع بحق استخلاص الضرائب من قبائل الرعية .

و هناك قبائل شكلها الأتراك العثمانيين من عناصر غير متجانسة ،تنحدر من أصول مختلفة و كان معظم أفراد هذه القبائل الاصطناعية ،من مغامرين ،و مغتنمي الفرص ،و الفارين من قبائلهم الأصلية ، تفاديا لمبدأ الانتقام ،الذي اتخذ ضدهم ،و العبيد الذين تم عتقهم ،و كانت الإدارة العثمانية تجند من تلك القبائل فرسان فرق الزمالة ،و الدواير ،و العبيد ،و تم تدعيم هذه القبائل بالعناصر الكرغلية و العثمانية .

أما الصنف الثالث من قبائل المخزن ،فكان يتكون من بعض القبائل الممتنعة ،أو المستقلة ،التي أرغمت عن طريق القوة على الدخول ضمن قبائل المخزن ،إلا أنها لم تكن تلتزم بالوضع الذي فرض عليها إذ كلما شعرت بضعف الإدارة ،لانشغالها بقضاياها الداخلية و الخارجية ،تقوم بشق عصا الطاعة ،و تتخلى عن وضعها المخزني ،لتعود إلى وضعها الأصلي [1].

كانت تتمركز قبائل المخزن ببايلك الغرب في الأماكن الإستراتيجية ،و في ضواحي المدن و الحاميات لتسهيل حركة مرور الجنود ،و في الأسواق ،و بجانب مخازن الحبوب و الطواحين و غيرها و تكلف بحراسة الأبراج و الحصون ،و الممرات الرئيسية ،و المسالك الجبلية ،و كان يعتمد عليها في استخلاص الضرائب و حفظ الأمن ،و كانت تتمتع باستخلاص الضرائب غير الشرعية [2]،فإذا تتبعنا مثلا الطريق السلطاني الرابط بين مدينة الجزائر و كل من مدينتي وهران و معسكر ،نجد العديد من قبائل المخزن المستقرة حوله ، فمن الشرق نحو الغرب نجد على التوالي : مخزن بوحلوان بالقرب من مليانة ،مخزن أولاد الصحاري إلى الغرب من مليانة ،مخزن بني يحي على وادي الروينة ،زمالة البغدادي بوادي الفضة ،مجموعتين من قبائل الزمالة عند ملتقى واد اسلي بالشلف ،عزارة عند ملتقى وادي رهيو بالشلف ،مجموعتين من قبائل الزمالة عند ملتقى واد مينا بالشلف ،فمخزن الصحاري على واد الهليل ،ثم مجموعات الدواير و الزمالة المنتشرة بين وهران و معسكر [3].

---

[1]: أرزقي شويتام ، مرجع سابق ،ص ص 235-326 .

[2]: دحماني توفيق ،النظام الضريبي ،مرجع سابق ،ص 53 .

[3] : Warnier et Carette, Description et division de l'Algérie, Librairie De L . Hachette ,Paris , 1847 ,p 49.

كما كانت تتمركز على الطريق الرابط بين مدينة وهران و مليانة ،كما تم وضع فرق أخرى على طول الطرقات الرابطة بين وهران و مستغانم و مازونة ،و معسكر و تلمسان [1].

كانت قبائل المخزن في بايلك الغرب تظهر على الخريطة في توزيعها على شكل خطين متوازيين الأول يأخذ جوانب الجبال التلية ،من سبخة وهران إلى منتصف وادي الشلف ،و الثاني في أطراف الصحراء من سعيدة الى سبدو ،و هو كان يسمح بمراقبة قبائل الرعية [2].

لعل أهم منطقة تمركزت فيها قبائل المخزن في بايلك الغرب هي السهول الوهرانية التي كانت عرضة للتهديد من طرف الاسبان و المتعاونين معهم من بني عامر ،و أيضا لوضع حد لتدخلات المغاربة ،و للتمردات و الانتفاضات الداخلية ،أما باقي المناطق فتواجدهم بها يقتصر غالبا على أغراض اقتصادية و عسكرية و استراتيجية ،حيث نجد مثلا مخزن بوحلوان عند مضيق وادي جر و مخزن أولاد الصحاري عند قنطرة الشلف غرب مليانة ،و مخزن عمراو بجزار برج سباو ،و مخزن أولاد خليف عند سوق اللوحة بنواحي تيارت . [3]

ذكر المزاري أن مخزن وهران مشكلا من قسمين هما :المخزن الشرقي و المخزن الغربي فالشرقي هو نجع المكاحلية ،و أولاد سيدي العريبي ،و صبيح ،و أولاد العباس ،و غيرهم من أهل النواحي الشرقية من واد مينا الى واد الشلف ،أما الغربي فهو نجع الدواير و الزمالة و الغرابة و البرجية [4] .

أما استرهازي(Esterhazy) فذكر أن مخزن وهران كان يتألف من سبعة عشر قبيلة هي :الدواير و الزمالة ،و الغرابة ،و البرجية ،و بني شقران ،و شربريح ،و سجرارة ،و بني غدو و المكاحلية ،و أولاد أحمد ،و أولاد بوغرارة ،و و عكرمة ،و أولاد سلامة ،و أولاد العباس ،و أولاد خويدم ،و الحشم ،و عبيد الشراقة [5].

لقد كانت كل عشيرة مخزنية تقوم بتعبئة شبابها ،فكل شاب يتعدى عمره ست عشر سنة ،له الحق أن تمنحه عشيرته فرسا و سلاحا ،و يستعد للخروج صحبة جيش الباي للغزو . وعليه يتضاعف

---

[1]: أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص ص 239-240.

[2] :Emerit ,(m) ,Les Tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX siècle , in Annales économies ,sociétés ,civilisations , N 1,Année 1966 , p 52 .

[3]: ناصر الدين سعيدوني ،المهدي البوعبدلي ،الجزائر في التاريخ ،العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984، ص106 .

[4]:المزاري آغا بن عودة ،مصدر سابق ،ج 1 ،ص 30 .

[5] :Walsin Esterhazy ,Op Cit ,p266 .

عدد الحاملين للسلاح سنويا ،ونجد على رأس هذه المجموعات المخزنية قبيلتي الدواير و الزمالة [1] بحيث تعود تسمية الدواير و الزمالة إلى عهد الباي محمد الكبير ،فعندما حل الطاعون ببايلك الغرب انتقل الباي رفقة حاشيته إلى بلاد أولاد سليمان أحد بطون بني عامر ،و نصبت له هناك خيمة حمراء من الوبر ليسكن فيها ،فجعل خدما في دائرة خيامه ،فاتخذوا منذ ذلك الوقت تسمية الدواير ،و عين آخرون لحمل أثقاله فأطلق على هؤلاء تسمية الزمالة (المخزن الثابت للفرسان) ،و بذلك أصبحوا زمالة الباي و دوائره [2].

يمكننا أن نميز ثلاث فترات متعاقبة تم خلالها إقرار قبائل المخزن بالمنطقة الغربية للجزائر تحكمت فيها الظروف التي عاشتها هته المنطقة :

أ- الفترة الأولى : و تعود إلى الثلث الأول من القرن السادس عشر الميلادي ،خلالها تمكن العثمانيون من مصادرة أراضي قبيلة الأمحال بالسهول الخصبة الممتدة من البحر الى سفوح الأطلس التلي ،و من وادي صلادو إلى نهر الشلف و مينا ،بما في ذلك مدينتي أرزيو و مستغانم ،حيث لا يزال برج الأمحال يحمل اسم هذه القبيلة العنيدة ،فمكثت قبائل المخزن بالأراضي المصادرة ،و من ثم تم التقليل من الخطر الاسباني ، ووضع حد نهائي لمقاومة قبائل الأمحال ،و أجبرت الفلول الباقية منها إلى الانعزال في أراضي مجيرد الواقعة الى الغرب من نهري الشلف و مينا .

ب- الفترة الثانية :عقب تحرير وهران الأول عام 1708 م ،تمت مصادرة أراضي قبائل بني عامر و فليتة عقابا لهم على مساعدتهم للإسبان ،و بذلك استطاع الباي مصطفى بوشلاغم توطين الزمالة و الدواير من جديد بالسهول القريبة من وهران ،سعيا منه للحيلولة دون أية محاولة أخرى قد يقوم بها الاسبان أو المغاربة .

ج- الفترة الثالثة : إرتبطت بطرد الإسبان من وهران للمرة الثانية و الأخيرة سنة 1792 م ،فقام الباي محمد الكبير باقرار مجموعات الدواير و الزمالة في الجهات المحيطة بوهران ،بحيث هذه القوة تكفل له القضاء على شوكة المتعاونين مع الإسبان من العرب مثل :عشائر حميان ،و قبائل بني عامر

---

[1]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ، ص82.

[2]:محمد بن الأمير عبد القادر ،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و تاريخ الجزائر ،شرح و تعليق ممدوح حقي ،دار اليقضة العربية للتأليف و الترجمة و النشر ،2 ج في مجلد واحد ،ط 2 ،بيروت ،1964 م ،ص 217 .

و في مقدمتهم أولاد عبد الله و قيزة المشهورين باخلاصهم للإسبان و بذلك اكتمل دور قبائل المخزن في تدعيم سيادة الأتراك العثمانيين بالإيالة الجزائرية [1].

وقد اكتسبت قبائل المخزن بفعل الانتساب و النشأة و الاستقرار على أراضي البايلك كيانا مستقلا متميزا، و لم تعد تعرف من أنسابها القديمة و مواطنها الأصلية إلا ما علق بتسميتها الجديدة كقبائل الصحاري ،و الغرازلة ،و هاشم ،و العبيد ،و العثامنة .في حين اتخذت غالبيتها تسميات محلية و ألقابا خاصة ،استمدتها من مواطنها الجديدة ،أو اشتقتها من الوظائف التي كانت تمارسها و المهام التي كانت تقوم بها ،أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله –كمخزن المكاحلية [2]

و فيما يلي نظرة عن القبائل المخزنية ببايلك الغرب :

أ –الدواير :

تعتبر القبيلة الأقوى في مخزن وهران استقرت في المنطقة سنة 1163 ه/1750 م ،و تتربع على مساحة أراضي تناهز 140 ألف هكتار [3]،تتقاسم الرئاسة فيها ثلاث مجموعات هي : البحايثية و الكراطة و البناعدية .

أ–1 البحايثية :هم أكثر الفرق توليا لرئاسة المخزن ،ينتمون إلى أولاد المسعود بن سويد و يشكلون أكبر الفرق المنتسبة إلى أولاد البشير البحثاوي ،كانوا يقطنون نواحي العمرية بين وهران و تلمسان ،و يتوزعون على سبعة فروع هي :أهل بلحضري ،أهل مصطفى ابن اسماعيل ،القرايدية أهل المزاري ،أهل القاضي ،أهل قدور بن اسماعيل ،أهل الزوابرية ،الكواحلية [4] ،و هناك من ذكر بأنهم بقايا جيش مولاي اسماعيل ،تكاثرت فروعهم ،و أعقابهم ،و الدخلاء فيهم حتي تكونت منهم الدواير [5].

---

[1]: سعيدوني ناصر الدين ،دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر ،مجلة الأصالة ،عدد 32 ،السنة الخامسة ،1976، ص ص 61 -62 .

[2]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ، ص 86.

[3] :Tinthoin (R) ,colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d’Oran de 1830-a 1885 ,L .Fouque ,Oran ,1947 ,p 32.

[4]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ، ص 83 .

[5]:محمد السليماني ،اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب ،مطبعة الأمنية ،ط 1 ،الرباط ،1971 م ،ص ص 77 - 78 .

و ينقسم البحثاويون أولاد البشير البحثاوي إلى أربع طبقات :

الطبقة الأولى :أولاد اسماعيل البحثاوي ،وعددهم سبعة **اخوة هم** :قدور الكبير ،وعثمان ،وقدور الصغير ومصطفى ،وعدة ومحمد و الحاج بلحضري و قدور الكبير وهو والد الحاج محمد المزاري والد **المؤلف بن عودة المزاري.**

الطبقة الثانية : أولاد عدة بلبشير و عددهم ستة اخوة ذكور هم :**علي و منصور و قدور و أعمر** و الحاج محمد و البرادعي الكبير .

الطبقة الثالثة :أولاد يوسف بلبشير الذي تولى قيادة الدواير على عهد الأتراك و خلف ولدين هما **عدة وعلي .**

الطبقة الرابعة :أولاد الموفق بلبشير البحثاوي [1].

أ–2 الكراطة : هم من قبيلة بني راشد ،كانوا يسكنون مدينة الكرط احدى مدن غريس الغربي **و هم عائلة أولاد الشريف،** و اسمه عبد الله بن عبد الرزاق التلاوي القرطي [2]**،يؤلفون سبعة دواوير هي** :شرايفة و كراتسة ،و كراطة ،و فراطسة ،و أولاد بن ساعد ،و عائلة المرابط أولاد سيدي البشير و اغواط بوحجر ،قسم من بني عامر بالأغواط استقروا عند الدواير [3].

أ-3 : البناعدية : نسبة إلى جدهم بن عدة بن خدة المنحدر من ذرية الشيخ السنوسي **و أصلهم من** أجواد واد الحمام من الحشم ،تولى **رئاستهم أولاد الشريف و أولاد بن عفان** [4].

ب – الزمالة :

تعني كلمة زمالة المخزن الثابت من الفرسان ،و المخيم الدال على التنقل و الترحال[5] ، **تتكون** من فرسان المخزن ،و على رأسها قائد الزمالة ،و كانت تساعد الباي في مهامه المختلفة كجمع الضرائب و اخماد الثورات ،و السهر على تنفيذ أوامره الادارية [6].تتقاسم رئاستها ثمانية أعراش هي :

ب - 1 المخاليف :نسبة الى جدهم مخلوف ،و أصلهم من بني زروال .

ب- 2 القدادرة :نسبة الى جدهم قدور بن علي بن الحبوشي .

---

[1]: المزاري ،مصدر سابق ، ص 31 .

[2]:نفسه ، ص 31.

[3] : Tinthoin (R) ,Op Cit , p37.

[4]:المزاري ،مصدر سابق ،ج 1 ،ص 31.

[5]: توفيق دحماني ،النظام الضريبي ،مرجع سابق ، ص 55.

[6] : E .Vayssettes ,Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 - 1837 ,présentation de Ourda Siari Tengour , Ed Bouchène ,Paris ,2002 ,p 123.

ب-3 القرايدية :و يقال لهم المعايزية ،نسبة إلى جدهم قرادة أو إلى أحمد أبي معزة ابن الحبوشي والد قرادة ،و هم اخوة للقدادرة .

ب-4 الورارديه: نسبة الى جدهم وارد الذي ينحدرون منه.

ب-5 المخاترة :و يقال لهم الزوابرية،نسبة لجدهم القريب المختار ولجدهم البعيد الزبير ويقال لهم أيضا أولاد يحي بالزبير.

ب-6الونازرة: نسبة لجدهم ونزار الذي جاء على ما قيل من الساقية الحمراء.

ب-7 اليساسفة :نسبة الى جدهم يوسف .

ب-8 الشوايلية :نسبة الى جدهم او جدتهم شايلة ،وهم من الحشم بغريس [1].

ج- الغرابة :

و هم عرش ملتقط كالزمالة و الدواير ،يطلق عليهم لفظ العبيد ،أو عبيد البخاري ،جاؤوا مع مولاي اسماعيل عند غزوه للغرب الجزائري في سنة 1100 ه /1700 -1701 م ،بحيث انقسمت جيوشه إلى قسمين ،عبيد الغرابة شمال سيق ،و عبيد الشراقة بين واد المقطع و بوقراط [2].و تقاسم الرئاسة في الغرابة ثمانية أعراش هي :

ج-1 الورارده : نسبة لجدهم موسى بن وارد.

ج-2 العلايمية: نسبة لجدهم أبي علام بلحبوش من منطقة تافيلالت .

ج-3 الخدايمية : نسبة لجدهم أبي خادم.

ج-4 الوناونية: نسبة لجدهم ونان ابن العبد من أهل غريس.

ج-5 السهايلية: نسبة لجدهم سهلية (أو محمد بن شاعة) .

ج-6 المحاميد : نسبة لجهم محمود بالحشم الشراقة وأصلهم من حميان .

ج-7 الرفافسة: نسبة لجدهم الرفاس من اولاد عوف .

ج-8 العوايلية : ويقال لهم أولاد بن عوالي نسبة لجدهم بن عوالي ،أو جدتهم عوالي ،وهم من جبال عمور بشمال الصحراء [3].

د – البرجية :

تقاسم قيادتها النقايبية و البلاغة بالتناوب .

---

[1]:المزاري :مصدر سابق ، ج 1 ، ص 30.

[2]: توفيق دحماني ،النظام الضريبي ،مرجع سابق ،ص 55.

[3]: المزاري :مصدر سابق ،ج 1 ،ص 32 .

د-1 النقايبية :ينحدر جدهم من قبيلة خلافة ،و هم أبناء عم الأمير عبد القادر ،يجتمعون معه في الجد أحمد بن عبد القادر الشهير بابن خدة ،و سموا بالنقايبية نسبة الى محمد أبي نقاب .

د-2 البلاغة :نسبة إلى جدهم أعمر البلغي الزياني [1].

هـ- الحشم :

لفظ الحشم مأخوذ من الحشمة ،و هي الحياء أو الغضب [2]،إستعان بهم ملوك بني زيان لإخضاع بني توجين الذين خرجوا عن طاعة تلمسان ،و قد أسسوا إمارة مستقلة ،عمرت أكثر من خمسين سنة ،خلال القرن السابع الهجري ،كما ذكر إبن خلدون أن :"الحشم هم أساس القبائل و قطب دائرتها ،لا يضرهم من خالفهم ،و لا يستقيم أمر لمن خالفهم ،وكل قبيلة تحتاج إليهم ،و هم لا يحتاجون إلى غيرهم " [3].

كما ذكر البعض الآخر أن سهل غريس الغني و الخصب و الشاسع كان فعلا موطن قبيلة الحشم [4] ،و قد ذكر "ليسبسناس "(Lespinasse) في أثناء حديثه عن قبيلة الحشم أن العثمانيين كانوا يستعينون بهم في صد هجمات الإسبان بوهران على المناطق المجاورة لها ،فكانوا يكافؤونهم بإقتطاع مساحات واسعة في مناطق سيق و سهل الهبرة ،و كل ما يتوفر بها [5] و على قدر ما كانت قوة الإسبان تزداد ،كانت شجاعة الحشم و قوتهم بالمرصاد مما جعل الإسبان يرغبون في جذبهم إليهم ،أو على الأقل تحيدهم في الصراع الدائر مع العثمانيين ،كما أن قوة قبيلة الحشم شكلت تهديدا مباشرا لقبيلة سويد التي أصبحت تعرف بقبيلة الأمحال ،حيث نشب بينهما صراع كبير كان النصر فيه لقبيلة الحشم ،مما جعل قبيلة أولاد يليل تتوسط بينهما لوضع حد للصراع من جهة و حدودا فاصلة بين أراضي القبيلتين و يلاحظ أن ذلك الصراع قد بوأ قبيلة الحشم مكانة مرموقة جعلها تتساوى من حيث القوة مع قبيلة بني عامر حيث شكلا معا القوة الضاربة لقبائل المخزن [6].

---

[1]: المزاري ،مصدر سابق، ج 2 ،ص 31.

[2]:الطيب بن المختار الغريسي ،القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ،منشور ضمن مجموع مطبعة ابن خلدون ،تلمسان 1961 ، ص 330.

[3]:ابن خلدون ،كتاب العبر ،مصدر سابق ، ج 7 ،ص 93 .

[4] :C Trumelet ,Les Français dans le désert ,Journal Histprique ,Militaire et descriptif d'une expédition aux limites du sahara Algérien ,Challamel Ainé éditeur, Paris ,1887 ,p 107 .

[5] :Lespinasse ,Notice sur le Hachem de Mascara ,in R A ,1877 ,T 21 ,Alger ,p 141.

[6] :Ipid , p 145.

أصبح الحشم قبيلة مخزنية في سنة 1205 ه / 1790 م بأمر من الباي محمد ابن عثمان و يتألفون من عدة فرق ،إذ نجد منهم في واد الحمام مع المشاشيل يشكلون مخزنا ،و البقية منهم تابعين لمخزن آغا الدواير ،و قد تمتع الحشم بامتياز امتلاك أراضي الضفة اليسرى من واد الحمام حتى سهل هبرة ،و كانوا لا يدفعون الكثير من الضرائب ، كما كانوا طوال الوجود العثماني لا يتخلون عن سياستهم التوسعية [1].

و قد تعاقبت خمس أسر على قيادة قبائل الحشم :أولاد طراري ،أولاد محمد ابن خدة ،أولاد حسان في غريس الغربي ،أولاد محمود (المحاميد)،أولاد العباس في غريس الشرقي [2].

كانت قبائل الحشم تسيطر على كل أراضي غريس ،كما أنهم اشتروا الجزء الذي كان ملكا لقبيلة بني زروال أحيانا بالتراضي و أحيانا أخرى استغلالا للقوة [3]،و قد تجلت قوة هذه القبائل في المعارك ،حيث أنه أثناء هجوم جيش محمد الصغير التجاني على مدينة معسكر ،تمكنت من مساعدة جيش الباي العثماني من القضاء على أربعمائة جندي من جيشه ،مع العلم أن محمد الصغير لم يكن حاضرا في المعركة ،و كان متواجدا في بوسمغون حيث إلتحق فيما بعد بعين ماضي [4].

و- المكاحلية :

تتألف من القبائل التالية : أولاد أحمد ،أولاد بوغرارة ،أولاد العباس ،أولاد سلامة [5].

ز-القبائل الأربعة لبني شقران ،و شربريح ،و سجرارة ،و بني غدو :

كانت تحت إمرة قائد واحد يدعى قائد العواوة .كما أن بعض هته القبائل قد وضع ضمن قبائل الرعية [6].

كانت المهام الأساسية لقبائل المخزن ،بغض النظر عن تركيبها و تنظيمها ،هي مساندة الباي و ممثليه في قمع التمردات ،و تسهيل تنفيذ بعض القرارات الإدارية [7]، و للحصول على تلك الخدمات كان على البايلك تقديم بعض الإمتيازات ،منها التنازل عن بعض حقوقه لها ،و كانت أهم

---

[1] :Ipid ,p 141 .

[2]: كمال ابن صحراوي ،مرجع سابق ، ص 268.

[3] :Lespinasse ,Op Cit ,pp 145-148.

[4] : Louis Rinn ,Marabouts et Khouanes ,Etude sur l’islam en Algérie ,Adolphe Jourdan Libraire éditeur , Alger,1884,p 424 .

[5]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ،ص 85 .

[6] :Esterhazy (E) , de la Domination ,Op Cit ,p 266 .

[7] :Vayssettes ,Op Cit ,p p 37-38.

تلك التنازلات الإعفاء من دفع معظم الضرائب [1]،فكانت بعض القبائل المخزنية في بايلك الغرب لا تدفع سوى ضريبة بسيطة تعرف بحق "الشبير "(Eperon) [2].

كما لعبت قبائل المخزن دورا فعالا في إدارة الإيالة حتى غدت من أهم الوسائل التي تعتمد عليها السلطة ،فحضور رجال المخزن ضروري عند عملية جباية الضرائب [3]،لأنهم أصبحوا يشكلون جزءا هاما في المحلة ،التي كانت توجه سنويا لجباية الضرائب [4].

هذا الأمر جعل منها الساعد الأيمن للسلطة في تطبيق الاجراءات الحربية و الإدارية[5] ،إذ كانت قبائل المخزن بمثابة شرطة محلية ضد الحركات المعادية ،تعمل على تطبيق أوامر البايلك و حماية مصالحه و فرض احترام الرعية له ،و تراقب الأماكن الاستراتيجية و تدعم الحاميات العسكرية بالجنود[6] ،خاصة ببايلك الغرب حيث كانت القاعدة العسكرية قوية لمواجهة الاسبان [7].

و من الإمتيازات التي كان البايلك يقدمها لفرسان المخزن ،التسليح و المؤونة ،و توفير الخيول كما كانت تمنح لهم الأراضي الزراعية ،يستغلونها بواسطة الفلاحين الذين كانوا يشتغلون إما في الحقول أو في رعاية و حراسة المواشي [8].

لقد لعبت قبائل المخزن دورا بارزا في تدعيم و ترسيخ أسس الحكم العثماني في إيالة الجزائر عموما و بايلك الغرب على وجه الخصوص ،إذ انها كانت حلقة الوصل بين الحكام و الأهالي و رابطة متينة شدت المحكوم الى الحاكم ،و هذا نظرا الى مهام هذه القبائل الإدارية و العسكرية المنوطة بها [9].

كما كانت قبائل المخزن تؤدي دورا عسكريا ،إذ كانت مطالبة بتوفير الفرسان لتدعيم الحاميات العسكرية المرابطة في مختلف جهات البايلك ،و تعزيز المحلات العسكرية أثناء خروجها إلى الأرياف

---

[1]:عمر حرفوش ، مرجع سابق ،ص 44.

[2] :Walsin Esterhazy (E) , de la Domination ,Op Cit ,pp 266-267 .

[3] : FERDMAN (H), AUCAPITAINE(H), Notice sur L'Histoire Et L'administration Du Titteri" in R.A, N° 11, 1867, P359.

[4] : SAIDOUNI NACER-EDDINE,L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830), Der-El-Gherb-El-Islami, Beyrouth, 2001,p347.

[5]:ناصر الدين سعيدوني ،ورقات جزائرية ،ص 262 .

[6] :SAIDOUNI,Op Cit ,pp 346 347 .

[7] :C KEHL ,Op Cit ,p 33.

[8]:عمر حرفوش ،مرجع سابق ، ص 45 .

[9] : Walsin Esterhazy ,Notice Historique sur le maghzen d'Oran ,Imp de Perrier Oran ,1849 , p 9

لجمع الضرائب كما أنها كانت تشارك في الحملات التأديبية التي كانت توجه ضد القبائل المتمردة علاوة على مراقبتها للطرقات و النقاط الحساسة عبر البلاد [1].

لكن هذا التنظيم الذي أدخله العثمانيون كانت له آثار سلبية من خلال الأعمال الوحشية و التعسفية التي ارتكبتها ضد الرعية ،و تغاضى عنها الحكام ،من نهب و سرقة و مصادرة الأملاك لتصبح بهذا قوة حربية عازلة ،لا طبقة اجتماعية رابطة و عامل تفريق للأهالي بالريف لا وسيلة تأليف بين الأفراد[2] .

---

[1]: أرزقي شويتام ،مرجع سابق ،ص 241 .

[2]:ناصر الدين سعيدوني ،"وضعية القبائل المخزنية و الآثار المترتبة عليها "،المجلة التاريخية المغربية ، العدد 7-8 ،1977، ص 79.

3- قبائل الرعية و علاقتها بالسلطة العثمانية :

كان المجتمع الريفي يتكون أساسا من قبائل الرعية ،التي جعلها خضوعها المباشر لسلطة البايلك ،تتحمل عبئ النظام الضريبي [1]،و بذلك كانت تعد المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد و هذا لما كانت توفره من مداخيل مالية هامة ،و إنتاج زراعي و حيواني [2].

إن قبائل الرعية هي القبائل الأهلية التي أرغمتها عوامل مختلفة على الخضوع للإدارة العثمانية و من جملة تلك العوامل نذكر منها :

-الموقع الجغرافي :كانت معظم القبائل تقيم في المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدارة ،الممثلة في قبائل المخزن ،و القبائل المتعاونة معها ،و الحاميات العسكرية المرابطة في الأبراج و مدن البايلك .

-الوضع المادي :كانت معظم الأراضي الفلاحية الخصبة ،في يد قبائل المخزن ،و القبائل المتعاونة و بعض الأسر القوية ،أما نصيب قبائل الرعية كان ضئيلا جدا ،بل هناك من لا يملك شبرا واحدا و هذا ما جعل بعض القبائل تدخل في نظام الرعية ،للاستفادة من قطعة أرض ،مقابل تقديم خدمات للإدارة ،و دفع الضرائب المقررة عليها .

-الصراعات و الحروب القبلية :أدت الصراعات و الحروب التي كانت تندلع بين القبائل الريفية بسبب التنافس حول المراعي ،و نقاط المياه ،و محاولة فرض الوجود ،و غيرها من القضايا التي دفعت ببعض القبائل و لا سيما الضعيفة منها الى الاستنجاد بالإدارة العثمانية ،و الدخول تحت حمايتها [3].

إن نظام تحديد قبائل الرعية في بايلك الغرب كان متشابكا ،و معقدا في التبعية ،و الولاء لعدة جهات و في الاستقرار من جهة إلى أخرى ،فكان بذلك مثل لعبة الشطرنج في تعقدها و تداخلها[4] بحيث قسم بايلك الغرب إلى ثلاث مناطق ،و يعد سهل الشلف من أهم المناطق ،لكونها توجد بها الأراضي الخصبة ،و تمتد حدودها الشرقية إلى إقليم دار السلطان [5] ،كما أنها كانت معبرا للطريق السلطاني الرابط بين البايلك و مدينة الجزائر ،و نظرا لأهميتها الاقتصادية و الاستراتيجية ،فان إدارة

---

[1] : C. Bontems ,Manuel des Institutions Algériennes de la Domination turque a l'indépendance 1518-1870 ,éd Cujas, Paris ,1974 ,p 62.

[2]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ، ص 96 .

[3]: أرزقي شويتام ، مرجع سابق ، ص ص 257-258 .

[4] :Boyer (p) ,L'évolution de L'Algérie médiane (ancien département d'Alger de 1830 a 1956),A .Maisonneuve ,Alger-Paris ,1960 , p 46 .

[5] : C. Bontems ,Op Cit ,p 54 .

قبائل الرعية القاطنة بها أوكلت لخليفة الباي ،أما قبائل المناطق الأخرى التابعة للبايلك ،فكان يتصرف فيها آغوات ،و قياد الدواير و الزمول ،و المكاحلية ،كما كانت بعض القبائل تابعة مباشرة للباي [1].

لقد كانت قبائل الرعية في بايلك الغرب تتمركز عموما في التافنة ،و تشكل شريطا بسبدو و تليلة و جبال تسالة ،و طفراوي الى الشطوط ، و سعيدة ،و فرندة ،و تيارت ،و زمورة ،و مازونة و غيرها ، و أغلب هذه القبائل كان يسكن في الجبال الملائمة للزراعة ،أو في الهضاب الداخلية [2].

قسمت قبائل الرعية في بايلك الغرب إلى عدة مجموعات منها مجموعة خاضعة مباشرة للباي "رعية الباي "،و المجموعات الأخرى يتقاسم الإشراف عليها خليفة الباي ،و قائد فليتة ،و قائد جندل ،و قائد الجبل ،و قائد المدينة ،و قائدي اليعقوبية الشرقية و الغربية [3].و فيما يلي نظرة على هذه القبائل :

1-رعية الباي :

لقد كان إشراف الباي مباشرا على قبيلتي بني عامر[4] و مجاهر ،و أثناء غيابه يتولى ذلك نيابة عنه خليفة الكرسي بمساعدة القياد المكلفين بهما ، و هما قائد بني عامر لقبيلته ،و قائد مستغانم لمجاهر .

كانت قبيلة بني عامر تتكون من ثلاث بطون كبرى هي :بنو يعقوب أو اليعقوبية،و شافع ،و بنو حميد[5].

و بالنسبة لقبيلة مجاهر فإنها كانت تتشكل من النجوع التالية : أولاد بوكامل ،أولاد معلف الغفارة ،أولاد عيناس ،و اولاد شافع [6].

2- رعية الخليفة :

إن مهمة الخليفة الأساسية تكمن في ضمان المواصلات الى الجزائر ،الأمر الذي جعله يركز على حوض الشلف الذي كانت تتواجد به 23 قبيلة ،و نواحي تنس التي كانت تظم 12 قبيلة [7].

---

[1] : Esterhazy (E) , de la Domination ,Op Cit p 266.

[2]: توفيق دحماني ، النظام الضريبي،مرجع سابق ،ص 56.

[3]: ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي ،مرجع سابق ،ص ص 107-108 .

[4]: تجدر الاشارة الى أن قبيلة بني عامر كانت من القبائل المتعاونة مع الاسبان –راجع الفصل الأول من هذه الرسالة – و لكن قبل طرد الإسبان نهائيا من وهران و المرسى الكبير تم اخضاعها و أصبحت من قبائل الرعية .

[5]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ،ص 98 .

[6] :Esterhazy ,De la domination ,Op Cit ,pp 277-278.

[7]:توفيق دحماني ،مرجع سابق ،ص 57.

أما القبائل التي كانت تحت نفوذه فهي :

*في السهول نجد :عياشة ،بني زروال ،أولاد بورحمة ،أولاد خلوف ،زريفة ،عشعاشة ،أولاد يونس أو شرفاء الجبل ،بني زنطيس ،بني مديونة ،بني مدون ،صبيح ،حميس ،أولاد فارس (الذين كانوا تابعين لقائد مكاحلية الخليفة) ،أولاد قصير ،سنجاس ،العطاف ،بني حمد .

*في الجبال نجد :بني وارغ ،بني مسلم (كانوا تابعين لقائد مكاحلية الباي)،حلوية (جزء منهم كان تابعا لآغا الزمالة) ،شكلة ،بسناس ،البصرة ،مطامطة ،وانسريس (أي قبائل جبال الونشريس) أولاد عياد ،بني بدوان [1].

3–رعية قائد جندل :

كان يمتد نفوذه الى ثنية الحد التي كان بمحيطها 11 قبيلة ،و إلى أقصى شرق الونشريس حيث نجده يتحكم في قبيلتي أولاد عنتر ،و أولاد هلال ،و كانت رعيته الأساسية تتكون من قبائل زوج (زقزق) ،و عبيد سدرة ،و بني معيدة ،و بني بوراشد [2].

4–رعية فليتة :

تشمل هذه القبيلة على عدة بطون و عشائر ،بين غليزان ،و تيارت [3].بعضها خضع لباي الغرب الجزائري ،و البعض الآخر لباي التيطري[4] ،و نظرا لخطورتها كان يعين عليها قائد هام ،تظم هذه القبائل 21 بطنا أهمها :

-قبيلة المحال :المشهورة بآل سويد ،و هم عرب ثاروا ضد الحكم العثماني لمدة تقارب القرنين رافضين الخضوع ،موطنهم الأصلي بين مينا و الشلف [5] ،أظهروا العداوة لأول باي من عائلة العثامنة العثامنة في الغرب الجزائري و هو "الحاج عثمان "بحيث ناصروا العائلة المسراتية ،و خرجوا عن حكمه الى أن تم له قهرهم و تفريقهم و إجبار كثيرهم الجلاء الى الجنوب بدل الاستسلام [6].

---

[1] : Esterhazy ,De la domination …,Op Cit ,pp 275-276.

[2] : Ipid ,pp 274-276.

[3] :L Rinn ,Le royaume d'Alger sous le dernier Dey ,Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur –Libraire- éditeur ,Alger , 1900 ,pp 60-61 .

[4]:بلبراوات بن عتو ،الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري 1779 م -1797 م ،شهادة ماجستير ،جامعة وهران ،2001-2002 ، ص 65.

[5]: محمد خير فارس ،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي ،دمشق ، 1969 ،ص ص 72-75 .

[6]: نفسه ،ص 72.

-قبيلة شرفة أولاد سيدي علي بن يحي ،و تشمل على البطون التالية ،أولاد سيدي يحي بن أحمد أولاد سيدي يحي ،أولاد سيدي أحمد بن محمد ،أولاد سيدي الأزرق ،أولاد سيدي الشولي ،و شرفة العمامرة [1].

إضافة إلى قبائل أخرى مثل :أولاد سويد ،بني درغون ،أولاد ارزين ،أولاد بوعلي ،العناترة مندلس عكرمة الغرابة ،عكرمة الشراقة ،الحساسنة ...إلخ ،و كان يشرف على فليتة عائلة سيدي العريبي [2].

5-رعية نواحي تلمسان :

كان يوجد بتلمسان قائدان ،قائد المدينة و قائد الجبل:

*قائد المدينة كان يتحكم في: بني وعزان ،الغسول ،أولاد سيدي العبدي ،و بني سنوس ،و بني ورنيد ،وولهاصة.

*قائد الجبل و يتحكم في :الجويدات ،أولاد رياح ،أولاد ورياش ،بني صميل ،بني بوسعيد ،و غيرها [3].

6-رعية اليعقوبية :

اليعقوبية منطقة تقع جنوب معسكر الى غاية الشط الشرقي [4]،و قد كانت مقسمة إلى قسمين هما :

اليعقوبية الغرابة :تابعة لآغا الدواير ،و اليعقوبية الشراقة التابعة لآغا الزمالة ،و من أهم قبائلها نذكر : المهايا ،أولاد بالغ ،الجعفرة ،بني مطهر ،الأحرار القرابة ،و حميان ببطنيها الغربي و الشرقي و قد كان النظام القائم في اليعقوبية شبيها بالنظام المخزني ،و عليه كانت تحظى بنوع من الاستقلالية[5] .

و قد كان المشرفون على قبائل الرعية ،يعتمدون في حفظ الأمن و جباية الضرائب على قبائل المخزن (الزمول ،الدواير ،و المكاحلية ،و العبيد) ،التي كان أفرادها يستفيدون من بعض الامتيازات

---

[1]:بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 66.

[2] :Esterhazy ,De la domination ,Op Cit ,pp 274.

[3] :Ibid ,p 271.

[4]:توفيق دحماني ،النظام الضريبي ،مرجع سابق ، ص 58.

[5] : Esterhazy ,De la domination ,Op Cit ,p 268 .

مثل اعفائهم من بعض الضرائب ،كالخراج ،و استغلال الأراضي الزراعية ،التي يورثونها لأبنائهم ،كما أنهم كانوا مطالبين بدفع ضرائب العشور و الزكاة [1].

لابد أن نشير إلى أن وضع قبائل الرعية لم يكن قارا ،ذلك أن هناك منهم من كان يرقى إلى قبائل مخزنية ،و هناك من يُحول من المخزن و يدرج ضمن الرعية [2]. و كان يتحكم في عملية الصعود و النزول هذه درجة ولاء القبائل ،و حجم الخدمات التي كانت تقدمها كل قبيلة للإدارة [3].

أما من حيث التزاماتها فإنها كانت ملزمة بدفع الضرائب بمختلف أنواعها ، بحيث أوجد العثمانيين في الجزائر نظاما ضريبيا متميزاً ،بالجمع بين ضرائب شرعية و أخرى غير ذلك[4] .

تبنى العثمانيون في نظام ضرائبهم على الشريعة الاسلامية ،و بالأحرى على النظام المالي العربي الاسلامي ،بحيث كانت أغلب الضرائب تستخلص من الأراضي ،و هذه الأراضي كانت على صنفين: أراضي العشور ،و أراضي الخراج ،فالأولى كل أرض أسلم عليها أهلها ،و بقوا مشتغلين فيها بتصرف مطلق و يخضعون لاقتطاعات محددة ،و تدخل عامة في مصطلح الزكاة ،أما الثانية أو أراضي الخراج ،فهي الأراضي التي تم فتحها عنوة و بحد السيف ،و تركت في أيدي أصحابها مع أخذ ضريبة منهم ،كان يتفق عليها حتى و لو انتقلت تلك الأراضي من مالك الى آخر ،و عندما يعتنق مالكوا الأراضي الإسلام طواعية ،فتصبح عندئذ أراضي عشرية [5].

تدخل الأرض المفتوحة عنوة في عموم الغنيمة التي قال عز و جل فيها: " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ"[6]،و قد كان النظام الضريبي في بايلك الغرب كما في غيره يخضع لنفس الأساليب ،و الطرق رغم بعض التنوع الذي كان يتميز به ،حيث تم اقرار الأعشار من زكاة الزروع ،و الثمار و الأنعام ،و طبق الخراج باستخلاص مردوده ،لكن الملاحظ أن ضريبة العشر لم يلتزم في أخذها بالنسبة المحددة شرعا و أصبحت خاضعة للظروف ،كما ذكر ذلك حمدان خوجة من أن " الشرع جوز للسلطان أن يتفق مع الرعية حول تلك الأعشار ،و استبدالها بمبالغ معينة "[7].

---

[1] :Emrit M ,les Tribus privilégiées ,Op Cit ,p 49 .

[2]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ، ص 100.

[3]:أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 269 .

[4]:توفيق دحماني ،الضرائب في الجزائر ،مرجع سابق ، ص 156 .

[5]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ، ص 143 .

[6]:سورة الأنفال ،الآية 41 .

[7]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ،ص 144.

فبالنسبة لأراضي الملك و هي الأراضي التي تعرف بأراضي الخواص ،و التي يمكن أن تنتقل الى الأشخاص عن طريق البيع أو تقسيم الإرث ،و التي كان يستخلص منها العشور و الزكاة و ضرائب إضافية بحسب الظروف و المناسبات [1].بحيث تعتبر ضريبة العشر الضريبة الشرعية الاهم التي تخص المحاصيل الزراعية بل إن الكمية الكبرى من الضرائب كانت ناتجة عنه ،و إذا كان العشور يتم تحصيله باقتطاع عشر الانتاج فان هذه الطريقة لم يعد يعمل بها في العهد العثماني ،حيث حدث تغيير تم بموجبه الاستغناء عن هذا التقدير بأسلوب آخر ،يعتمد على أساس السكة المعروفة في بايلك الغرب بحيث أن السكة هي وحدة متقلبة بحسب طبيعة الأرض ،و تقدر فيما بين 12 و 14 هكتار في السهول الخصبة ،و بين 08 و 10 هكتارات في النواحي الوعرة[2] .

أما فيما يخص ضريبة الزكاة فإن الحكومة العثمانية فرضت هذه الضريبة على رأس المال ،أي على المواشي و الأموال ،و كانت الزكاة تعتبر كحق و دين للبايلك على الأفراد ،و بمثابة اقتطاع إلزامي سنوي ،و كان الهدف من ذلك الحد من سلطة الأغنياء [3]،كما يستدل من القرآن الكريم :" كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنيَاءِ منْكُمْ"[4]،بحيث كانت الزكاة تقطع عينا ،و بصفة نسبية من المزكين و تؤدى على الإبل ،و البقر و الضأن و الماعز ،و تتم وفقا للشريعة الإسلامية ،كما كانت تحصل أيضا على الصوف و الزبدة و العسل ،و الشمع و غيرها[5] .

و بخصوص ضريبة الخراج فإنها كانت تفرض على أراضي البايلك و على الأراضي المشاعة [6] و علاوة على الضرائب الشرعية التي ذكرناها ،فإن قبائل الرعية كانت مطالبة بدفع عدد من الضرائب مثل :ضريبة الضيافة و التعيين ،و البرنوس و غيرها من الضرائب[7] .

وبخصوص هذه السياسة الضريبية يقول "دو غرامون " (De Grammont):"بأن كل مادة منتجة قابلة للدفع لم تفلت من نظام الضرائب المطبق في الإيالة "[8]، كما كانت عملية جباية

---

[1]:توفيق دحماني ،الضرائب في الجزائر ،مرجع سابق ، ص 164 .

[2]:توفيق دحماني ،النظام الضريبي في بايلك الغرب ،مرجع سابق ، ص 76.

[3]:نفسه ، ص 77.

[4]:سورة الحشر ،الآية 07 .

[5]:توفيق دحماني ،الضرائب في الجزائر ،مرجع سابق ، ص 169.

[6]:الأراضي المشاعة :هي الأراضي التي كان العثمانيون يستولون على أجزاء من أراضي القبائل التي ترفض دفع المطالب المخزنية و يمنحونها للقبائل التي تتحمل إيجارها و دفع الخراج المتفق عليه .أو تمنح لفائدة قبائل المخزن .

[7]:أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 271 .

[8] : Grammont (H De), histoire d'Alger ,Op Cit ,p 210.

الضرائب غالبا ما تتم تحت الضغط و الإرهاب [1]،و في هذا السياق يقول الزهار :"...هكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي و الأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم و الظلمات و نهب أموال المسلمين و ما وقع هذا حتى صار الناس فجارا و الأمراء ظالمين "[2].

أما ابن سحنون فيقول :"و فرضوا على الناس المغارم شتاءا و صيفا و عينوا للجند عطاء مخصوصا و ضربوا عليهم البعوث تخرج كل سنة أواسط أفريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر و منها من يرجع بعد سنة " [3].

إن النظام الضريبي الذي وضعه العثمانيون في الجزائر ،لم يكن عشوائيا ،بل كان يخضع لعدة قوانين محسوسة ،و مقاييس موضوعية ،تختلف درجة احترامها و الإلتزام بها من طرف لآخر ،و من منطقة لأخرى وكانت الدولة تراعي أثناء فرضها للضرائب ،و ضع البلاد الاقتصادي و الاجتماعي كما أنها كانت تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التضاريس ،و الأحوال المناخية لكل جهة من البلاد [4].

و علاوة على كل هذه الضرائب ،فإن الإدارة كانت تسخر بعض الأفراد أو الجماعات من قبائل الرعية في حرث أراضي البايلك و حصدها ،بما كان يعرف: "بالتويزة" ،و قد اتبعت الإدارة نظام الخماسة في استغلال أحواشها الخاصة ،و الاعتناء بقطعانها من الأغنام و الجمال ،فكانت تزود الخماسين يالثيران و البذور ،و يأخذون مقابل أتباعهم خمس الإنتاج على كل جابدة زرعوها [5].

---

[1]:العربي الغالي ،الثورات الشعبية أثناء العهد التركي ،رسالة ماجستير ،جامعة دمشق ،1988 ، ص 168 .

[2]: الزهار ،مصدر سابق ، ص 35.

[3]: ابن سحنون الراشدي ،مصدر سابق، ص 442 .

[4]:ناصر الدين سعيدوني ،النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830) ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1979 ، ص 118.

[5]:نفسه ، ص 272.

4- القبائل المتحالفة و علاقتها بالسلطة العثمانية :

إن التطاحن على السلطة و الصراع على الحكم عجل بنهاية الأسرة الزيانية بتلمسان و بظهور العثمانيين على مسرح الأحداث إنقسم مرابطوها و علمائها بين معارض و مؤيد للعثمانيين نقمة على الوضع الذي وصلت إليه المدينة ،كأحمد بن يوسف الملياني و إبن أفغول و محمد بن شاعة[1] وكان أحمد بن يوسف الملياني نموذجا للتحالف العثماني و المرابطين في المنطقة .

فالملياني و هو شاذلي الطريقة [2]،من قلعة بني راشد قرب تلمسان [3]،كان يتمتع بنفوذ بين الأهالي إلى أن وصل إعتقادهم فيه – حسب قول الصباغ –" أن الله ينزل غضبه على من أغضب وليه و ما سقوط وهران و المرسى الكبير إلا بعد دعوته على الزيانيين " [4].

لقد عمل الأتراك العثمانيون منذ مجيئهم إلى الجزائر على كسب العناصر الدينية التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في أوساط السكان إلى صفهم ،ذلك أن ثلثي الجزائر كان تحت إشرافهم [5]،و بالتالي بالتالي أوجدوا طريقة إدارية محكمة تمثلت في حكم الجزائريين بالجزائريين[6] ،عن طريق التحالف مع بعض الزعامات المحلية القائمة على أساس قبلي أو ديني [7]،لأن أهم السلطات التي كانت تخضع لها الجزائر و خاصة في الريف هي سلطة المرابط ،القائد أو الشيخ [8]،كما لعب المرابطون دورا بارزا في حياة الناس إذ أنهم ملؤوا الفراغ في المجتمع الريفي الذي ظل يعيش في عزلة عن الحكومة العثمانية[9]

---

[1]:إبن مريم محمد بن أحمد التلمساني ،البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،مراجعة محمد بن أبي شنب ،المطبعة الثعالبية الجزائر، 1908 ، ص 266 .

[2]: المزاري الآغا بن عودة ، مصدر سابق ،ج 2، ص 74 .

[3]: أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،(1500-1830)،ج 1 ،دار الغرب الاسلامي ،ط 2،بيروت ،1989، ص 496 .

[4]: محمد بن علي القلعي الصباغ ،بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار و معدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب و الدار مخطوط م . و .ج تحت رقم 1707 ، ص 11 .

[5] :Boyer P ,Contribution à l’étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d’Alger XVI –XIX siècle , in R.O.M.M ,1966 ,N 1 ,p16 .

[6]:عمار هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1862) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1995 ص 16 .

[7]:أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 245 .

[8]: علي خنوف ،السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي ،مطبعة العناصر الجزائر، 1999 ،ص 107 .

[9]: مختار الطاهر فيلالي ،نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ،دار الفن الغرافيكي للطباعة و النشر ،ط1 ،باتنة ،1976 ،ص 30.

،ليكون حكمهم للبلاد غير مباشر بل بواسطة أهلها أنفسهم ،خاصة في المناطق الغير خاضعة و البعيدة [1] و هذا يعني أن العثمانيون حاولوا خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل القبائل و السلطة الروحية [2].

و يرجع أول إتصال بين العثمانيين و العلماء إلى إتصال عروج بأحمد بن يوسف الملياني سنة 1517 م على شاطئ البحر غرب مدينة وهران عندما قصده الإخوة بربروس مع أسير مغربي كدليل لهم ،و هو من نصحهم بالإتصال برجل من ذوي النفوذ الروحي ،و لما وصل عروج إلى الشيخ قال له هذا الأخير "عزمت إذن و أصحابك على الهجوم على العدو " فجثى عروج عند قدميه [3].

و قد انتبه الحكام العثمانيون منذ بداية وجودهم في الجزائر ،إلى الدور الذي كان يقوم به بعض المرابطين و إلى المكانة التي كانوا يتمتعون بها في المجتمع ،فلهذا حاولوا التقرب منهم و نيل ودهم و قد اعتمد الحكام في تعاملهم مع سكان الأرياف ،على بعض المرابطين [4]،و هذا لإدراك العثمانيين بأن رجال التصوف هم خير حليف لهم في صراعهم مع الإسبان [5]، خاصة بعد حصار القلعة الذي ضربه إسحاق و القبطان إسكندر ضد أبي حمو و حلفائه في نهاية سنة 1517 م ،و قد نجح في حصاره بعد دعوة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني السكان لتأييد العثمانيين [6].

و عند إستقرار الإخوة بربروس بالجزائر ،و بعد وفاة عروج سنة 1518 م ،أرسل خير الدين إلى الشيخ الملياني هدايا ثمينة كإعتراف بجميله و مبلغ مالي قدره 4000 دينار[7] ،بعدما ساعده ضد الزيانيين [8].

و نتيجة لظهور هذه السلطة الروحية و جدت القبائل ضالتها فيها لاستتباب الأمن [9]،فحمدان خوجة يقول بأن :"هذه القبائل وضعت ثقتها التامة بالمرابطين ..."[1]،أما الزهار فيذكر "أن سكان

---

[1]:أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ،ص 210 .

[2]:محفوظ قداش ،الجزائر في العهد التركي ،الأصالة ،عدد 52 ،1977 ، ص 10 -11 .

[3]: محمد بن علي القلعي الصباغ ،مصدر سابق ، ص 11 .

[4]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ، ص 46 .

[5]: محمد الحاج صادوق ،مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف ، د . م . ج ، الجزائر ،1964 ، ص 104 .

[6] :Bodin (M) ,Notes et qustions sur Sidi Ahmed ben Youcef ,in R .A ,N 66 ,1925 ,p 185

[7]:ابن مريم ،مصدر سابق ،ص 214 .

[8] :Bodin ,Op Cit , p186 .

[9] :S.A Boulifa ,Le Djurdjura A travers L'Histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830,J.Bringau imprimeur-éditeur ,Alger ,1925 , pp 193-194.

تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا أو الباي،بل يتصرف فيهم المرابط "[2] ،لأن المرابط و حتى شيخ الجماعة ترتكز سلطته على الاحترام و الوقار و الوازع الديني و الأخلاق ،عكس سلطة القياد التي تعتمد على القوة مثلها مثل السلطة المركزية بالمدينة [3].

و لهذا و بعدما استقلت الجزائر بالحكم عن اسطنبول حاول الدايات نهج سياسة لجلب رجال الدين[4] ، بغرض مراقبة تحركاتهم ،لذلك لم ينظروا لشيوخ الزوايا و مقدمي الطرق ،و المرابطين كرجال دين بل كأشخاص يحملون ثقة الأهالي [5]،خاصة بعدما علموا بمكانتهم في الأوساط الشعبية ،فأظهروا لهم الاحترام و صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات ،و أصبحوا يقدسون أضرحتهم بعد موتهم و لا يعاقبون كل من يفر الى ضريح أي مرابط لوقارة المكان [6]،لأن المرابطين كانوا خطرا على السلطة إذ هي تجاهلتهم [7].

و بما أن السلطة لم تستطع إلحاق الحركة المرابطية ،و لا احتوائها ،حاولت استعادتها [8]،بكل الطرق و الوسائل المادية أو المعنوية و في هذا الاطار يذكر حمدان خوجة بأن أحد الأساليب التي اتبعها العثمانيون لإخضاع السكان هو احترامهم لرجال الدين ،بعدما أدركوا مكانتهم في الأوساط الشعبية حيث يقول " و أعلموه (خير الدين) بأن هؤلاء البربر قد جعلوا ثقتهم التامة بالمرابطين و التعيس من يعاكسهم في هذا ..."[9] و قد نصحوه بأن يمنح المرابطين ثقة مطلقة حتى لا يعارضه أحد لأن السكان يحترمون المرابطين أحياء أو أموات ،و هم على استعداد لقتل أصدقائهم و حتى أقاربهم إذا احتقروا المرابطين ،لهذا عمل رجال السلطة على اظهار الاحترام لهم [10].

---

[1]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ، ص 88 .

[2]:الزهار،مصدر سابق ، ص 48 .

[3]:علي خنوف ،مرجع سابق ، ص 42 .

[4] : DELPHIN, (G), "Histoire des pachas d’Alger de 1515-1749" in journal Asiatique, Avril. Juin, 1922,p 186 .

[5] : KADDACHE, MAHFOUD, L’Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger, 1991 p 144.

[6] : BOUABBA, YAMILE, les Turcs au Maghreb central du 16éme au 19éme siècle, S.N.E.D, Alger, 1972,p 41.

[7] : SAIDOUNI. NACER-EDDINE,Op Cit ,p 396.

[8]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ، ص 111.

[9]:رشيدة شدري معمر ،العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671 - 1830) ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر ، 2005-2006 ،ص 105 .

[10]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ، ص 111.

كما إعتبرت أضرحتهم كملجأ للفارين من العقاب،فلا يطاردونهم لوقارة المكان [1]،فقد عفى الباي عثمان بن إبراهيم (1747 م -1755 م) عن أنصار و أبناء الباي بوشلاغم الذين حاولوا قتله ،و قد جاء العفو عنهم بعدما فروا الى ضريح سيدي محمد بن عودة [2].

و لهذا وجدت بعض المناطق الخاضعة للمرابطين كأولاد سيدي الشيخ ببايلك الغرب [3]،التي كان نفوذها بالجنوب الوهراني ،تافيلالت ،قورارة و حتى الجنوب المغربي [4]،و التي لم تمنح الوجود الفعلي للعثمانيين على أراضيها فلم تكن تدفع للبايلك إلا ستة فرنكات على كل حمولة جمل [5].

بحيث يعود أصل أولاد سيدي الشيخ الى الخليفة أبي بكر الصديق ،أما نسبهم فهو للجد السادس و العشرين المسمى عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة المتوفى عام 1615 م و المدفون بالأبيض ،و المعروف بسيدي الشيخ ،و الذي خلّف من الذرية أحد عشر منهم ستة أولاد سيدي الحاج بوحفص ،سيدي محمد عبد الله ،سيدي الحاج عبد الحاكم ،سيدي ابن الدين ،سيدي ابن الشيخ و سيدي عبد الرحمن [6].

أنشأ اولاد سيدي الحاج عبد الحاكم (أولاد سيدي الشيخ الغرابة) زاوية في القصر الغربي انفصلت عن الزاوية الأم و صار لها أتباعها ،كما أسس أولاد أبي حفص (أولاد سيدي الشيخ الشراقة) زاوية قريبة من الزاوية الأم ،صارت تعرف بالزاوية الشرقية ،و بعد خلافات عميقة توصلت الأطراف المختلفة في سنة 1766م الى اتفاق يقضي بتوزيع ما يأتي من هبات بالتساوي [7].

و إذا كان تحالف بعض القوى المحلية يشكل خطر دائما بالنسبة للحكام ،أكثر مما هو دعم و مساندة لهم ،فإن حصولهم على خدمات بعض القوى الأخرى ،كان يكلفهم أكثر مما كانوا يتلقونه في المقابل ،و لاسيما بعض الزعامات الدينية ،التي لم يكن ضمان حيادها ،أو وساطتها ،إلا بهدايا باهضة ،و بعض الامتيازات ،مثل جمعها للضرائب من بعض المناطق التي تقطن بها قبائل الرعية

---

[1]:حمدان بن عثمان خوجة ،مصدر سابق ،ص 111.

[2] : مسلم بن عبد القادر ،أنيس الغريب و المسافر تحقيق رابح بونار ، ش.و.ن.ت ،الجزائر ،1974 ، ص 20-21.

[3]:رشيدة شدري معمر ،مرجع سابق ، ص 30.

[4] : Pierre-Jean-Daniel André, Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, maison de livres ,Alger,1956 ,p 238 .

[5]:رشيدة شدري معمر ،مرجع سابق ، ص 30.

[6]:كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ، ص ص 273-274.

[7] :Louis Rinn ,Marabouts et Khouanes ,Op Cit , p357 .

و احترام الحكام لحق اللجوء إلى زواياها ،و مهما كان دور هذه الزعامات ،فإن الإدارة العثمانية عرفت كيف تقلل من نفوذها ،و إضعاف تأثيرها في أوساط الريفيين [1].

[1]:أرزقي شويتام ، مرجع سابق ،ص ص 245-246.

5- القبائل المستقلة و علاقتها بالسلطة العثمانية :

لقد كانت بعض القبائل الجبلية و الصحراوية تمتنع عن دفع الضرائب ،و قد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي و تضاريسها ،و كذا بعدها عن مركز الإدارة ،و كان رفضها هذا راجع إلى طبيعة نشاطها الاقتصادي ،إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي ،مما جعل مردودها الزراعي ضعيفا فكان نشاط تلك القبائل مقصورا على قليل من الزراعة ،و تربية المواشي ،و التجارة ،و هذا ما جعل اقتصادها نادرا ما كان يلبي احتياجاتها اليومية [1].

لقد عانت الإدارة العثمانية منذ بداية وجودها في بايلك الغرب من موقف بعض القبائل المعادي لها و قد تعود أسباب فشل الإدارة العثمانية في فرض كامل سيطرتها على هته المنطقة إلى كثرة المنافسين لها ، المتمثلين في الزيانيين في تلمسان و ضواحيها ،و الإسبان في وهران ،و تأثير سلاطين المغرب الأقصى في المنطقة الغربية ،الذين كانوا يحرضون سكان المناطق الحدودية الغربية ضد العثمانيين كما كانوا يتبادلون الحملات العسكرية مع الحكام الجزائريين ،و قد شجعت كل هذه العوامل بعض قبائل الغرب الجزائري على عدم الخضوع للإدارة العثمانية [2].

فقد ظهرت أولى الحركات المناوئة للعثمانيين في بايلك الغرب في جبال مجاجة ، التي قادها محمد بن علي إلا أنه ما لبث حتى أخمدها العثمانيون ،و قيل أن الباي قام بإعدام قائدها ،بعد أن طاف به على ظهر بغل في كل أرجاء القبائل المساندة له [3].

ففي بايلك الغرب كانت تتواجد هذه القبائل في المناطق الجبلية الوعرة أو في أقصى الحدود المغربية أو في الهضاب العليا كسكان الونشريس و سكان واد جر بالجبال اليمنى لوادي سوماطة و سكان الأنجاد بجبال طرارة على الحدود المغربية [4]،فمثلا قبائل ريغة الواقعة بضواحي مليانة كانت في حرب دائمة مع سلطة البايلك نتيجة رفضها دفع ما عليها من ضرائب ،وكذلك الأمر بالنسبة للقبائل المجاورة لها ك: بني فراح ،و شنواه جندل ،و مطماطة ،و العطاف [5]

و نظرا لأهمية هذه القبائل بالنسبة للبايلك عمد إلى إخضاعها باتخاذ وسيلة ناجعة ،و ذلك بمنع التعامل الاقتصادي معها خارج الأسواق الرسمية الموسمية و الأسبوعية التي أنشئت بالقرب من مواطنها

---

[1]:أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 274.

[2]:نفسه ، ص ص 292 -293 .

[3] :Walsin Esterhazy ,de la Domination ,Op Cit ,p167.

[4] :Desfontaines ,Op Cit ,pp 144-145 et 152 .

[5]: سميرة طالي معمر ،مرجع سابق ، ص 101 .

و كان الهدف هو إجبارها على قبول قرارات السلطة ،فهذه الأسواق يشرف عليها قياد أتراك يستعينون بحاميات عسكرية يدعمها فرسان المخزن ،و حين تقصد القبائل الجبلية و الصحراوية الأسواق المذكورة تدفع رسما يساوي عُشر ثمن البضاعة المحمولة الى السوق ،و إلا منعت من البيع بل و حتى من اقتناء ما كانت بحاجة إليه [1].

كما استعمل العثمانيون أيضا القوة لتدمير المداشر الحصينة ،و إتلاف الأمتعة ،و الزرع حتى تضطر القبيلة العاصية تحت وطأة سوء الأحوال المعيشية الى المهادنة و الخضوع ،إن تعذر إخضاع هذه القبائل فإن الحكام يلجئون إلى تشتيتها ،و تجريدها من أراضيها الخصبة مثلما حدث لقبيلتي الأمحال و السويد بجهات الشلف ووهران[2] .

و رغم هذه السياسة المنتهجة ،إلا أن ذلك لم يضع حدا لحركات التمرد التي كانت تشن هنا و هناك بحيث كانت قبيلة سويد في صراع دائم مع العثمانيين ،فتعرضت للعديد من الغارات ،و فرض عليها الكثير من الضرائب ،إلى جانب سكان الأنجاد [3] الذين كانوا كلما حان موعد استخلاص الضرائب توجهوا الى الأراضي المغربية ،ثم يعودون بعد ذلك ،كما كانوا يقطعون طرق القوافل التجارية بين البلدين ،و لهذا هاجمهم الباي محمد بن عثمان في العديد من المرات[4] .

أما بعض القبائل الأخرى فقد كانت تعيش حياة الترحال من منطقة الى أخرى كالأحرار، المهايا براس بني مناد ...إلخ ،مفضلة الحياة في عزلة للمحافظة على استقلالها و حريتها [5].

و الواقع أن البايلك لم يطالب هذه القبائل بكثير من الضرائب و إنما أراد منها ما يوحي بقبول تبعيتها و خضوعها له ،فهل كان ذلك تفهما من البايلك للظروف الصعبة التي عاشتها هذه القبائل في المناطق المتطرفة البعيدة قليلة الانتاج ؟أم أن ذلك كان قبولا بواقع فرضته الجغرافيا ،أي بُعد القبائل الممتنعة عن الأراضي الخاضعة فعلا للسلطة التي أرادت أن تحتفظ بهؤلاء السكان و لو بولاء ظاهري حتى لا يتحولوا الى جهة أخرى ،أو على الأقل حتى يظلوا مسالمين فلا يشكلوا خطرا عليها ؟ [6].

---

[1]: كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ، ص 258 .

[2]:ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي ،مرجع سابق ، ص 109-110.

[3]:قبيلة عربية تنتمي الى ذوي عبيد الله يستقرون شرق العريشة بجبال طرارة على الحدود المغربية انظر :
فاطمة حباش ،سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820 - 1896)رسالة ماجستير ،جامعة وهران 2004 - 2005 ، ص 40.

[4] :M Julienne ,Les Rir'a de la subdivision de Miliana ,in R.A ,N 1 ,Alger, 1856,pp 284-285 .

[5] :Boyer (p) ,La Conquête de L'Algérie ,in I.A,Paris ,1957 ,p 127 .

[6]:كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ، ص 259 .

إن ما ميز قبائل بايلك الغرب ،طوال فترة الحكم العثماني هو عدم تمكن الإدارة العثمانية من إخضاعها بصفة نهائية ،فبعد تحويلها الى قبائل مخزنية ،عن طريق القوة ،سرعان ما تعود الى وضعها الأصلي ،بمجرد شعورها بضعف الإدارة ،مما كان يرغم البايات على استعمال القوة ضدها لإجبارها على دفع الضرائب ،و قد استمرت هذه الظاهرة طوال العهد العثماني [1].

و تعد فترة حكم الباي محمد بن عثمان (1193 ه /1779 م،1212 ه /1796 م) من أهم الفترات التي فرضت فيها الإدارة وجودها في بايلك الغرب ،إذ قام الباي محمد الكبير بإخضاع قبائل الحشم لإدارته ،و حولها الى قبائل مخزنية ،كما أرغم قبائل فليتة و الأحرار و حميان و سويد و عمور ،و جبل راشد على دفع الضرائب المقررة عليها ،كما وسع الباي دائرة نفوذ إدارته إلى الأغواط إذ شن عليها حملة في عام 1777 م ،و أجبر سكانها على الاعتراف بسلطته عليهم و دفع الضرائب [2].

---

[1]: أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 298.

[2] :M GORGUOS :Notice sur le Bey d'Oran ,Mohammed El Kebir ,in R.A, n 1 ,Alger, 1856-57, p 412.

6- تأثير المغرب الأقصى على قبائل الغرب الجزائري :

لقد كانت العلاقات بين الجزائر و المغرب تمتاز بالتنافس الشديد خلال المرحلة الأولى من تأسيس الإيالة ،و قد كانت الخلافات في القرن السادس عشر تدور حول مراقبة تلمسان و المناطق المحيطة بها[1] بحيث كانت تلمسان عدا عن كونها عاصمة للزيانيين سابقا ،و مركزا حضاريا هاما ،بوابة هامة بين شرق المغرب و الغرب الجزائري و من يملكها يملك التدخل في عمق الجزائر و المغرب ،كما كانت محطة تجارية هامة بين أوربا و بلاد السودان ،و بؤرة ثقافية و دينية مشعة في المغرب الكبير كله و لهذه المزايا العديدة بتلمسان فقد كانت دوما مطمعا لحكام المغرب [2]،و من المعروف أن سلاطين المغرب و قفوا حجرة عثرة أمام التوسعات العثمانية في غرب الإيالة الجزائرية ،و كان الهدف العثماني من المشاريع التوسعية هو تحقيق السيطرة على طريق الذهب الذي يربط المغرب ببلاد السودان و الوصول الى المحيط الأطلسي، لفك الحصار الذي فرضه البرتغال على الدولة العثمانية جنوب القارة الأفريقية [3].

حاول سلاطين المغرب السعدي تحقيق مغرب الموحدين و هذا ما أشار إليه المؤرخ المغربي التمقروتي بقوله :" و العثمانيون إنما عملوا و قادوا الأمر في الحقيقة ،نيابة ،و أمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها و أهلها و هم موالينا و ساداتنا الشرفاء ملوك بلاد المغرب "[4].

لقد صادف نزول العثمانيين في المغرب العربي ،بداية حكم الأسرة السعدية للمغرب الأقصى 1524 م ،و كانت ولادة هذين النظامين المتنافسين ،كرد فعل ديني لما لحق بمسلمي الأندلس من ناحية و العدوان الاسباني و البرتغالي على سواحل المغرب من ناحية ثانية ،ووضع حد للصراع المسيحي الإسلامي على أراضي أوربا [5].

قام السعديون بتوجيه حملة في سنة 1549 م إلى شرق المغرب الذي أخذ النفوذ العثماني ينفذ إليه و تمكن الأتراك العثمانيين من الإستلاء على مدينة وجدة ،حيث اضطر الحاكم العام لهذه المدينة إلى الفرار منها ،و كان من نتائج استعراض السعديين لقوتهم في شرق المغرب ،أولا مبادرة

---

[1]:حنيفي هلايلي ،أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر،2008 ، ص 54.

[2]:عمار بن خروف ،مرجع سابق ، ص 154

[3]: حنيفي هلايلي ،أوراق ،مرجع سابق ، ص 54.

[4]:أبو الحسن علي بن محمد التمقروتي ،النفحة المسكية في السفارة التركية ،تحقيق و تقديم عبد اللطيف الشاذلي،المطبعة الملكية المغرب 1926 ، ص 47 .

[5]:حنيفي هلايلي ،أوراق ،مرجع سابق ، ص 55.

العديد من القبائل في مملكة تلمسان ،كانت غير مخلصة في ولائها للأتراك العثمانيين ،أو غير راضية عن حكم هؤلاء ،و حكم السلطان الحسن بن عبد الله الزياني، إلى إعلان ولائها للسعديين و ترحيبها بهم ،و من هذه القبائل: قبائل بني يزناسن ،و مديونة ،و ندرومة ،و ترارة و غيرها [1]. و ثانيا دعوة بعض أعيان تلمسان لأبناء السلطان السعدي إلى مدينتهم ،الأمر الذي شجع السلطان السعدي أكثر فأكثر على التدخل في تلمسان و على الإسراع بتوجيه حملة لاحتلالها ،و قد كتب محمد الشيخ السلطان السعدي بعض القبائل التي دعته إلى القدوم إلى تلمسان ،كما كتب أيضا إلى أعيان تلمسان يعدهم بأنه سوف يقوم بإعفائهم من الضرائب لمدة سنتين ،كما انظم اليه المنصور بن أبي غانم شيخ قبيلة بني راشد [2].

تمكن السعديون من الإستلاء على تلمسان في سنة 1550 م ،دون أن يواجهوا أية مقاومة من حاميتها العثمانية ،التي كانت تتألف من ألفي جندي فقط ،و التي استسلمت لهم [3].

شرع السعديون في التوخل نحو الشرق و تمكنوا من الوصول إلى غاية مشارف مستغانم ،في محاولة لإخضاع القبائل التي امتنعت عن الدخول في طاعتهم في الغرب الجزائري ،و التي تجمعت هناك و بعد مناوشات عديدة مع تلك القبائل تكبد فيها السعديون بعض الخسائر ،أخذوا في الانسحاب إلى تلمسان [4].

لم يرض أتراك الجزائر العثمانيين إحتلال السعديين لتلمسان ،لذلك أعدوا حملة كبيرة لإسترجاعها و أسندوا قيادتها للقائد حسن قورصو ،و تمكن هذا الأخير من طرد السعديين من تلمسان و إسترجاع المدينة[5]، و لما وصلت تلمسان إلى هذه الحالة قرر حسن بن خير الدين أن يضع يضع عليها حاكما عثمانيا دون أن يشرك إلى جانبه أي أمير زياني ،و أن يترك فيها حامية من الجزائر و بذلك وضع حد لحكم الأسرة الزيانية [6].

---

[1]: عمار بن خروف ،مرجع سابق ، ص 155.

[2]: نفسه ، ص 156 .

[3]: نفسه ، ص 157.

[4]: نفسه ، ص 154 .

[5] :Chantal de la Veronne ,Relation entre me Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du 16 e siècle et le début du 17 e siècle (1554 -1616) ,in <u>R.O.M.M</u> ,1973 ,N 15 -16 ,p 391.

[6]: عبد القادر فكاير ،مرجع سابق ، ص 127.

و نظرا لكثرة التجاوزات التي كان يقوم بها ملك فاس ،كتب اليه صالح رايس [1] يطلب منه عدم تجاوز الحدود المحددة بجبال ملوية ،وتمكن صالح رايس من هزيمته [2] في شهر جانفي 1554 م و نصب صالح رايس السلطان أبي حسون على عرش فاس [3] ،و لكن وفي سنة 1554 تمكم محمد الشيخ من القضاء على أبي حسون [4].

كما قام العثمانيون بشن العديد من الحملات على مدينة فاس ،فمثلا و في ولاية رمضان باشا استولى جيش الجزائر على فاس في سنة 1575 م ،و تم تنصيب عبد الله أبي مروان المعتصم بالله الذي كان قد استنجد هو و أخوه أبو العباس أحمد بالعثمانيين ضد محمد المتوكل على الله ابن أخيهما [5] .

لقد ساهم العثمانيون في الجزائر منذ مطلع القرن السابع عشر على تجزئة المغرب الأقصى إلى إمارات تابعة للأشراف و الزوايا و الطرق الصوفية ،و حالت المنافسة القبلية و عداوة الأمراء السعديين و اتباعهم لرجال الدين ،دون الوصول الى توحيد المغرب الأقصى من طرف زعماء الزوايا و الطرق الصوفية [6].

و من جهتهم وجد الملوك المغاربة في توظيف تيار النسب الشريفي الفرصة الملائمة لخدمة مصالحهم التوسعية من الناحية الشرقية ،مستغلين في ذلك المساندة الشعبية التي كانوا يتمتعون بها داخل الجزائر ،و لتحقيق هذا المشروع السياسي الطموح ،اعتمد المغرب على نفوذ الطرق الصوفية و التي كانت مراكزها تشكل حلقة تمتد من فاس إلى تلمسان و تونس مرورا بالواحات ،وكانت الطرق الصوفية تشجع سلاطين المغرب في استمالة العائلات الكبرى التي تتمتع بنفوذ روحي في إيالة الجزائر ،بحيث و بفضل القاعدة الشاذلية كانت تلمسان تفتح أبوابها مرارا للجيوش المغربية في العهد السعدي [7].

---

[1]:1552 م - 1556 م

[2] :Berbrugger ,A ,Des Frontières de l’Algérie ,R.A , N 4,1860 ,p 414 .

[3] :Henri Terrasse ,Histoire du Maroc ,T 2, Éditions Atlantides,casablanca , 1950 p 426 .

[4] :Henri Garrot ,Histoire générale de l’Algérie ,Imprimerie P .Grescenzo voutes Bastio Nord ,Alger , 1910 , p426.

[5]:ابن المفتي ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها ،جمعها و اعتنى بها الأستاذ فارس كعوان ،بيت الحكمة ،ط1 العلمة 2009 ، ص 42-43.

[6]:إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج 2 ،دار الرشاد الحديثة ،ط2 ،الدار البيضاء ،1984 م ،ص 285.

[7]:حنيفي هلايلي ، أوراق ،مرجع سابق ،ص 314.

و تمثل رد المغرب في إستمالة كثير من قبائل بايلك الغرب إليه ،و هم الذين يسميهم أهل المغرب بالشراقة ،نسبة الى موقع بلادهم من المغرب أي شرقه ،و من قبائل العرب هذه التي تمت إستمالتها أشجع و بنو عامر ،و من البربر مديونة و هوارة و بنو سنوس[1] .

لقد وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الأخيرة من القرن السابع **مع حصول العلويين شرفاء المغرب الأقصى** على العرش ،بحيث وجدت الأسرة العلوية مضايقة من الجانب العثماني المستقر بالجزائر ،و الذي كانا يؤيد منازعي السلطة بالمغرب ،فواصلوا بذلك سياستهم القائمة على التدخل و التي يعود تاريخها الى العهد السعدي [2].

قام محمد الشريف العلوي (1640 -1658 م)بدافع التوسع على منطقة وجدة التي كانت تابعة للجزائر العثمانية زمنئذ ،و أغار على قبائل بني زناسن ،و بني مطهر و ذوي يحي و بني سنوس ،و بني عامر ،و الجعافرة و الأحرار و الفاسول و عين ماضي [3]، و كرد فعل لهذه الغزوات قام أحمد باشا (1650-1656 م) حاكم الجزائر بإرسال حملة عسكرية لمواجهة غارات الشريف **العلوي ،انتهت بعقد معاهدة** تمّ بموجبها تخلي الجزائر عن أراضي غربي تافنة الى وادي ملوية لصالح **المغرب العلوي**[4] .

جدد المولى الرشيد (1664 -1672 م) المعاهدة المبرمة مع إيالة الجزائر ،ليتفرغ بعد **ذلك للاستلاء على المغرب** المجزأ إلى إمارات ،و لكنه أغار من جديد على قبائل بني زناسن الموالية للأتراك العثمانيين ،و ما لبث أن انسحب ال تازة مكملا مشروعه التوحيدي للمغرب ،و تابع مولاي إسماعيل (1672- 1727 م) مشروع أخويه للتوسع في الجزائر ،و مهّد لذلك بتحريض سكان **تلمسان على الثورة ضد التواجد** العثماني بالجزائر ،و توغل الجيش المغربي في الصحراء ثم إلى غاية **وادي الشلف ،و انضم إليه بنو عامر سنة 1676 م [5]،عندئذ هاجم الجيش الجزائري المحلة المغربية** بالمدفعية ،فقرر مولاي اسماعيل الانسحاب و قبول عرض الجزائر بإقرار الحدود القديمة [6].

1: كمال بن صحراوي ، مرجع سابق ، ص 73.

2 : fray Diego de Haedo,Histoire des rois d'Alger ,trad et annotée par H D Grammont ,A Jourdan ,Alger, p 161 .

3: إبراهيم حركات ،مرجع سابق ، ج 2 ، ص 257.

4:Henri Terrasse,Op Cit ,p 243.

5: حنيفي هلايلي ،أوراق ،مرجع سابق ، ص 60-61.

6: أبو العباس أحمد الناصري،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق و تعليق جعفر و محمد الناصري ،ج 7 ،دار الكتب الدار البيضاء ،1954 ،ص 31-42.

و في سنة 1691 م ،وجه مولاي اسماعيل جيشا بقيادة ولده زيدان إلى الأراضي الجزائرية لردع قبائل بني عامر الذين كانوا يعرضون خدماتهم تارة على العثمانيين و تارة أخرى على المخزن المغربي ،فردّ الداي شعبان (1688 - 1695 م) على هذا التعاون بإرسال حملة أدت إلى انهزام السلطان زيدان و تراجعه الى فاس [1]،وكان عقد الصلح في التاسع من ذي الحجة عام 1103 ه الموافق ل 21 أوت 1692 م [2].

كما تمكن المولى إسماعيل بفضل إعادة تنظيم الجيش و إيجاد الموارد الكافية لتمويله ،من كسر شوكة القبائل المتمردة و القوى المعارضة التي كانت تتحرك بتحريض من أتراك الجزائر ،فمضى إلى الهجوم من جديد **و بينما كان الباي مصطفى بوشلاغم يعمل على تدعيم سلطته بالبايلك** و فرض النظام فيه قام السلطان المغربي بجولة في إقليم تلمسان تدعمه قبائل كثيرة منها قبائل الدواير و قبائل **عبيد الشراقة و عبيد الغرابة و عبيد الزمالة** ،وكان جنود السلطان يستولون على كل ما يجدونه أمامهم ،و لكنه لم يتمكن من احتلال مدينة وهران [3].

و إذا كان الصراع بين المغرب الشريفي و الجزائر العثمانية قد أظهر العلاقة بينهما متوترة للغاية في الغالب ،فإن ذلك لم يمنع أبدا من قيام علاقات اقتصادية و اجتماعية بين سكان بايلك الغرب و شرق المغرب الأقصى ،حيث كان للفاسيين دور هام في النشاط التجاري و الحرفي بمدينة تلمسان وكانت القبائل القاطنة على الحدود يعامل بعضها بعضا من خلال البيع و الشراء و المصاهرة و غير ذلك ،لكن هذا لم يمنع أيضا من تكرار حدوث المشاكل بينها خصوصا بسبب مناطق الرعي[4] .

---

[1] :Grammont (H de) ,Op Cit ,p 134.

[2] :Albert Devoulx ,Tachrifat ,Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger ,Imprimerie du Gouvernement ,Alger ,1852 ,p 110.

[3]:كمال بن صحراوي ،مرجع سابق ، ص 74 -75 .

[4]:نفسه ، ص 77.

و في خاتمة هذا الفصل نستخلص ما يلي :

إمتد الحكم العثماني إلى الغرب الجزائري سنة 1516 م ،عندما توجه عروج إلى مدينة تنس لإخضاع إحدى الثورات التي قامت بها قبائل المحال بقيادة أميرها حميدة العبد ،و من ثم زحف عروج على تلمسان و قد واجهت العثمانيين عدة صعوبات في بداية عهدهم ،و التي تمثلت خاصة في شدة المعارضة المحلية و الخارجية و المتمثلة في الزيانيين و الإسبان و سلاطين المغرب الأقصى .

يعتبر حسن ابن خير الدين أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية في بايلك الغرب الجزائري ،و كانت رقعة هذا البايلك تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الأغواط جنوبا ،و من الحدود المغربية غربا إلى بايلك التيطري و دار السلطان شرقا ،و تميز هذا البايلك بطابع عسكري و ذلك نتيجة الصراعات المستمرة بين الأتراك العثمانيين من جهة و سلاطين المغرب من جهة أخرى إلى جانب الإحتلال الإسباني في كل من وهران و المرسى الكبير .

لقد كان الجهاز الإداري لبايلك الغرب منظما إلى عدد كبير من القبائل التابعة لشيوخها ،و كل مجموعة من القبائل تشكل وطنا يحكمه قائد ،و مجموعة القيادات تكون الأغاليك التي يديرها قائد القياد أو أغا .

ترك الأتراك العثمانيون السلطة الفعلية في الأرياف في يد القوى القبلية ،و لم يحدثوا على نظمها أي تغيير و عليه يمكننا تقسيم قبائل الغرب الجزائري و علاقتها بالسلطة العثمانية إلى :قسم متعاون مع السلطة البايلك و يتمثل في قبائل المخزن و القبائل المتحالفة ،و التي كانت تتمتع بالإعفاء من الضرائب إلى جانب منحها عدد من الإمتيازات ،و قسم خاضع لها و يتمثل في قبائل الرعية التي كان عليها تحمل كل الأعباء و قسم معارض و يتمثل في القبائل الممتنعة الخارجة عن سلطة البايلك .

تمكنت الإدارة العثمانية بفضل إعتمادها على قبائل المخزن من مد نفوذ سلطتها إلى جهات متباعدة من الإيالة الجزائرية ،و الحفاظ على الحاميات العسكرية المتمركزة بالقرب من الأسواق الهام و الحصون الإستراتيجية و المواصلات الحيوية ،و استخلاص الضرائب ،و كذا حفظ الأمن من خلال إخضاع الثائرين و المتمردين .

إن أهم ما ميز قبائل الغرب الجزائري طوال فترة الحكم العثماني هو عدم تمكن سلطة البايلك من إخضاعها كلها و بصفة نهائية ،فبعد تحويلها إلى قبائل مخزنية عن طريق القوة سرعان ما تعود إلى سابق عهدها بمجرد شعورها بضعف الإدارة ،الأمر الذي جعل البايات مرغمين على استعمال القوة ضدها لاستخلاص الضرائب منها .

لقد عانت الإدارة العثمانية منذ بداية وجودها في المنطقة الغربية للجزائر ،من موقف بعض القبائل المعادي لها ،و تعود أسباب فشل الإدارة العثمانية في فرض سلطتها في بايلك الغرب إلى كثرة المنافسين لها ،و تأثير سلاطين المغرب الأقصى في المنطقة الغربية ،الذين كانوا يحرضون سكان المناطق الحدودية الغربية ضد الأتراك العثمانيين ،كما كانوا يتبادلون الحملات العسكرية مع الحكام الجزائريين و قد شجعت هذه العوامل بعض قبائل الغرب الجزائري على عدم الخضوع للإدارة العثمانية .

إذاً كان هذا عن مختلف الفعاليات القبلية المميزة لبايلك الغرب و علاقتها بالسلطة العثمانية فماذا عن الدور الذي قامت به هذه القبائل للتخلص من الإحتلال الإسباني في وهران و المرسى الكبير ؟و ما هي أهم المحاولات التي قامت بها تلك القبائل و ذلك بتحالفها مع الأتراك العثمانيين لإسترجاع المدينتين من الإسبان إلى غاية طردهم نهائيا من الغرب الجزائري ؟ هذا ما سنحاول بإذن الله الإجابة عنه فيما سيأتي .

الفصل الثالث :

دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران

1- محاولات فتح وهران :

1-1:محاولة صالح رايس سنة 1556 م .

1-2 :محاولة حسن باشا سنة 1563 م .

1-3 :محاولة سنة 1642 م و سنة 1675 م

1-4 :محاولة الباي شعبان سنة 1686 م .

2- دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير وهران الأول سنة 1707 م .

3- إعادة إحتلال الاسبان لوهران سنة 1732 م .

4-الوضع السياسي لبايلك الغرب .

5-دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير وهران الثاني سنة 1792 م .

تناولت في هذا الفصل أهم المحاولات التي قام بها الأتراك العثمانيون بمساعدة الجزائريين بهدف فتح مدينة وهران ،و ذلك نظرا لإستقرار الإسبان بهذه المدينة لمدة طويلة و إصرارهم على الإحتفاظ بها و ذلك لما تتمتع به من موقع إستراتيجي ،و ما تمثله من أهمية بالنسبة لإسبانيا في المنطقة و بالمقابل أبرزت مدى رغبة العثمانيين الملحة و الشديدة في إسترجاعها بإعتبارها إحدى المدن الإسلامية الهامة في الجزائر.

ثم تطرقت إلى دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران الأول سنة 1707 م ،و ذلك بتتبع مراحل الفتح و ركزت خصوصا على دور الجزائريين في هذا الفتح و أهم المعارك التي خاضوها إلى غاية تحقيق النصر .

و أشرت إلى الوضع السياسي لبايلك الغرب منذ أن تمكن الإسبان من إعادة إحتلال مدينة وهران إلى غاية أن تولى الباي محمد بن عثمان الكبير سنة 1792 م .

و أخيرا ذكرت دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران و ذلك تحت قيادة الباي محمد بن عثمان الكبير ،بحيث إلتفت تلك القبائل حول ذلك الباي و شاركت إلى جانبه في المعارك التي خاضها ضد الإسبان في وهران إلى غاية تحقيق النصر و فتح المدينة للمرة الثانية .

لقد عانت مدينة وهران من ويلات الإحتلال الإسباني ،و إكتوت بنار الأطماع المسيحية و حب الإنتقام من الحواضر الاسلامية المتوسطية بعد استسلام غرناطة ،و نقض المتعصبون الكاثوليك لعهودهم التي أعطوها للمسلمين في الديار الأندلسية ،فقرروا تنصيرهم بالحديد و النار و أقاموا محاكم التفتيش و الحرق ،و طردوا في الأخير من بقي على دين الاسلام ،و لم يقف الإسبان و البرتغال عند هذا الحد بل شنوا حملات شرسة و بدون رحمة على ثغور الغرب الإسلامي في العدوة الإفريقية سواء في السواحل المتوسطية أو السواحل الأطلسية ،مستغلين الإنقسام و التناحر و التسابق على الحكم في الأقطار المغاربية و كانت وهران من المدن التي سقطت في قبضة الإسبان كما كانت من بين المدن التي لقيت العناية من طرف العامة و الخاصة لتحريرها [1].

فتعرضت معالمها التاريخية و الحضارية للمسخ و الطمس و تعرض سكانها لأبشع مظاهر التعذيب كالتشريد و الإهانة و القتل و الملاحقات المستمرة ،و لكنهم لم يستكينوا و لم يرضخوا و لم يستسلموا بل واجهوا الطغيان بكل شجاعة و بذلوا كل ما بإمكانهم من غال و نفيس ،واسترخصوا أموالهم و دمائهم و حرماتهم ،من أجل طرد المحتلين الغاصبين و أثبتوا كفاءتهم في المقاومة و مقدرتهم في المواجهة و الثبات حتى حق لوهران أن تكون رمزا لمقاومة الجزائر البطولية عبر التاريخ [2].

1- محاولات فتح وهران :

انتظمت الدولة الجزائرية و قوي ساعدها ،و إلتأمت وحدتها ،بعد جهاد طويل و كفاح مرير و أصبحت قضية وهران هي القضية الأولى التي يهتم بها الرأي العام و يريد أن يصفي حسابها مهما غلا الثمن و مهما كانت التكاليف ،فهي في نظره قضية وطنية قومية من جهة ،و من جهة أخرى قضية جهاد إسلامي عام ،يمحوا آخر آثار الصليبية الإسبانية بأرض الجزائر [3].

لم تكن وهران دار سلام و اطمئنان بل كانت خلال تلك المدة التي كانت تحت الإحتلال الاسباني مجال قتال و مناوشات ،و مضى الشهر ،و مضت السنة ،و مضى القرن ،و المسلمون يحاولون استرجاع المدينة ،و لا يتركون لأهلها و لا لحاميتها راحة ،و الإسبان يتحصنون و يدافعون [4] و من تلك المحاولات نذكر :

---

[1]: حسن الصادقي ،مدينة وهران و أعلامها في الكتابات المغربية ،عصور جديدة ،عدد 7-8 ،2012-1013 م ،جامعة وهران ص 189.

[2]: يحي بوعزيز ،موضوعات و قضايا ،مرجع سابق ، ص 97.

[3]: أحمد توفيق المدني ، حرب ،مرجع سابق ، ص 409 .

[4]: نفسه ، ص 405 .

1-محاولة صالح رايس سنة 1556 م :

عندما أصبح الكونت دالكوديت حاكما عاما لمدينة وهران كتب :"الإسبان حكام هذه المدينة منذ سنة 1509 م ،و هم يعيشون في حالة حصار دائما ،كما أن المناطق التابعة للإسبان لا يمكنها أن تمتد مسيرة يومين "[1].

كما كان الشريف السعدي ملك المغرب الأقصى قد استعاد فاس ،و دخل في مفاوضات مع الإسبان للحصول على عشرة آلاف إسباني مسلحين ببندقية الأركوبوس ،كما جاء في تقرير المبعوث الإسباني إلى فاس ميكال دي ليزكانو الموجه إلى الكونت دالكوديت حاكم وهران ،المؤرخ في مالقا يوم 22 جويلية 1555 م ،استقبل هذا المبعوث من طرف الشريف السعدي و من طرف ابنه الأمير عبد الله ،كما استقبل من طرف القائد المنصور بن بوغانم ،قائد بني راشد الذي كان قد انسحب من مدينة تلمسان ،و حسب التقرير المذكور فإن الشريف السعدي قد "ألح على تخريب المدينة (الجزائر) من الأساس" [2].

أرسل السلطان سليم إمدادات إلى صالح رايس و ذلك حتى لا يترك الفرصة سانحة أمام الكونت دالكوديت لوضع التحالف الثنائي مع الشريف السعدي محل التنفيذ [3].فأرسل مددا بحريا مؤلفا من أربعين سفينة حربية و ستة آلاف من الجند العثماني ،أضاف صالح رايس هذه القوة الجديدة إلى القوة الجزائرية التي بين يديه ،و تتألف من ثلاثين سفينة حربية و أربعة آلاف من الجند ،هذا إضافة إلى جيش جزائري من داخل البلاد الجزائرية ،و معظمه من أشاوس جبال جرجرة ،الذي كان يناهز العشرة آلاف رجل ،ساروا فعلا على طريق البر نحو الناحية الغربية ،بينما كان صالح رايس يتأهب للإقلاع على رأس العمارة البحرية ذات السبعين سفينة نحو وهران [4].

وصل الأسطول العثماني إلى بجاية في جوان 1556 م ،و سار صالح رايس بسفنه إلى تامنتفوست لينتظر وصول الأسطول هناك ،ثم يسير مباشرة نحو الغرب فلا يدخل العثمانيون مدينة الجزائر التي كانت تعيش وباء الطاعون [5]،و لكن أصيب صالح رايس بالطاعون و توفي قبل أن يقلع في

---

[1] :Boukhari Hammana ,Le premier siege Turc d’Oran 1556 D’après Diego Suarez et les historiens Europeens Modernes ,Majallat Et-Tarikh , 1986 ,N 21 , Alger p 9 .

[2]:صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 80.

[3]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ، ص 159 .

[4]:أحمد توفيق المدني ،حرب ،مرجع سابق ، ص ص 343-344 .

[5]:صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 81 .

شهر جوان 1556 م[1]،عن عمر يناهز ال 70 عام ،و تتوقف الحملة مرحليا ،ثم أخذ بعد ذلك حسن قورصو زمام المبادرة لتكملة و مواصلة الزحف صوب وهران نظرا لإستكمال كل التجهيزات و الإستعدادات ،على أن تكون قاعدة التجمع بميناء مستغانم ،فيتجه نحوها برا بينما سلم قيادة الأسطول للقائد يحي[2] .

و عندما شرعا في مهاجمة حصون المدينة جاءتهما دعوة مستعجلة من البايلرباي(علج علي) لرفع الحصار و الالتحاق بقوات السلطان العثماني بالمشرق لمواجهة غارات أندري دوريا المدعم من ملوك أروبا و البابا فرفعا الحصار و تخليا عن حصن رأس العين الذي حرراه فعلا[3].

2- محاولة حسن باشا سنة 1563 م :

بعد الهزيمة التي لحقت بالإسبان في مستغانم و مزغران سنة 1558 م ،أرسلت إسبانيا إمدادات إلى وهران للقيام بخرجات تحفظ سمعة السلطة الإسبانية في الغرب الجزائري ،لقد وصلت إحدى هذه الخرجات إلى غاية سيدي سليمان ،على بعد 16 فرسخا[4] جنوب وهران[5]،و في هذا الوقت الذي كان الإسبان يحضرون أنفسهم ليواجهوا حصارا تركيا جديدا محتملا ،و في هذا الإطار أرسل الملك فيليب الثاني أربعة آلاف رجل على متن مجموعة من القطع البحرية ،أبحرت من مالقا ،إلا أن عاصفة عاتية وقعت يوم 19 أكتوبر 1562 م أغرقت 22 قطعة و معها أغلبية الجنود[6].

ففي الخامس من شهر فيفري من سنة 1563 م ،خرج حسن بن خير الدين من مدينة الجزائر نحو الغرب يسوق بين يديه جيشا يتألف من 15000 رجل من رماة البنادق ،و 1000 فارس من الصبايحية يقودهم أحمد أمقران الزواوي ،و 12000 رجل من زواوة و بني عباس ،أما المؤن و الذخيرة فقد حملها الأسطول الجزائري الى مدينة مستغانم ،التي اتخذها قاعدة العمليات[7] ،و في طريقه إلى مدينة وهران انظمت إليه العديد من القبائل[8].

---

[1]: يحي بوعزيز ، موضوعات و قضايا ،مرجع سابق ، ص 97 .

[2]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق ، ص 159.

[3]:يحي بوعزيز ،موضوعات وقضايا ،مرجع سابق ، ص 97.

[4]:الفرسخ = ثلاثة أميال .

[5]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 94 .

[6] :Sandoval ,Op Cit , p 356 .

[7]:أحمد توفيق المدني ، حرب ،مرجع سابق ، ص 356 .

[8] :Léon Gilibert ,L'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers établissements des Carthaginois jusqu'à l'expédition du général randon en 1853 ,Furne et cie libraires-éditeurs , Paris ,1853 , p203 .

وصل حسن باشا أمام مدينة وهران يوم 15 أفريل و تمكن من الاستلاء على حصن القديسيين بعد تحطيم جدرانه [1]، و في هته الأثناء إنظمت إليه القبائل المجاورة لمدينة وهران ،ثم بعد ذلك ركز الجيش العثماني هجماتهم على المرسى الكبير ،و بعد محاولات عديدة و التي باءت كلها بالفشل لإقتحام هته المدينة [2]، و استبسل الجزائريون في الهجوم على معظم حصون المدينتين و دامت المعارك طوال شهري أفريل و ماي ،و في شهر جوان و صلت نجدات إسبانية ضخمة و اضطر حسن بن خير الدين أن يرفع الحصار و ينسحب [3]، ليشارك في الهجوم الضخم ضد فرسان فرسان القديس يوحنا الصلبين في جزيرة مالطا عام 1565 م مع البطل درغوث باشا [4].و هكذا انتهت المعركة بفشل الحملة الجزائرية و انتصار الإسبانيين ،بواسطة ثباتهم البطولي ،و استماتتهم في سبيل الدفاع ،إلى أن وصلتهم النجدة المنقذة [5].

3– محاولة سنة 1642 م و سنة 1675 م :

و تذكر المصادر الإسبانية أن دون الفارودي بازان ،مركيز سانتاكروز واجه سنة 1642 م حصارا ضُرب على وهران برا و بحرا من طرف جيش يتكون من الأتراك و الأهالي ،غير أن الإسبان تمكنوا من دفع المحاصرين بعد خرجة قادها المركيز على رأس ثمانمائة رجل في الوقت الذي جاء فيه الدوق تورسي لنجدته على رأس 25 قطعة بحرية من جنوة [6].

و في سنة 1675 م ،حين كانت وهران تعيش كارثة الطاعون الذي أتى على حوالي ثلاثة آلاف ساكن من سكانها ،سيّر الإسبان في شهر جوان حملة نحو تلمسان ،بلغت أسوار المدينة فدفعها الأهالي و طاردوا جنودها إلى غاية وهران و المرسى الكبير ،دعم بابا حسن هؤلاء الأهالي بفرق من الإنكشارية ،فتحولت المطاردة إلى حصار للموقعين ،دام إلى غاية شهر جويلية ،و لما جاءت عمارة من قرطاجنة تحمل الإمدادات انسحب الأهالي و الأتراك [7].

---

[1] :Henri Garrot ,Op Cit ,p 429.

[2]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 94.

[3]: يحي بوعزيز ، موضوعات و قضايا ،مرجع سابق ، ص 98 .

[4] :Ernest Mercier ,Histoire de l’établissement des Arabes dans l’afrique septentrionale ,L.Marle Libraire-éditeur ,Constantine ,1875 , p 351.

[5]:أحمد توفيق المدني ، حرب ،مرجع سابق ، ص 360.

[6]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 139 .

[7]: نفسه ، ص 140 .

4- محاولة الباي شعبان سنة 1686 م :

في سنة 1685 م قاد الحاكم الإسباني لوهران حملة كبيرة نحو الأقاليم المجاورة لمنطقة نفوذه و عاد مرفوقا بحوالي ثمانمائة أسير و غنيمة ضخمة ،و لكن هذا الحاكم و قع في كمين نصبه له الأهالي في السنة الموالية فقتل هو و كل جنوده تقريبا [1]،و في سنة 1686 م جهز الباي شعبان الزناقي ثلاثة آلاف فارس و ألف راجل يريد بهم الهجوم على مدينة وهران ،و خرج الإسبان للقائه بمثل هذا العدد و التقى الجمعان خارج وهران بمكان يقال له "كدية الخيار "و دارت رحى المعركة بين الفريقين و انتصر المسلمون على الإسبان و قتلوا منهم مائة و ألف رجل ، كما غنموا غنائم ثمينة و استمرت المعركة ، تراجع الإسبان و المسلمون خلفهم ،إلى أن وصلوا إلى قبة "برج العيون "فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ،وكاد المسلمون ينتصرون لولا إستشهاد قائدهم الباي شعبان [2]، و من ذلك اليوم أصبح الناس يطلقون على كدية لخيار حي سيدي شعبان [3].

يذكر الآغا ابن عودة المزاري هته المعركة بقوله :" فغزى رحمه الله وهران وطالت به معهم الحروب و اتصلت عليهم بدولته أعظم الكروب و منعهم من الخروج و ضيق عليهم إلى أن صاروا في أحوج المحرج ولازموا بيوتهم و الحصون ،و صاروا لا يفارقون الجواسيس و العيون إلى اليوم الذي استشهد فيه حصل لهم الفرج و تنوية و تنزيه .و من خبره أنه زحف لهم في نحو أربعة آلاف فيهم نحو الثلاثة آلاف فارس و زحف النصارى مع مردة العرب و شياطينهم من بني عامر و قيزة و غمرة و كريشتل و غيرهم في أزيد من ثلاثة آلاف فيهم ألف خيل و الباقي راجلة" [4].

و يضيف قائلا :"و لما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب فجزّوا رأسه و علقوه بالباب و قد أخذ المسلمون الجثة و تركوا الرأس لما لم يقدروا على الرجوع إليه ،فرأى بعض النصارى بالليل النور يسطع عليه فأخبر بطريقهم ،و حينئذ بعثه للمسلمين ،فجعلوه مع جسده في الحين .. و يقال أن الذي قتله هو أحد المغطسين أبو نصابية من النصاصيب الذين منهم كل ضالم و فاجر أحد بطون أولاد عبد الله من بطون بني عامر و قيل غير ذلك" [5].

---

[1]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 144.

[2]: محمد بن ميمون الجزائري ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ش و ن ت 1981 ،ص 21 .

[3]: يحي بو عزيز ، موضوعات و قضايا ، مرجع سابق ، ص 99.

[4]: ابن عودة المزاري ،مصدر سابق ، ص 229 .

[5]: ابن عودة المزاري ، ص 230 .

و في 22 جانفي 1688 م ،قاد ابراهيم خوجة ،أو دولة إبراهيم كما تسميه المصادر الإسبانية حملة على وهران ،و انظمت إليه أغلب القبائل المحالفة مع الإسبان ،بينما فرت قبائل أخرى إلى المناطق الجبلية تجنبا للخطر [1]،و ضيق عليها الحصار ،و نصب المدافع المختلفة في مواجهة حصونها لكن التهديد الفرنسي للجزائر ،و تضييق المارشال ديستري عليها حول الجزائر العاصمة إلى نقطة خطر ،فاسترجع الديوان قِوى و آلات حرب إبراهيم خوجة ،استعدادا لمنازلة فرنسا [2]

[1]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 145 .

[2]:أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة ، مرجع سابق ، ص 406.

2- دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير وهران الأول سنة 1707 م :

ظلت وهران تحت الهيمنة الإسبانية ،التي غيرت معالمها الإسلامية ،و أصبحت بعد الإحتلال الإسباني لها، عبارة عن مدينة ذات طراز مسيحي في شمال إفريقيا ،و فشلت كل محاولات الجزائر لاسترجاعها و إعادتها لأصالتها العربية الإسلامية ،إلى أن تولى إدارة الجزائر ،الداي محمد بكداش سنة 1118 ه /1706 م ،و الذي تحمل مسؤولية طرد الإسبان منها ،و من المرسى الكبير ،و تحريرها بمساعدة صهره حسن أوزن [1].

و كان داي الجزائر قد توصل إلى إتفاق لإقامة السلم مع الإسبان في وهران و المرسى الكبير قبل تدخل مولاي إسماعيل في الغرب الجزائري ،عندئذ اعتقد قادة وهران أن الوقت قد حان لجمع الضرائب الدواوير المتخلفة عن دفع الضرائب و معاقبة دواوير أخرى لمقتل العديد من الإسبان ،هكذا خرج حاكم وهران في حملة استولى فيها على مائة و خمسين شخصا من أهالي المنطقة الغربية ،عندئذ اعتبرت الجزائر العملية الإسبانية هذه إعلان حرب [2].

خرج الباي مصطفى بوشلاغم بجيش كبير سنة 1704 م من مدينة معسكر تجاه وهران لمحاصرتها ،و قام الحاكم الإسباني بالمدينة بإجراء تعزيزات الدفاع و مقاومة الباي ،و لكن و في سنة 1705م أصبح الحصار فعالا ، و ازداد حدة في السنة الموالية ،و خلال تلك الظروف قام حسين خوجة داي الجزائر ،بعد ثورة اليولداش عليه ،بإنزال جيوشه على المدينة ،خاصة بعد أن تراجعت مداخيل بايلك الغرب المخصصة لخزينة الدولة من مختلف الموارد المهمة [3]،و قد سعى داي الجزائر حسين خوجة لفتح وهران سعيا محمودا ،بيد أن بعض الصعوبات قد اعترضت سبيله ،خاصة من قبل أربعة يولداش و محمد بكداش الذي أصبح في مكانه على هرم السلطة في 4 مارس 1707 م و أول ما قام به كان إرساله الداي المخلوع إلى بايلك الشرق مع كامل أفراد أسرته ،و قد وقع هذا الداي الجديد ضحية انتقام الداي السابق الذي كان قد نفاه إلى طرابلس الغرب ،و الذي عاد من منفاه بغية الثأر [4] .

أما عن الأوضاع في بايلك الغرب فإنه و بعد وفاة الباي شعبان أثناء محاصرته لمدينة وهران سنة 1686 م حل محله الباي يوسف المسراتي مصطفى الملقب ببوشلاغم ،لقد تربى الباي بوشلاغم في

---

[1] :Rachid Bourouiba ,Oran Histoire Politique , S N E D ,Alger ,1974 , p 81 .

[2]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 150 .

[3]:علي بن العيفاوي ، مرجع سابق ، ص 41 .

[4] : Emerit M ,Histoire de l’Afrique ,Op Cit , p 332 .

قصر الداي بكطاش خوجة داي الإيالة في تلك الفترة ،و كان الداي بكطاش يكن محبة كبيرة لبوشلاغم لذا إختاره أن يكون بايا لبايلك الغرب [1].

لقد عرف بايلك الغرب عهدا جديدا مع مجيئ الباي بوشلاغم سنة 1700 م ،حيث قام سنة 1701 بنقل مقر البايلك من مازونة إلى معسكر و ذلك لعدة أسباب ، منها كون بوشلاغم يبحث عن مقر يتوسط البايلك ، حتى لا تبقى قبائل الجنوب تعيش في تمرد و عصيان دائم و رفض مستمر لدفع الضرائب كما قام بعدة حملات ضد هذه الأخيرة فيما بعد من أجل إخضاعها [2].

كما أن الباي بوشلاغم هو أول من جمعت له الايالة الغربية بتمامها سنة ثمانية و تسعين و ألف الموافق لـ 1686 م و نقل كرسي المملكة من مازونة و تلمسان معا للقلعة ثم لمعسكر وجعلها قاعدته لكونها وسطا بين مازونة و تلمسان [3]، إضافة لكون مدينة معسكر ذات أهمية استراتيجية نتيجة تحكمها في المسالك التجارية ،كما تحيط بها قبائل بني راشد التي تميزت بتقربها من الحكم التركي ،كما أن إختياره لمدينة معسكر يعود لكونها تقع قريبة من مدينة وهران ،فهذا الإختيار يعود لتخطيط الباي لفتح مدينة وهران [4].

و كان باي الغرب مصطفى بوشلاغم ممعنا في مناوشة الإسبان عاقدا العزم على إستخلاص وهران منهم فوجد من محمد بكداش أذنا صاغية ،ووجد من الخزناجي ،وزيره و صهره ،أوزن حسن نعم المعين على تنفيذ ما اعتزم القيام به ،و أخذ القوم يستعدون لتحرير وهران ،و أرسلوا إلى كل الجهات الجزائرية يستحثون القوم على الجهاد ،و في هذا الصدد يقول الشيخ أبو زيد عبد الرحمن في شرحه للقصيدة الحلفاوية :" فإن الناس جاءوا إليه من كل فج عميق ،و انسلوا إليه من كل قبيل و فريق ...حتى إن الناس وفدوا إليه بخيامهم و عيالهم و اعتكفوا عليه الليالي و الأيام ....إن طلبة العلم و حملة القرآن كانوا أشد الناس مسارعة لإجابة دعوة السلطان إلى هذا الجهاد المبارك ...وكانوا بمحلة مستقلة عن غيرها ،و كانت شوكتهم على الكفار أقطع من الرماح ،و مرماهم أنفذ من الصفاح ،و سور جندهم يشد بعضه بعضا ،و كل واحد منهم يرى موته قبل أخيه فرضا ...وكان عددهم يزيد تارة على الألف و ينخفض عنه إلى السبعمائة ..." [5].

---

[1]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 21 .

[2] : Camile Kehl,Op Cit ,p 37 .

[3]: ابن يوسف الزياني ، مصدر سابق ، ص 275 .

[4]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 22 .

[5]:أحمد توفيق المدني ، حرب ،مرجع سابق ، ص 425 .

و يضيف الجامعي في رسالته المتعلقة بفتح وهران الأول ،أنه رأى في بعض دفاتر الباي ،أنه خرج على يد خليفة الباي ،مصطفى المسراتي نحو ثلاثة آلاف و ثلاث مائة قنطار من البارود ،و التحق به فرسان المخزن و متطوعين من شتى قبائل بايلك الغرب ،كل هذا إضافة إلى القوة المرسلة من العاصمة الجزائر و عموما بلغ عدد الجيش الذي سيق لفتح وهران حوالي ثمانية آلاف جندي [1].

و قد كان محمد بكداش على دراية تامة بأهمية اليولداش في حفظ الأمن ،و أنه من الضروري إحكام سيطرته عليهم ،و قد كان حصار بوشلاغم لمدينة وهران دافعا له في ذلك حيث قام بتجميع كل القوات الموجودة " 50 خيمة "[2] و إرسالها تجاه الغرب ،تحت قيادة صهره أوزن حسن ،الذي عين خليفة للباي في 15 جوان 1707 م ،كما كان هناك قسم ثان من القوات بكل عتادها ، و التي لم تتأخر في اللحاق به تحت أسوار المدينة [3].

أما الإسبان فقد استعدوا إعتمادا على الإمكانيات الذاتية ،إذ لم تكن إسبانيا قادرة على إنجادهم لأنها كانت تعيش حربا أهلية حقيقية في إطار الحروب الأروبية التي أعقبت وفاة شارل الثاني سنة 1700 م و المتعلقة بمن يتولى العرش الإسباني ،بحيث انقسمت إسبانيا بين أنصار شارل الثالث الهايسبورغي النمساوي وأنصار فليب الخامس البوربوني [4]،وكما يقول جون ب وولف فإن الأوضاع في إسبانيا " قد خلقت وضعا شجع على الهجوم على المدينة " [5].

لقد كان إسبان وهران في تلك الأثناء لا يزالون منذ مدة طويلة تحت قيادة الدون ب .إسبينوزا دو لوس مونتوروس(Don P.Espinosa de los Montoros)،كحاكم مستخلف ،ثم جاء بعده دون كارلوس كارافا (Don Carlos Carrafa) ،الذي استلم مهامه كجنرال لقيادة الدفاع الجديدة ،و قد وجد الإسبان أنفسهم محاصرين وراء أسوار المدينة ،و لم يكن لهم أي عون منتظر من الأهالي ،لأن بعض أتباعهم من بني عامر كانوا قد أصبحوا تحت إمرة بوشلاغم بعد سنة من الجهاد ،كما دعمت قبائل الدواير و العبيد المخزنيتين صفوف جيش الباي ،و ساهمت في

---

[1]: أبو زيد عبد الرحمن الجامعي ،فتح مدينة وهران ،نشر مختار حساني ،مخبر المخطوطات ،جامعة الجزائر ،2003 ، ص 22 - 23 .

[2] : الخيمة العسكرية العثمانية ، تضم 23 جنديا انظر في ذلك :

- Walsin Esterhazy , De la domintion ,Op Cit ,p 180 .

[3]: علي بن العيفاوي ،مرجع سابق ، ص 42 .

[4]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 150 .

[5]: جون ب وولف ، مرجع سابق ، ص 375 .

حصار وهران [1]،لذلك سارعت الحكومة الإسبانية إلى استبدال القائد "كرافا " بـ :"د .ميلشيور دو أفلاندا " (D .Melchior de Avellaneda) ،في الأشهر الأخيرة للحصار [2].

ابتدأ الجزائريون الهجوم أوائل سبتمبر 1707 م /1119 هـ و أول أمر قاموا به هو محاولة هدم مجاز الماء الذي يرد من الخارج إلى وهران ،و عليه برج العيون ،فدخلوا إلى ساحته من خندق حفروه و التحمت نيران أول معركة ،و كانت حامية الوطيس زحزح فيها الجزائريون الإسبان عن "رأس الماء " و حفروا حوله الخنادق حتى لا يعود إليه العدو ،و كان ذلك أول نصر في هذه المعركة [3].

ثم هاجم الأتراك حصن سانتاكروز الذي يشرف على كل من وهران و المرسى الكبير و لما استولوا عليه ركزوا نيران مدافعهم على الحصون و الأبراج الموجودة خارج المدينة [4]،قام حسن أوزن بإعطاء إشارة الهجوم على أسوار الجبهة الشمالية للمدينة ،لكن قواته كانت في مرمى قذائف الإسبان مما أوقع خسائر كبيرة في صفوف قواته ،الأمر الذي استدعى تجنب مثل تلك الخطط العسكرية .أما الخليفة حسن ،فقد قام بإقحام اليولداش في معركة تحت إمرته ،مما جعل هجومه المضاد يصمد أمام دفاعات الإسبان ،و يسمح له بالسيطرة على المدينة من خلال القضاء على سلاح المدفعية الإسبانية [5].

و في 21 يناير 1708 م استسلمت الحامية العسكرية الإسبانية للبرج الأحمر في سرية تامة ،بعد أن فقدت كل ذخيرتها و أرهقها الحصار المحكم ،و كانت في حدود 540 جنديا ،أصبحوا أسرى لدى العثمانيين ،بينما ما تبقى من الإسبان لجؤوا إلى المرسى الكبير ،و أعطيت الأوامر من اسبانيا بإرسال تعزيزات مهمة ذلك لأن سقوط وهران ولد شعورا مؤلما لديهم ،لذا قمدت ميليشيات من المتطوعين من إقليم "ميرسيا "(Murcia) ،و التي قامت بعملية إنزال في قرطاجنة عن طريق أسطول فرنسي ،لكن نيران مدفعية الجزائريين المتمركزة في الساحل ،منعتهم من الدنو من حصن المرسى الكبير [6].

و كان حصن المرسى الكبير معرضا لكل أنواع هجمات الجزائريين برا و بحرا ،و تطلب ذلك مدة ثلاثة أشهر من أجل إحكام السيطرة التامة على الحصن ،و في 06 أفريل تم فتح السور ،نتيجة

---

[1] :Rozzet et Carette ,Op Cit ,p 250 .

[2] :Ernest Mercier , Histoire de l’Afrique ,Op Cit , p 333 .

[3]: أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 427 .

[4]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 150 .

[5] : Ernest Mercier , Histoire de l’Afrique ,Op Cit , p 235 .

[6]: علي بن العيفاوي ، مرجع سابق ، ص 44 .

لنقص المؤن و الذخيرة على الحامية ،قرر الحاكم الإسباني الانسحاب ،بعد أن تحصل على ضمانات بإطلاق سراح الجميع و لكن المحاصرين تسرعوا و قاموا بقتل عدد منهم و الباقي أخذوا أسارى [1].

غنم الأتراك كل ما وجدوه في المدينة و المرسى الكبير و ساقوا أكثر من ألف و أربعمائة إسباني إلى مدينة الجزائر ، كما وقع نهب الأهالي الذين كانوا يقفون إلى جانب الإسبان و أصبح هؤلاء موضوع تجارة بأمر من الداي محمد بكداش [2]، بحيث يذكر المشرفي بأن هؤلاء الأهالي :" انقسموا الى ثلاث فرق ،فرقة منهم لجأت لحصن العدو و صارت تقاتل معه و تدافع بجهدها عنه ،و الحكم في هذه الفرقة إباحة مالها و دم رجالها و البالغين من ذراريها لمن ظفر بهم من المسلمين لكونها ردا و أما الصغار من الأولاد فلا يقتلون و لا يكونون فيأ للمسلمين و قد ذهب بعض الونازرة مع الإسبانيين بعد الفتح ،و فرقة منهم لجأت للمسلمين و صارت تقاتل معهم العدو ،غير أنها في الخفية تعلم العدو بأحوال المسلمين و تأمره بالثبات و تواعده بالرجوع عنده إذا وجدت السبيل ،و الحكم فيها أنها فرقة الزنادقة ،يقتل كل من اطلع عليه منها ...،و فرقة منهم تابت لله تعالى و أنابت من مولاة العدو و تركت الإعانة له ظاهرا و باطنا ،و ندمت على ما صدر منها سالفا ،و الحكم فيها انها واحدة من جماعة المسلمين " [3].

عقب فتح وهران الأول عمت الأفراح في كامل إيالة الجزائر بحيث يقول الشيخ أبو زيد في وصف هذه الأفراح التي تلت هذا الفتح المبين :" و لما أقبلت رسل البشائر و تليت صحف فتحها على الأمير ،و عم الخطاب بالفرح جميع المؤمنين بلسان التبشير ،أمر الأمير نصره الله (الداي محمد بكداش باشا) بصنع وليمة الفرح و عيده ،و تسريح من كان في هم و عيده (أي جماعة المسجونين) و تزيين سوق البلاد و تجديده .." [4].

بعد فتح المدينة إستقرت قبائل بني عامر بجبال تاسالة و منحت أراضيها المحيطة بمدينة وهران كمكافأة لقبائل الدواير و قبائل العبيد على الجهود المبذولة في هذا الفتح، بعد إسترجاع مدينة وهران أصبح بوشلاغم بايا لبايلك الغرب و نقل مقره من معسكر إلى وهران [5].

---

[1] : Ernest Mercier , Histoire de l’Afrique ,Op Cit , p 336 .

[2]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 151 .

[3] :Abdelkader El Mecherfi ,Notice Historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur Occupation d’Oran ,Traduit par Marcel Bodin ,R .A ,N 65 ,A.Jourdan Libraire-éditeur ,Alger, 1924, pp 219 -220 .

[4]:أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 432 .

[5]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 22 .

يعتبر عهد الباي بوشلاغم أول فترة تاريخية يعرف فيها بايلك الغرب تحرره التام لجميع أراضيه و ذلك منذ مطلع القرن السادس عشر ،تاريخ احتلال وهران من قبل الإسبان ،هكذا تولى الباي سيادة البايلك بأكمله في هذه المرحلة (1708 -1732 م) عرفت مدينة وهران انتعاشا ديموغرافيا ،كما عرفت التجارة قدوم تجار أجانب و إقامة قنصل فرنسي ،و شهدت المدينة إستراد كمية هامة من الأسلحة الفرنسية و الإنجليزية [1].

و بعد هذا الفتح بادر محمد بكداش بارسال هدية ثمينة إلى الباب العالي ،منها ثلاثة مفاتيح ذهبية المعدن ،و طلب من السلطان أن يتكّرم عليه بقفطان يلبسه صهره أوزن حسن كشعار لترقيته إلى رتبة باشا و لكن السلطان رفض هذا الطلب و لم يبعث بالقفطان [2].كما أن ادخال الضرائب قد تأخر دخولها إلى خزانة الدولة ،فصعب على الداي التعجيل بتأدية أجور الإنكشارية ،التي لم تطق صبرا على تأخير أجورها ،لاسيما حين بلغها الخبر بأن باي الناحية الشرقية قد جمع الضرائب و هرب ،فاستشاطت غضبا و ثارت على الداي و اغتالته في شهر مارس سنة 1122 ه /1710 م و جعلت مكانه رجلا من أسرها اسمه دالي ابراهيم و ألبسته قفطان الداي السابق محمد بكداش[3].

استمرت سلطة بوشلاغم على بايلك الغرب إلى غاية 1732 م ، حيث أن المدة الممتدة من 1708م إلى غاية 1732 م قام بوشلاغم بإنجازات هامة ،و من بين هذه الإنجازات نذكر الأعمال العمرانية الهامة التي انتفعت بها أهم مدن بايلك الغرب ،إضافة إلى ذلك تميز الباي بوشلاغم بمكانة ممتازة نتيجة الأعمال التي قام بها :و أهمها تحرير وهران و المرسى الكبير ،و لهذا الشأن العظيم كان خليفته محي الدين المسراتي هو الذي يقوم بإيصال الدنوش إلى العاصمة ،و من بين أعمال الباي بوشلاغم العمرانية العديدة نذكر منها على سبيل المثال :برج الترك الموجود بمدينة مستغانم ،إضافة إلى منشآت حضرية خاصة بمدينة مستغانم ،كانت جلها أوقاف ذات مداخيل هامة منها المحلات التجارية و الحمامات [4].

و عقب فتح وهران سجل لنا الشعر الجزائري العديد من القصائد تخليدا لهذا الفتح و مدح لمنقذيها من بينها قصيدة للشيخ أبو زيد عبد الرحمن التلمساني يقول فيها :

تَلَتْ رُسُلْ البَشَائِرْ يَوْم عِيدْ عَلْيِنَا سُورَةَ الفَتْحِ السَعِيدْ

---

[1]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 23 .

[2]:محمد بن ميمون الجزائري ، مصدر سابق ، ص 30 .

[3]: نفسه ، ص 31 .

[4]: الواليش فتيحة ،مرجع سابق ، 23 .

وَ قُلْ وَهْرَان يهنيكَ افْتِكَاكٌ ... وَ إِنقاذٌ مِنْ الأَسْرَ الشَديدْ
لَكَ الْبُشْرَى وَلِلإِسْلاَمُ أُخْرَى ... بِمَنعك مِنْ يد الكُفْر العَنيدْ
أَتَذَّكَر حَيْثُ كُنْتَ مُنَاخَ شِرْكٍ ... فَصرْتَ مَقَامَ شُكْرٍ لِلْحَمِيدْ
وَ كُنت مَقَامَ تَثْلِيثْ فَأَضْحَى ... يُقَرَّرُ فيك تَوحِيد الحَمِيدْ
جِزَى جَيْشُ الجَزَائِر كُل خَيْرٍ ... إِلَه الخَلْق ذُو المُلْكِ العَتِيدْ [1].

كما نضم الشيخ أبو عبد الله محمد التغيرلي أرجوزة لفتح وهران قال فيها :

الحَمْدُ لله الذَي قَدْ فَتَحَا ... وَهْرَان مِنْ أَيْدِي الرِجَالُ الصَلحَا
وَ قَهرَ القَوْمَ اللِئَامْ الفَجرَة ... وَ رَفَعَ الإِسْلاَم فَوْق الكَفَرَة
فِي مُدَة السُلْطَان فَخْرَ النَاسْ ... أَحْمَد خَاقَان أَبِي العَبَاسْ
يَا سَائِلاَ عَمَا بوَهْرَان ظَهَر ... مَنْ أَخَذَهَا وَ فَتَحَهَا كَمَا اشْتَهَر
سَنَة أَرْبَعْ وَ عَشَرَة مَضَتْ ... مِنْ بَعْد تسعُمَائَة قَدْ كَمَلَتْ
فَمِئَتَان مَعَ خَمْسَة سِنِينْ ... عَدَدُ مَكْثِهَا بِأَيْدِي المُشْرِكِينْ
ثُمَ بَعْدَ العَزْمِ مِنَ الإِلَهْ ... قَدْ جَاءِنَا الفَتْحُ بِنَصْر الله
فُتِحَتْ سَنَة تِسْعَةَ عَشَرَ ... وَ مَائَة مِنْ بَعْد الأَلْف تُعْتَبَر
فِي سَادِس العِشْرِينَ مِنْ شَوَال ... صَبِيحَة الجُمُعَة خذ مقالي
عَنْ يد مَنْ قَدْ صَيَر الجَزَائِر ... جَنَة كُلْ قَاطِنْ وَ زَائِر
مُحَمْد بَكْدَاشْ فَخْرُ الدَوْلَة ... وَ حَسَنْ صِهْرِه عَالِي الصَوْلَة [2].

---

[1]: أحمد توفيق المدني ،مرجع سابق ، ص 435 .
[2]: نفسه ، ص 440 .

3- إعادة إحتلال الإسبان لوهران سنة 1732 م :

كان وقع هزيمة الإسبان في وهران و المرسى الكبير ،و إستيلاء الجزائريين على المدينتين عظيما قاسيا مؤلما لا في إسبانيا وحدها ،بل في البلاد المسيحية جمعاء ،و أخذ الإسبانيون منذ تلك الساعة يفكرون في الجولة الثانية ،و يستعدون لها ،و يستفزون شعور الإسبان و المسيحيين من أجل بذل النفس و المال ،للأخذ بالثأر من المسلمين ،و إرجاع وهران و المرسى الكبير ،كنقطة انطلاق لإسبانيا و للمسيحية جمعاء [1].

و كان الإسبان قد فقدوا وهران و المرسى الكبير سنة 1708 م في ظروف الحروب الأروبية التي أخذت طابع الحرب الأهلية في إسبانيا ،فلم يكونوا قادرين على استعادة الموقعين سريعا ،ظلوا ينتظرون الفرصة المواتية لذلك ،بعد معاهدة أوتريشت الموقعة سنة 1713 م بين فرنسا و إسبانيا و إنجلترا و هولندا ،المعاهدة التي وضعت حدا لحرب الخلافة ،بدأ الملك الإسباني فيليب الخامس يحضر لإعادة إحتلال وهران و المرسى الكبير مجددا ،و لما أكمل إستعداداته أصدر بيانه الشهير في 6 جوان 1732 م ،البيان الذي عبر فيه عن إعادة إحتلال المدينة و المرسى [2] .

و بعد أيام قليلة من إعلان هذا البيان ،كان أسطول الغزو مهيأ للإنطلاق من ميناء أليكانت [3] وكان يتكون من 25 ألف جندي من المشاة و 3 آلاف من الفرسان ،تحت قيادة الكونت "مونتيمار " (Mortemart) ،الذي كان يرافقه ضباط أكفاء هم أحسن ضباط إسبانيا في ذلك الوقت [4]،تحسبا لمقاومة قوية ،أرفق الإسبان حملتهم بمستشفى يسع ألف مريض أو جريح و كل ما يلزم من ذخيرة و مؤونة تعرضوا في الطريق إلى رياح قوية عطلت وصولهم إلى السواحل الجزائرية إلى أواخر جوان، و في 28 منه رست سفنهم في الخليج الواقع بالقرب من رأس فالكون [5] .

و كان الجيش العثماني يتراوح ما بين 10 إلى 12 ألف جندي من المشاة و الفرسان،من بينهم الأهالي [6] ،تحت قيادة مصطفى بوشلاغم ،و بعد مناوشات متلاحقة تمكن قسم من الجيش الإسباني من دفع مشاة و خيالة الأتراك ثم تسلق الجبل المهيمن على المرسى الكبير فاستقر بعين أو

---

[1]: أحمد توفيق المدني ، حرب ،مرجع سابق ، ص 443 .

[2]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 156 .

[3] :Ernest Mercier , Histoire de l’Afrique ,Op Cit ,p 173 .

[4] :Ibid ,p 174.

[5]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 156 .

[6] :Grammont (H de) , Histoire d’alger,Op Cit ,p288 .

ينبوع هناك و في 30 جوان أنزلت المدفعية و الذخيرة بالقرب من المرسى الكبير ،في هذه الأثناء أخبر القنصل الفرنسي عن طريق شخص يوناني الإسبان بأن الباي مصطفى قد غادر وهران في الليلة السابقة ،سار الكونت مونتيمار إليها يوم الفاتح من شهر جويلية و دخلها فلم يجد فيها سوى خمسة شيوخ ، لم يتمكنوا من الفرار و في اليوم الموالي استسلمت الحامية التركية في المرسى الكبير ،و كانت تتكون من سبعة و تسعين إنكشاريا و لم يفقد الإسبان في حملتهم هته سوى ثمانية و خمسين قتيلا و خمسة و ثمانين جريحا [1]. و يذكر أن داي الجزائر كور عبدي رفض إمداد مصطفى بوشلاغم في مواجهته للإسبان في وهران ،لذا ثار عليه كبار رجال دولته و تركوه دون طعام مدة ثلاثة أيام حتى وفاته ،و خلفه صهره بابا إبراهيم [2] .

غادر الكونت دي مونتمار مدينة وهران يوم 30 جويلية إلى المرسى الكبير و منه إلى مالقا و ترك قيادة المدينة و المرسى الكبير للمركيز دي سانتا كروز ،و في هذه الأثناء وصلت إمدادات الداي التي كانت تتكون من ألفي رجل يقودهم إبنه،و جدت المدينة قد اخليت و الإسبان قد سيطروا عليها ،عندئذ انضمت إلى قوات الباي.

وكان المسلمون عند انسحابهم من وهران قد تركوا بها كل مدافعهم ،فلم يأخذوا معهم إلا الأسلحة الخفيفة ،و رابطوا في الجبال المخيمة على المدينة مضيقين عليها الحصار فلم يستطع الإسبان التحرك إلى الداخل ،و استمرت المعركة حامية الوطيس مدة سنة تقريبا ،ففي يوم 4 أكتوبر حال المجاهدون بين الإسبان و بين حصن سانتاكروز ،فما استطاعوا تموينه إلا بعد معركة حامية وخسائر كبيرة [3].

و في 21 نوفمبر نظم المركيز دي سانتاكروز خرجة على رأس مائة رجل و مجموعة هامة من الضباط بهدف دفع الأهالي بقوة و تخريب خنادقهم التي منها كانوا يحكمون الحصار على المدينة استولى على ثلاثة مدافع من مدافعهم ،ثم لاحقهم غير أنه تردد أمام أعدادهم الغفيرة التي كانت تضم العديد من المشاة و أكثر من عشرة آلاف فارس ،انقلب الأهالي على الإسبان بقوة فقتلوا منهم عددا كبيرا و شتتوا شملهم فحلت الفوضى بينهم ،الأمر الذي جعل المركيز و العديد من ضباطه

---

[1]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 156 .

[2] :Henri Garrot ,Op Cit ,p 567 .

[3]: أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 448 .

يسقطون تحت ضربات الأهالي الذين لاذوا بالفرار إلى وهران ،لولا وصول فرق جديدة من إسبانيا في هذا الوقت بالذات لوقع مالا يرضاه الإسبان و قادتهم[1] .

و في الوقت الذي تواصل فيه حصار وهران من طرف الأتراك و الأهالي ،أرسل الداي وفوده و سفنه إلى أقاليم الإمبراطورية العثمانية يوم 19 ديسمبر 1732 م لتجنيد مجموعات جديدة من الإنكشاريين ،و لكن رغم ما جنده الأتراك من أهالي و من جنود فإنهم لم يحققوا تقدما ضد الإسبان بحيث و في 10 ماي نظم المركيز دي فيلا دراياس خرجة لفك الحصار المضروب على الموقعين الإسبانيين ،غير أنهم لم يتمكنوا من دفع المحاصريين و ذلك لأن بني عامر حلفاء الإسبان القدامى كانوا قد انظم بعضهم إلى الأتراك ،فلحقت المهاجمين هزيمة كبية ،فقدوا ثمانمائة رجل من رجالهم عندئذ اضطرت إسبانيا إلى خلع المركيز و تعويضه بآخر إسمه فاليجوا [2].

و في سنة 1734 م هاجم بوشلاغم مركز العيون حول وهران بشدة و بعنف ،ووصل إلى أبواب المدينة و لكنه لم يتمكن من إحتلالها [3].

عاد الإسبان إلى تكوين فرقة المغطسين سنة 1734 م ،و هي الفرقة المتكونة من الأهالي الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الإسبان ،ظل الإسبان يسيطرون على وهران و المرسى الكبير إلى ما بعد الثورة الفرنسية لكن حكمهم خلال القرن الثامن عشر يختلف عن حكمهم السابق ،فلم يعودوا قادرين على تنظيم الغزوات إلى أعماق البلاد و غدوا يعتمدون في تموينهم على ما يأتي من إسبانيا عن طريق البحر[4] ،بحيث أصبح الأتراك يهيمنون على الأقاليم التي كانت تابعة للإسبان ،بإستثناء الأراضي الواقعة في جهة السيق التي كان يزرعها أفراد حميان و سكان كريشتل و الأراضي الواقعة بين ساسل ووهران ،و التي كان يشغلها أفراد شافع و دواوير غمرة ،ظلت الوضعية كذلك إلى غاية الإنسحاب الثاني و النهائي سنة 1792 م [5].

يقول فاليجو في هذا الخصوص :" أصبحنا الآن أقل أمن من قبل سنة 1708 م ،بحيث قبل هذا التاريخ كان الأهالي و الأتراك يعتبرون وهران كقلعة محصنة ، لم يستطيعوا الإستلاء عليها قبل ذلك التاريخ و لكن بعد إستلاء الأتراك عليها ذهبت هذه الفكرة و تلاشت " [6].

---

[1]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 157 .

[2]: نفسه ، ص 157 .

[3]: أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 448 .

[4]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 157 .

[5]:نفسه ، ص 310 .

[6] :Valléjo ,Op Cit ,p 353.

و لكن هذا لا يعني أن الإسبان توقفوا عن شن الغارات على القبائل المجاورة ،بل واصلوا عملهم هذا على القبائل إلى غاية عهد الباي محمد الكبير ، و ما يثبت ذلك ،ما ورد في الرسالة الرابعة لعام 1785 م باللغة الإسبانية من الوزير الأول الإسباني "فلوريدا دي بلانكا " Florida De) Blanca) ،إلى باي معسكر محمد بن عثمان و مفادها أن الوزير الإسباني سيكتب لحاكم وهران ليأمره بعدم مهاجمة سكان الضواحي المسلمين ما دام قرر الباي عدم مهاجمة وهران [1].

كذلك هناك رسالة بالإسبانية من الكوندي دي فلوريدا إلى باي معسكر ،أخبره فيها بأنه سر بقراره عدم مهاجمة وهران و طلب منه أن يعمل على تخطيط الحدود بينها و بين بايلكه ،و أكد له بأنه سيكتب لحاكم وهران و يأمره بعدم مهاجمة سكان الضواحي المسلمين [2].

أيضا ما ورد في الرسالة السادسة و العشين لملف عام 1786 م ،بالغة الإيطالية ،من علي خزندار إلى الوزير الأول الإسباني بتاريخ 15 نوفمبر 1786 م ،مبرّرا له فيها هجومات نفذها الباي ضد مدينة وهران قائلا له :"أن الإسبان هم الذين هاجموا سكان الضواحي بقذفات مدافع و قتلوا واحدا منهم ،فردوا عليهم في إطار الدفاع عن النفس" [3].

---

[1]: يحي بوعزيز ،المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780 - 1798 م)،د .م .ج ،الجزائر 1993 ، ص 61 .

[2]:نفسه ، ص 61 .

[3]: نفسه ، ص 94 .

5- الوضع السياسي لبايلك الغرب :

مكث الباي مصطفى بوشلاغم بمدينة مستغانم مدة خمس سنوات ،كباي لبايلك الغرب و توفي سنة 1149 ه /1737 م ،بعد أن عانى من مرض ألم به ،ودفن في حميدة العبد ،و أقيم على ضريحه قبة أصبحت مسجدا فيما بعد ،[1] و قد خلف يوسف أباه مصطفى بوشلاغم ،على رأس البايلك بأمر من الباشا مصطفى تساكالالي ،من تساكالا بإقليم الأناضول ،و قد أعطى أمرا ليوسف بنقل مقر البايلك إلى مدينة معسكر بصفة نهائية [2].

و لم يكن الباي يوسف في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه ،مما جعل محي الدين المسراتي الذي كان خليفة له يقوم بتسيير شؤون البايلك ،و عندما توفي داي الجزائر ،كان محمد مانامان قد وصل إلى منصب خليفة باي الغرب عن طريق دعم الميليشيا له ،و كذلك الباشا و قد تفطن الباي يوسف لدسائس خليفته ،ففر إلى تلمسان ،و ثار ضد الحكم القائم ،فقام كل من الحضر و الكراغلة بقتل قايد المدينة و حكموها مدة سنة 1150 ه / 1738 م ،و في تلك الأثناء محي الدين المسراتي ،الذي رفض الحكم ،و تنازل عنه لولده توفي الباي يوسف بداء الطاعون و خلفه مصطفى الأحمر ،و قد بقي مقر البايلك في مدينة معسكر دائما[3] .

استمر مصطفى الأحمر في الحكم مدة عشر سنوات ،أي إلى غاية 1748 م حيث قتل من طرف عائلة زوجته ،علما أن جلّ بايات الغرب الذين تربعوا على عرش البايلك بعد يوسف بن مصطفى بوشلاغم كانت تربطهم علاقات القربى بالباي بوشلاغم عن طريق بناته ،و حفيداته ،لقد دفن مصطفى الأحمر المسراتي بمدينة مستغانم بقبة بوشلاغم ،حيث كانت لهم أحباس هامة تتمثل في منازل و حدائق وحوانيت يشرف عليها إمام يدير شؤونها لصالح الحرمين الشريفين [4].

جاء بعد مصطفى الأحمر المسراتي القائد الملقب بقائد الذهب المسراتي ،و سمي بذلك الإسم لكثرة كرمه ،كما يقال له باي المحال[5] ،شهد البايلك خلال فترة حكمه استقرارا سياسيا مدة ثلاث سنوات 1748 - 1751 م .و نظرا لشدة المعارضة من قبل أبناء المسراتي ،و خوفه من باشا الجزائر فر قايد الذهب من مدينة معسكر طالبا اللجوء إلى الإسبان بمدينة وهران ،حيث استقبلوه بحفاوة

---

[1]: علي بن العيفاوي ،مرجع سابق ، ص 45 .

[2] : Henri Garrot ,Op Cit ,p 174 .

[3] : Walsin Esterhazy , De la domintion ,Op Cit ,p175 .

[4]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 24 .

[5]: المحال: قبائل عربية كانت متمركزة خاصة حول تنس ،مازونة و معسكر .

و منحوه قصرا للإقامة فيه ،و مجموعة من العبيد و الخيل و الأسلحة ،هذا الأمر جعل باشا الجزائر يقوم بتعيين محمد العجمي بايا على معسكر ،و الذي اغتيل بدوره بعد حكم دام تسعة أشهر ،مما حدا بالسكان إلى تسميته بباي الجدة [1]، قام باشا الجزائر بتعيين عثمان بايا على معسكر ،و حاول الباي السابق قايد الذهب استعادة منصبه بالقوة ،فطلب مساعدة قبيلة المحال ،مقابل تقديم ثروته لهم ،لكنهم خذلوه عند أسوار مدينة مليانة ،معللين ذلك بأنه شخص غير جدير بمساعدتهم ،و مالوا إلى الباي عثمان الذي أحسن إليهم ،وكافأهم على صنيعهم ،بينما فر قايد الذهب إلى تونس ،حيث استقبله بايها بحفاوة و كافأه ،و جعله تحت حمايته إلى غاية وفاته [2].

تمكن الباي عثمان من القضاء على التمرد الذي كان في مدينة تلمسان ،و تمكن من أسر قائدها رجم البجاوي ،و بقي الباي عثمان في الحكم مدة تسع عشرة سنة إلى غاية وفاته سنة 1183 ه /1771 م ،و دفن في مدينة معسكر ،و خلفه الباي حسن ،الذي حكم مدة ثلاث سنوات 1771-1774 م [3] .

و أثناء تأدية الباي حسن لعملية إيصال الدنوش إلى العاصمة و أمام غضبه من الإستقبال الذي حظي به و خوفا من الإنتقام فر إلى تلمسان ،ثم إلى وهران ثم إلى إسطنبول ،و جاء بعده سنة 1774 م إبراهيم الملياني ،و في هذه الفترة عرف البايلك مرحلة هدوء ،لأن عهد الإضطرابات وضع له حد منذ أن خمد صوت المحال [4].

شهدت مدينة الجزائر في فترة حكم الباي إبراهيم الملياني ،حملة إسبانية بقيادة الإيرلندي "أوريلي" (Oreilly)سنة 1188 ه /1775 م [5]، و أُعلن الجهاد في كل أرجاء البلاد ،و تم إنزال عشرين ألف جنديا إسبانيا في وادي الحراش ،حيث فشلت فشلا ذريعا ،و قد أرسل الباي إبراهيم خليفته محمد بن عثمان للمشاركة في الدفاع عن مدينة الجزائر[6] ،كما شاركت قبائل جرجرة و قبائل فليتة في المقاومة [7].

---

[1] :Henri Garrot ,Op Cit ,p177.

[2]: علي بن العيفاوي ، مرجع سابق ، ص 47 .

[3]: مسلم ابن عبد القادر ،مصدر سابق ، ص 31 .

[4]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 25 .

[5] :Charles De Rotalier ,Histoire D'alger et de la piraterie des turcs dans la méditerranée ,édition Paulin ,T2 ,Paris , 1841 , p584 .

[6] :p Clausolles ,Op Cit , p 198

[7]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 70 .

و قد أبدي خليفة باي الغرب محمد بن عثمان شجاعة كبيرة في محاربة الإسبانيين ، **و قد وصفه** ابن رقية التلمساني في زهرته النائرة **بما يلي :"..و لأن الخليفة كان ذا شجاعة عارفا بمكائد الحرب و مقتحما لأهواله ،شديد البأس ،له جرأة على الإقدام على العدو ...وكذلك خليفة الغرب** السيد محمد بن عثمان وقف في ميدان القتال وقف الرجال ،و ظهرت منه علامة الأبطال ،و يبذل المال قبل السؤال ،و شاع صيته بإجراء شجاعته في ذلك اليوم "[1]**، عندئذ نشأت بفعل ذلك علاقة طيبة بينه و بين باشا الجزائر ،فعينه بعد وفاة باي الغرب إبراهيم سنة 1197 ه /1783م كخليفة** للباي حاجي خليل ،الذي خلف الباي إبراهيم على رأس البايلك ،و الذي توفي في مدينة معسكر مما سمح لمحمد بن عثمان المجال لأن يصبح بايا على بايلك الغرب بمدينة معسكر[2] **.**

بقيت وهران و المرسى الكبير تحت حصار ضيق ،و معارك تكاد تكون مستمرة و متوالية [3]،إلى غاية فتحها من قبل العثمانيين على يد الباي محمد بن عثمان ،باي معسكر [4]**.**

[1]:ابن رقية التلمساني ،"الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة "**، تحقيق سليم بابا عمر ،نشر بمجلة** تاريخ و حضارة **المغرب ، العدد 03 ،1967 ،ص 26 .**

[2] : Grammont (H De) , Histoire d’Alger ,Op Cit ,p 186 .

[3]: أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة **،مرجع سابق ، ص 448 .**

[4]: عدة بن داهة ،معسكر عبر التاريخ ، **دار الخلدونية ،الجزائر، 2005 ، ص 52 .**

5– دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير وهران الثاني :

في سنة 1779 م أصبح محمد بن عثمان- الذي لقب فيما بعد بالكبير- بايا لبايلك الغرب و رغم الصعوبات التي واجهته المتمثلة في المجاعات و الأمراض ،خاصة الطاعون سنة 1786م و الكوارث الطبيعية بصفة عامة إلا أنه بذل جهودا خلدت إسمه ،بصفة عامة اتصف الباي بصفات القوة و الشجاعة [1] إذ يذكر الخزندار الفرنسي الجنسية "تيدينا "بأن الباي محمد الكبير كان فقيها و ضليعا في القانون ،له قدرة على حسم أعقد القضايا في وقت وجيز جدا في حين أنها تحير أكبر القضاة المتنورين[2] .

شرع الباي محمد بن عثمان في إثبات قدرته على تسيير بايلك الغرب ،و سعى إلى التجاوب مع النهضة التي أخذت تحياها إيالة الجزائر ،في مختلف مقاطعاتها الإدارية ،دار السلطان بقيادة الداي محمد بن عثمان باشا ،و بايلك الشرق بقيادة صالح باي ،و بايلك التيطري بقيادة الوزناجي باي ،و لا يتم ذلك إلا بقوة ديوانه و إدارته ،و جهازه القضائي و العسكري [3].

تمكن الباي بفضل حنكته العسكرية و خبرته الحربية أن يظفر بثقة جيشه و ديوانه و قبائل الغرب الجزائري و الحكم المركزي و يحقق انتصارات ضد القبائل العاصية و العدو الإسباني و أعوانه حتى صارت القوة و الغلبة أحد صفاته ،فكان ابناء عصره يعلمون في كل منازلة عسكرية يقوم بها الباي ،أن الدائرة تكون له على غيره لثبوتها له في سائر المواطن [4] .

منذ أن أعاد الإسبان إحتلال مدينة وهران سنة 1732 م ، لم يشهد بايلك الغرب حربا عظيمة ضعضعت أركان الإسبان بالثغرين [5]،و كل ما في الأمر أن بايات الغرب المتعاقبين اكتفوا بإزعاج الإسبان بغارات فجائية متقطعة زمانا و مصحوبة بكمائن ،و لم يبادر الحكم المركزي إلى تجهيز قوة عسكرية برا و بحرا لمهاجمة مدينة وهران بالتعاون مع باي الغرب مثلما فعل الداي محمد بكداش بالتنسيق مع الباي مصطفى أبو الشلاغم سنة 1708 م ،و حتى في صلح 1786 م بين

---

[1]: الواليش فتيحة ، مرجع سابق ، ص 26 .

[2]: أحميدة عميراوي ،الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا) ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر ،2009 ، ص 53 .

[3]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 73 .

[4]:ابن سحنون الراشدي ،مصدر سابق ، ص 316 .

[5]: نفسه ، ص 110 .

الجزائر و إسبانيا ،علّقت قضية وهران و ألقى الداي محمد عثمان باشا أعباءها على عاتق الباي محمد بن عثمان الكردي [1].

هناك العديد من الأسباب أدت إلى تأخير فتح مدينة وهران ،أهمها تقاعس على مستوى الحكم المركزي ،بحيث أنه و بعد عودة الإسبان لوهران و المرسى الكبير حاول بايات الغرب الجزائري تحرير هذين الثغرين ،و لكن لم يكن هناك تنسيق مع الحكم المركزي بالجزائر ، إلى أن الباي محمد الكبير قد أدرك حقيقة هذا التهاون ،و أدرك أن البايات السابقين كانت تنقصهم قوة التنظيم و الإنفاق المالي على الجهاد و قوة العزم و الإقدام و كذا القوة العسكرية و التعبئة الشعبية ،بحيث أن القبائل المخزنية يمكنها تجنيد العديد من المقاتلين ،و عندئذ لا يحتاج الأمر إلا إلى إستنهاض الهمم على جميع المستويات ،و التخطيط لحرب شعبية منظمة [2].

أما ابن زرفة فقد ذكر بأن تأخير الفتح ما هو إلا تقاعس عن الجهاد الذي فسره بأنه خلود أهل السيف إلى حياة الدعة و الأمان أي ضعف الفعالية القتالية لدى الجنود و الفرسان ، أما العامة أو القبائل المخزنية فلم تبال بوهران و المرسى الكبير و تنصّلت من مسؤولياتها ،فمن الناس من ترك الجهاد رغبة في الدنيا ،و منهم من جزع من القتل و الهلع و الإنفاق ،و منهم من كان يجهل ما في الجهاد من الثواب الجزيل [3].

منذ أن اعتلى الباي محمد بن عثمان الكبير منصب بايا للغرب الجزائري ،وضع نصب عينيه قضية وهران و مسألة طرد الإسبان منها .[4]

في بداية الأمر كان الباي محمد الكبير يقصد الثغر الوهراني بقصد الرباط ،أي الملازمة في سبيل الله أصلها من ربط الخيل ،ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا ،و يطلق على علماء الدين خصوصا الفقهاء المتصوفين على الأمكنة التي تنشأ في المواقع الحربية ،لحماية البلاد و حراستها من هجومات الأعداء [5]،و أصل الرباط في القرآن قوله سبحانه و تعالى :" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

---

[1]:بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 111 .

[2]: نفسه ، ص 112 .

[3]:ابن زرفة أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، الجزائر ، الجزء الأول ، رقم 3322 ،ورقة 07 (ظ) .

[4]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 105 .

[5]: المهدي البوعبدلي ،الرباط و الفداء في وهران و القبائل الكبرى ،مجلة الأصالة ،عدد 13 ، 1973 ، ص 20 .

مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ "[1].

وقد ورد في فضل المرابطة والحراسة في سبيل الله أحاديث كثيرة: عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سَوْطِ أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرَوحة[2] يروحها العبد في سبيل الله أو الغَدوة[3] خيرٌ من الدنيا وما عليها " رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم [4]، وعن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن من الفُتّان[5]" رواه مسلم.[6]

لقد كانت وهران قبل الإحتلال الإسباني تتوفر على عدد من الرباطات التي يرابط فيها العلماء و الطلبة للتعبد ،و الحراسة و الدفاع عن البلاد و العباد و منها :

- رباط قصر الأمحال (القصر الأحمر) :يقع شمال شرق وهران ،على الضفة الشرقية لوادي الرحى أقيم فوق ربوة عالية تطل على البحر و على الجهة الشرقية للمدينة ،مما يتيح للمرابطين فيها التعرف على كل ما يجري برا و بحرا .
- رباط صلب الفتح : يقع على شاطئ البحر بين وهران و المرسى الكبير ،كان الناس يرابطون فيه للدفاع عن المدينة ضد الهجومات التي تأتي من البحر .

أما الرباطات التي استحدثت بعد الإحتلال الإسباني فهي كثيرة و لعل أشهرها :

- رباط إفري :و مكانه اليوم "حي رأس العين "غرب المدينة على الضفة الغربية للوادي .
- رباط جبل المائدة :يقع على قمة الجبل المطل على وهران غربا .
- رباطات :سيدي معروف ،و البريدي ،و تانسالت ،و وادي مسرغين [7].

---

[1] سورة الأنفال ، الآية 60 .

[2]: الرَوحة :بفتح الراء ،هي المرة الواحدة من المجيء .

[3]: الغَدوة :بفتح العين ، هي المرة الواحدة من الذهاب .

[4]:الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ،الترغيب و الترهيب ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، ط 1 ،المجلد 2 ، الرياض ، 2004 ، ص 519 .

[5]: الفُتّان : و هما منكر و نكير اللذان يفتنان المقبور .

[6]: نفسه ، ص 520 .

[7]: يحي بوعزيز ،دور العلماء و الرباطات في تحرير مدينة وهران من أيدي الإسبان ،مجلة دراسات مغاربية ،1988، عدد 1 ص 107- 110 .

وفي هذا الخصوص أورد تيدينا بان الباي محمد الكبير كان يقصد وهران كل شهر رمضان من كل سنة فيقابل بمدفعية الحصون التي كانت تخلف قتلى و جرحى في صفوف جنوده [1]، كما انه كان يستأذن الداي و الديوان بمدينة الجزائر مرات عديدة لقتال الإسبان و اقتحام أسوارهم و لكنهم لم يسمحوا له بذلك و اكتفى في المقابل بمباشرة حرب استنزاف اعتمدت على رباط مؤقت في ضواحي وهران ،تتخلله عملية نصب الكمائن و نسج المكائد للإسبان و المغاطيس الذين كانوا يشاركون الإسبان في شن الغارات و الهجمات على سكان ضواحي وهران [2].

استمر محمد بن عثمان محاصرا لوهران ،و مواليّا حملاته الصادقة ضدها على رأس المجاهدين بصفة لا تكاد تنقطع ،و أرغمهم سنة 1780 م على قبول معركة خارج أسوار المدينة ،نكبهم أثناءها نكبة عظيمة و والى أعماله بصفة مستمرة إلى يوم 14 سبتمبر 1784 م ،حيث تمكن من قطع مجرى الماء الذي يسقي المدينة [3].

توقفت حرب الإستنزاف إثر توقيع معاهدة الصلح في جوان 1786 م ،عندئذ بادر الباي محمد الكبير إلى إخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي ،كما أخضع بعضهم في المخزن [4].

و في سنة 1786 م وقعت مناوشات بين القبائل العربية و الإسبان بضواحي وهران ،عندئذ قرر الباي حصار وهران ،دام هذا الحصار إلى غاية سنة 1791 م [5].قام الباي محمد الكبير خلال هذا الحصار بجمع القبائل للرباط حول ضواحي وهران يوميا إلى غاية تحقيق الفتح [6]،ووقع إختياره على مدير المدرسة المحمدية محمد بن عبد الله الجلالي فعينه رئيسا للرباط و عين له مساعدين هما القاضي الطاهر بن حواء و كاتبه الخاص –كاتب الباي –محمد المصطفى بن زرفة الدحاوي [7] متخذا في ذلك العديد من الإجراءات في أغلبها إغرائية أهمها :اسقاط المطالب المخزنية على المرابطين و تزويدهم بالعدة و الخيل و غيرها و تقسيم الغنائم على المرابطين [8].

---

[1]: أحميدة عميراوي ، مرجع سابق ، ص 50 .

[2]: بلبروات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 114 .

[3]: أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 487 .

[4]: أحمد بن هطال التلمساني ،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ،تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم ،عالم الكتب ،1969 ، ص 17 .

[5]: يحي بوعزيز ، المراسلات ،مرجع سابق ، 94 .

[6]: يحي بوعزيز ،دور العلماء و الرباطات ،مرجع سابق ، ص 107 .

[7]: ابن سحنون الراشدي ،مصدر سابق ، ص 62 .

[8]: يحي بوعزيز ،دور العلماء ، مرجع سابق ، ص 108 .

إعتمد الباي في حصاره لوهران على بعث السرايا[1] دوريا و نصب الكمائن للعدو ،و في هذا الخصوص يذكر ابن سحنون الراشدي "...أن الأمير أيد الله رفعته و خلد منعته لم يزل منذ ولي يتحيل على الظفر بالكفرة و ينصب لهم المكائد و الخدع الشبيهة بالأشراك التي تنصب للكثير ليقبض، فتارة يوجه لهم المهرة بالسباحة في البحر فيبيتون من قدروا عليه منهم في بيوتهم و يأتونه برؤوسهم ،و تارة يرصد لهم الكمين قرب أسوارهم حتى يظفروا بهم ،و تارة تحمل عليهم طلائع جنوده فيتخطفونهم ...و تارة يتخطفونهم من مسارحهم و محتطبهم و مزارعهم و مواضع اصطيادهم برا و بحرا و محارسهم إلى غير ذلك " [2].

منذ نهاية شهر أوت 1790 م ،و قع بمدينة وهران العديد من الهزات الأرضية ،توقفت حينا في منتصف سبتمبر إلى غاية أول أكتوبر ،و تجدد في ليلة 8-9 أكتوبر 1790 م ،بشكل عنيف ،على الساعة الواحدة ليلا ،و قبل حدوث هذا الزلزال هبت عاصفة هوجاء [3]، دام هذا الزلزال الزلزال ثلاث دقائق ،ثم انقطع ليتجدد مرات عديدة يوم السبت [4].

و قد ذكر ابن زرفة أن هذا الزلزال وقع "في جوف ليلة التاسع و العشرين من محرم سنة خمس و مائتين و ألف (1205 ه) "[5] ، بينما يذكر ابن سحنون أن " الزلزلة وقعت ليلة السبت الأولى من صفر سنة خمس و مائتين و ألف هجرية بعد مضي سبع ساعات و نصف من الليل " [6].
[6].

بلغ عدد ضحايا الزلزال سبعة آلاف (7000) قتيل ،و أربعة آلاف بقوا تحت الأنقاذ ،كما بقي عشرون جنديا من فيلق في ثكنة القصبة القديمة في وهران ،و هلك الحاكم الإسباني للمدينة Don Nicolas Garcia ( )و لم يعثر على جثته ،و تم تعيين حاكم جديد للمدينة يدعى le Comte) Gumbre Hermozo)،و تحطم أكثر من نصف المدينة [7]،كما إلتهمت النيران بعض السفن و أماكن أخرى و مما ذكره قائد الجيش الإسباني في تقريره للملك ما يلي :

---

[1]: السرايا :جمع سرية و هي طائفة من الجيش تتكون من خمسة إلى ثلاثمائة مقاتل مهمتها الإغارة أو ملاقاة العدو .
[2]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 197 .

[3] :Fey ,Op Cit , p 233 .
[4] :Ipid ,p 234 .

[5]: ابن زرفة ،م م و ج ، مصدر سابق ، ورقة 8 (ظ) .
[6]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 211 .

[7] :P Clausolles ,Op Cit ,p 199 .

"إن بعض الرجال الذين لا أخلاق لهم ،من أصحاب الحياة السافلة (من إسباني وهران)قد اغتنموا فرصة هذه الحادثة ،فأمعنوا في نهب الديار الغنية بصفة أفضع مما لو كان العدو هو الناهب و لم يبق للمستعمرين البائسين أي شيء مطلقا ،و رغم القسوة التي قابلنا بها هذه الأعمال اللصوصية ،و العقاب الصارم الذي أنزلناه بمرتكبيها ،فإن الأشقياء لم يرتدعوا أصلا و استمروا في أعمال النهب و السلب " [1].

و لما بزغ الفجر هرع الأهالي إلى المرتفعات المجاورة لوهران يترقبون الفرصة لغزوها ،نظموا هجمات ليلية على نقاط مختلفة غير أنهم لم يحققوا شيئا على الرغم من مقتل عدد كبير من الجنود الإسبان بفعل الزلزال فلم يبق منهم إلا حوالي 1500 جندي [2].

و كان المرابطون المحاصرون قد أطلقوا ألسنتهم بالأقوال المؤثرة ،و رددوا أخبار التاريخ و فسروا المرائي بالنصر على العدو و الظفر به ، و أظهروا للناس أن ما أصاب الإسبان هو غضب إلهي و هكذا اختلطت الناس بالعساكر و أوقدت النار في الرباطات و رؤوس الجبال مدة أيام فرحا [3].

كتب الباي محمد الكبير إلى الجهات يستنفر الناس إلى الجهاد ،فجاءوا من كل حدب ينسلون و أخذت كل قبيلة تعرض عليه عددها و عددها ليعين لها الموضع الذي تنزل فيه ،حتى اجتمع لديه نحو الخمسين ألف[4] ،أما الوثائق الإسبانية فقد اختلفت في تقديرها للقوات المحاصرة ،فمنها من قدرها قدرها بين سبعة إلى ثمانية آلاف مقاتل ،و منها بين عشرة إلى اثنا عشر ألف مقاتل ،و منها بين ثمانية عشر و عشرين ألف مقاتل ،و يبدو أن جميع هذه التقديرات فيها مبالغة [5].

استأذن الباي محمد الكبير ،الداي محمد عثمان في إحكام الحصار على القاعدتين و مناوشة حاميتهما " فجاءهم في جند عظيم عرمرم شديد البأس يحتوي على نحو الخمسين ألفا ،فظهر بذلك من قوته و بأسه و سطوته ما بهر به الكفار و أدهشهم و أذادوا منه خوفا على ما كان يحصل لهم عند سماع أخباره و مشاهدة آثاره "،و قد قسم الباي جنده فترك معظمه معه و أنزل الباقي مع ابنه عثمان و بعضه الآخر مع صهره محمد بن ابراهيم كل منهما في جهة بمحلة عظيمة ،مع الأول أهل تلمسان و أحوازها و قبائل من الأعراب كفليته و غيرهم ،و مع الثاني أهل مازونة و مستغانم

---

[1] :Ipid , p 199 .

[2]: صالح عباد ،مرجع سابق ، ص 172 .

[3]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 125 .

[4] : ابن سحنون ،مصدر سابق ، ص 213 .

[5]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص ص 126 .

و القلعة و أعراب الشرق [1] ،أما الإسبان فقد تلقوا مددا عظيما من إسبانيا ،قوامه سبعة آلاف رجل من المقاتلين [2].

أعطى الداي محمد عثمان الأمر لباي معسكر محمد بمهاجمة وهران من جديد ،و عندما وصل إلى أسوار المدينة نصب عدة بطاريات للمدفعية على الضفة اليسرى لرأس العين ،و حصون "سان أندري" (Saint André) ،و "سان فيليب " (Saint Philipe) ،لكن الباي محمد تفاجأ بموسم الأمطار لذا عاد أدراجه إلى عاصمته معسكر ،و بعد شهر من المحاولات اليائسة تمكن من التموقع و العودة بدخول فصل الربيع إلى مدينة وهران ،حيث حاصرها طول مدة فصل الصيف سنة 1791 م ،و في يوم 23 جويلية 1791 م ،كان القتال قد بدأ بين جيوش باي معسكر من جهة ،و جيوش الإسبان من جهة أخرى ،و قد دام أكثر من ست ساعات ،و تمكن الباي محمد من تحطيم حصن "سان فيليب "،بعد هجومين متتاليين ،و الذي سمح للمسلمين بأن يكونوا عند أسوار المدينة ،و قد حاول الإسبان من خلال فرقة حرس "والون " (Garde Wallones) بقيادة النقيب "تورسي " (Torcy) رد الهجوم بجيش قوامه ثلاثمائة جندي ،لكنهم فشلوا فشلا ذريعا حيث تلقى قائد الجيش تسعة جروح مختلفة ،و فقد مائتين و ستة و ستين جنديا من قواته [3].

و في يوم 18 سبتمبر 1791 م قام باي معسكر بإعطاء الأمر للمسلمين بمهاجمة الإسبان و تكبد الإسبان خسائر كبيرة و طلبوا الهدنة التي وافق عليها الباي من أجل سحب الجرحى و القتلى من ساحة المعركة [4] ، و يذكر ابن سحنون في هذا الخصوص :" زحف بعض المسلمين يوم الخميس الثالث عشر صفر فأخذوا منهم برج العين ،ثم اشتغلوا عنه بنهب خشب خارجه و المشاجرة عليها لأنه –أدامه الله –كان عودهم أن يدفع لهم الدراهم في كل ما أتوا به من لوح أو غيره....و استشهد يومئذ من المسلمين جماعة وافرة و جرح ما يزيد على المائة أكثرهم من بني زروال ،فمن يومئذ سمي ذلك البرج ببرج بني زروال [5]،و هم قبيلة من الظهرة " [6].

---

[1]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 220 .

[2]: أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 490 .

[3] :P Clausolles ,Op Cit ,p 199 .

[4] : H .D .Degrammont ,Op Cit ,p 344 .

[5]: بني زروال :قبيلة من الظهرة ،سكنت أولا بقلعة بني راشد بمعسكر ثم طردهم الحشم ،فانتقلوا إلى ضواحي مستغانم ،و سمي برج العين بإسمهم "برج بني زروال " لأنها أول قبيلة بادرت بإقتحام هذا البرج .

[6]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ،ص 213 -214 .

بعد هذا الفشل ،بدأ الأهالي يشتغلون على طول خط التحصينات ،يحفرون الخنادق ،و في 23 أكتوبر 1790 م ،بعد هدوء دام أسبوعا كاملا ،قصف جند الباي القوات الإسبانية بثلاثة مدافع و فجروا لغمين وكانت بطاريتهم تستحوذ على مواقع و معسكرات الإسبان و لكن طلقاتهم كانت غير مصوبة [1].

ناد الباي محمد الكبير القبائل المرابطة بالتهيؤ للهجوم على الإسبان في وهران ،و أمرهم أن يتوجهوا ليلا فيبيتون بفناء وهران ،و لما يبزغ الفجر ،و يسمعون ضربة مدفع من جبل المائدة يقتحمون مدينة وهران وكلف ابنه عثمان بتقسيم البارود و الرصاص ،على العساكر [2]،و استمرت الهجمات ضد الإسبان طوال ربيع و صيف 1791 م ،و ظل المجاهدون يتقدمون رغم الدفاع الإسباني الشديد ،و احتدمت المعركة بين الطرفين أيام 3 و 9 من شهر ماي ،و في يوم 05 جويلية تقدمت إسبانيا بطلب الصلح من الداي محمد عثمان باشا ،بعد أن ضاع كل أملها في أفريل سنة 1791 م ،لكن الداي و هو على فراش الموت يعاني سكراته استمر في رفضه ،في كل مذكرة ما دام الإسبان لم يستسلموا في وهران دون قيد أو شرط[3] .

خرج باي معسكر في الثالث من رمضان من مدينة معسكر ،و توجه نحو سيق ،فمكث بها عدة أيام و جمع قواته ثم ارتحل إلى تليلات ،التي تبعد عن وهران مسيرة ضحوة ،ثم إلى الموضع المشهور ب : مسولان حيث أصبح قريبا من وهران ،و قد كان قبل خروجه من معسكر قد أقام و ليمة حضرها عدد كبير من الخواص و العوام ،و أرسل إلى المناطق البعيدة ،فأوتى بجميع أعلام أوليائها الأكابر كعلم عبد الرحمن الثعالبي و أبي مدين ،و أحمد بن يوسف ،و محمد بن عودة .كل هذا ليحضر بها الجهاد تيمنا و تبركا بها [4].

قام الباي محمد الكبير بالقيام بالعديد من التدابير و الإجراءات لتنظيم جيشه ،حيث قام بجمع الطبجية و هم رماة المدافع وكذا البونباجية و هم رماة القنابل ،من العديد من المناطق من داخل بايلك الغرب و خارجه ،و قام بتسجيل هؤلاء المتخصصين العسكريين في سجلات ديوانه ،و عيّن كل واحد في موقعه و أمره بتفقد آلته الحربية ،كما قام بتعيين رؤساءهم للإستعانة بهم عند الضرورة[5]

[1] : Fey ,Op Cit ,p 245 .

[2]: ابن زرقة ،م م و ج ،مصدر سابق ، ورقة 42 (و) .

[3] : Grammont (H de) ,Op Cit ,p 345 .

[4]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 274 - 275 .

الضرورة[1] كما قام بإرسال كاتبه أحمد بن هطال إلى المغرب لشراء البارود ، و بعث أيضا إلى ناحية زواوة من أتاه بكثير من البارود ، كما قام بجمع العديد من أرباب الصنائع من النجارين و الخراطين و الحدادين و صناع البارود من كل بلد أمكنه أن يجمع منها كاالجزائر و تلمسان و مستغانم و صناع بلده ،و ما في ملكه من النصارى [2]،ثم بعث رسله إلى ناحية فجيج بالجنوب –على الحدود الجزائرية المغربية –لجمع حفرة الألغام تحت الأرض ،فقدم عليه مائة حفّار فدفع لهم الكتّان الجيد و مائتين و ألف ريال [3].

عانى الباي في حصاره الأول لمدينة وهران من قلة الرجال المخلصي النية في الجهاد ،فكان النفاق و الجهاد في سبيل الغنائم متفشيا بين صفوف القبائل ،فرأى ضرورة حضور رجال يحاصرون وهران و يداومون على ذكر الله ،و لا يكون ذلك إلا بطلبة العلم و حملة القرآن [4]،حيث "جهز الباي نحو الستة من الطلبة ألبسهم لباسا جيدا و دفع لهم عدة رفيعة و دراهم ووجههم يسيرون في البلاد القريبة يجمعون الطلبة و يرغبونهم فلم تمض إلا أيام قلائل حتى قدموا بنحو الأربعمائة طالب ،فبعث لهم بالأسلحة و كل ما يحتاجون إليه ،و لم يزل مددهم يتواصل حتى أربى عددهم عن الحد ،كل هذا و هو يوجه لجميعهم بالأطعمة و السمن و الزيت و الفواكه و نحوها ،و بما استحدث من السلاح و البارود " [5]،و في أواخر شهر ربيع الثاني 1205 ه /الموافق لشهر ديسمبر 1790 م ،عاد الطلبة الستة إلى معسكر مصحوبين بأربعمائة طالب ، فوجههم الباي إلى المحلّ المسمى " رباط إيفري " بضواحي وهران[6] .

لقد تطور الرباط في عهد الباي محمد تطورا محسوسا ،حيث أشرف عليه الباي بنفسه و تولى تسليحه و تنظيمه فعين له رئيسه و مساعديه ،و منع التدريس بكامل الولاية إلا في الرباط ، و من جملة من التحق بالرباط العالم محمد بن على أبو طالب المازوني[7] على رأس مائتي طالب و كان عمره

---

[1] : ابن زرفة ،مصدر سابق ، ورقة 56 (و) .

[2] : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 247 .

[3]: نفسه ، ص 248 .

[4]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 138 .

[5]: ابن سحنون الراشدي ،مصدر سابق ، ص 235 .

[6]: ابن زرفة مصدر سابق ،ورقة 65 (ظ) .

[7]: هو أبو طالب محمد بن علي المعروف بإبن الشارف المازوني المتوفي سنة 1233 ه ،تتلمذ على يده الكثير من الطلبة ،و منهم أبو راس الناصري ،شارك و طلبته في تحرير وهران من الإسبان ،أنظر :

يتجاوز الثمانين سنة فذهب إلى معسكر و منها إلى وهران ماشيا ،و امتنع من الركوب و ترك راحلته للمرضى من طلبته ،و أضافه الباي إلى أعضاء قيادة الرباط ،و قد كانت الرسائل بين الباي و رئيس الرباط متواصلة لا تنقطع ،و يظهر أن الباي هو الذي كان يراقب بنفسه سير هذا الرباط ماديا و أدبيا [1]. أخذ عدد المرابطين حول مدينة وهران في تزايد مستمر ،بحيث قدر ابن زرفة عددهم خلال شهر جمادي الثانية 1205 ه [2]ما يزيد عن الألفين [3].

إن إهتمام الباي بالرباط و قاطنيه كان متزايدا ،مما انجر عنه تزايد عدد المرابطين يوما بعد يوم فكثرت الخيام و انتشرت المضارب ،فكانوا يشتغلون بقراءة القرآن و الفقه و النحو ،و لا يتركون ذلك إلا في أوقات القتال و بالليل يبيتون يتلون القرآن ،لا يتركونه إلا ساعتين من أوقات النوم ،و بذلك يصلح فيهم ما قيل في السلف الصالح رضي الله عنهم :" رهبان في الليل أسود بالنهار " [4].

ظهر للإسبان مدى جدية الباي محمد الكبير في حصاره الثاني لمدينة وهران ، فقد نظم المرابطين وجمع المدفعية من حواضر بايلكه ،و إستورد السلاح من المغرب الأقصى و إنجلترا ،و نظّم المقاتلين المتخصصين في شؤون الحرب ،و أصلح الطرق الوعرة بين معسكر و وهران لجر مدافعه الخفيفة و الثقيلة إلى جبل المائدة و رباط إفري ،ففكروا في طرق باب المفاوضات مع الداي محمد بن عثمان حول قضية وهران التي علقت في صلح 1786 م ،فبعث الملك الإسباني كارلوس الرابع رسولا إلى مدينة الجزائر و اقترح على الداي :

- تحقيق الصلح بين إسبانيا و الجزائر بالكيفية التالية : تسليم مدينة وهران للباي مع الإحتفاظ بالمرسى الكبير لتمكين السفن الإسبانية من الإرساء بمياهه .

رفض الداي محمد بن عثمان و الباي محمد الكبير هذه الإقتراحات ،فقد بعث الداي إلى الباي محمد الكبير بمراد الإسبان طالبا مشورته ،فأجابه بأنه من الأصلح عدم قبول هذا الشرط ،و أكد له بأنه يجب على الإسبان مغادرة إيالة الجزائر كليا [5].

M Belhamiss , Histoire de Mazouna ,une petit ville ,une lonque Histoire ,Alger ,1982 p49 .

[1]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 78 .

[2] : الموافق لـ : سنة 1790 م .

[3]: ابن زرفة ، مصدر سابق ، ورقة 88 (ظ) .

[4]: المهدي البوعبدلي ،الرباط و الفداء ،مرجع سابق ، ص 29 .

[5]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 144 -145 .

بعد هذا الرفض ،أرسلت إسبانيا مبعوثا إلى الداي محمد بن عثمان باشا ،اقترح عليه هدنة لمدة شهر كامل ،على أن يكون آخر أجل للهدنة هو يوم 22 شعبان 1205 ه /25 أفريل 1791 م استجاب الداي و الباي لهذا الطلب ، و كتب الباي إلى الطلبة و سائر المجاهدين ألا يتعرضوا لهم بسوء مدة شهر و ألا يتركوا جدهم في الإحتراس منهم و التيقظ لهم [1].

قبل انتهاء مدة الهدنة ،قرر الملك الإسباني كارلوس الرابع إختيار إستئناف القتال ،فأرسل المدد العسكري إلى وهران ،فاشتدت شوكة الإسبان [2].

وفي 18 رمضان 1205 ه /منتصف ماي 1791 م ، إرتحل الباي محمد الكبير إلى موضع يدعى مسولان ،بين تليلات و وهران ،"و كتب يستنفر القبائل و الأعراش إلى الجهاد فأتوه من كل حدب ينسلون فنزل بهم قرب الجبل قبلة الطريق الصاعدة إلى ايفري ،فانتشرت الأخيبة و المضارب و القياطين و الخيم و مازالت الكتائب تتواصل و الجيوش تتراسل ،و المواكب تجتمع أعددها و الأبطال تنتظم أزواجها و أفرادها حتى جند جرار ،لا تصل لمنتهى طرفه الأبصار ،و في يوم الأربعاء بعده وصلته محلة الأتراك في نحو السبعين خباء فنزلت قرب منزله بما يقرب من الميلين ،و في يوم الخميس بعده دخلها ،فكان ذلم من الأيام المشهودة التي بهت منها الكفرة على بعد مرآهم ،و ظنوا أن المسلمين وقعت بينهم فتنة ،عندئذ ركب الباي في جميع أهل عسكره لتلقيهم ، و قد صفوا له صفين من منزلهم إلى قرب منزله و أذن للناس في اللعب على الخيل فصاروا يأتون كراديس كراديس على خيولهم فيضربون مكاحلهم في دفعة و يرجعون فيأتي غيرهم ، حتى لا تسمع إلا وقع السنابك كالرعود و صواعق البارود متصلا بعضها ببعض " [3] ، كما أمر إبنه عثمان بالنزول بمحلته و التي تتكون من جميع أهل تلمسان و أعرابها ،و محلته التي تخرج إلى فليته كل سنة ،و بعض قبائل الشرق إلى متسع مطل على المرسى الكبير حذو الموضع المعروف بفيض ابن عطاء ليمنع أهل الجبل من خروج النصارى عليهم [4].

تجدد القتال يوم السبت 02 شوال 1205 ه /بدية جوان 1791 م ، و قام الإسبان بقصف جبل المائدة ،و اقتربت سفن صغيرة آتية من المرسى الكبير ،و أخذت ترمي المرابطين الذين اضطروا

---

[1]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 265 .

[2]: بلبراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 146 .

[3]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 277 .

[4]: نفسه ، ص 278 .

إلى التراجع عن الجبل [1]،كما شرعت مدافع المسلمين في رمي الإسبان من الجبل في يوم التاسع و العشرين من شهر رمضان و أحدثت خسائر كبيرة في أبراج المدينة [2].

و في يوم 04 شوال 1205 ه /بداية جوان 1791 م قرر الباي محمد الكبير إنزال المدفعية من جبل المائدة وفقة محلة إبنه عثمان ،كما أمر الطلبة المرابطين بإفري النزول إلى السهل لتعزيز الصف الجهادي و إنشاء متارس للمدافع مواجهة لبرجي العيون و الجديد [3].

و تجدر الإشارة إلى وجود بعض الأفراد من القبائل التي كانت تتعامل مع الإسبان أو المغاطيس أثناء هذا الحصار أصبحت تقاتل إلى جانب الباي و في نفس الوقت تقوم بإرسال التقارير و المعلومات إلى العدو الإسباني ،و في هذا الصدد يذكر لنا ابن سحنون بأنه أثناء مهاجمة المرابطين لأحد أبراج مدينة وهران " خرج الكفار في الوادي بعد افتراق القتال فقتلوا من المسلمين ثلاثة و ردهم الطلبة ،و كان السبب في ذلك أن بعض المنافقين من أولاد علي كان مغطسا و خرج فأمنه الأمير ،فأتى يوم الجمعة مع الحراس و مازال يدنو من البرج إلى أن أغفل الناس و هرب إلى الكفار فأخبرهم بجميع أمور المسلمين و ذكر لهم أن حفرة اللغم في الوادي فخرجوا إليهم " [4].

في هذه الأثناء المطبوعة بإشتداد القتال بين جيش الباي و الإسبانيين ،توفي الداي محمد ابن عثمان باشا يوم الثلاثاء 09 ذوالقعدة 1205 ه /الموافق لـ 12 جويلية 1791 م ،عن عمر يناهز التسعين سنة بعد مرض الحمى الذي لازمه عشرة أيام ،و قام مقامه حسن باشا الخزناجي ،و قد استمرت حرب وهران في بداية حكمه لتدخل فيما بعد مرحلة جديدة ،يطبعها بحث إسباني عن مسالك تفاوضية مع الداي حسن و انهاء قضية وهران [5].

تقدم وكيل إسبانيا بمدينة الجزائر إلى الداي حسن ،طالبا منه الصلح و فق الشرطين التاليين :

- تعويض نفقات الباي الحربية مقابل إقلاعه عن حصار و حرب وهران ، و استدعى بحث شروط الصلح إقرار هدنة مدتها خمسة عشر يوما ،يتشاور فيها أطراف القرار في الجزائر و إسبانيا ،و قد وقع الإتفاق على الهدنة يوم السبت 28 ذو القعدة 1205 ه /20 جويلية 1791 م و ينتهي أجلها يوم السبت 12 ذو الحجة 1205 ه /09 أوت 1791 م واحتراما لشروط الصلح أمر

---

[1]: ابن سحنون الراشدي ،مصدر سابق ، ص 147 .

[2]: نفسه ،ص 280 .

[3]: نفسه ، ص 284 .

[4]: نفسه ، ص 281 .

[5]: بلبراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 153 .

الداي حسن الباي محمد الكبير بالرحيل عن وهران و الدخول إلى معسكر ،فكان ذلك يوم 28 ذو الحجة 1205 ه /30 جويلية 1791 م [1].

و قبل انتهاء مدة الهدنة ،رفض الملك الإسباني دفع التعويضات الحربية للباي محمد الكبير و كتب إلى داي الجزائر يقول :"إني لا أدفع مالي في أمر لا أتحقق دوامه لي كيف و هو مجاور لمن لا ينام عنه ،غير أني أدعوكم لأمر فيه النصف أسأل منكم أن تشرفوني بقبوله ،و هو أني أدفع لكم البلاد على الحالة التي تركها عليها المسلمون لما أخذناها منهم بمدافعها و أبراجها و لا أستثني من ذلك شيئا " [2].

وكان جواب الداي حسن على رسالة ملك إسبانيا ما يلي :" ...و لقد فهمنا أنكم تريدون اعلامنا بأنكم سوف تقومون برد قلعة وهران و التي كنتم قد أخذتموها منا سابقا ...و ذلك مع إبقاء ما يسمى ببرج الميناء لديكم ...و لكن لو أعطيتمونا برج الميناء المذكور لكان ذلك من تمام الإحسان ..لأن بقاء هذا البرج في يدكم قد يقودنا و يدفعنا حينا من الأحيان أو يوما من الأيام إلى الوقوع في النزاع مع أمير الوطن أو مع العربان المتمردين أو مع القبائل الجاهلة ...و لذا نرى من الأحسن و الأوفق و الأنسب هو أن يكون الكل في يدنا ..وكونوا على علم بأننا سوف نبني ان شاء الله هناك أكثر من مخزن و سوف يصبح هذا الميناء بذلك كسائر الموانئ التي تم فيها البيع و الشراء ..." [3].

و بعد سلسلة من المفاوضات بين داي الجزائر و الملك الإسباني ،كتب هذا الأخير في نهاية شهر ذو الحجة 1205 ه / أواخر أوت 1791 م إلى الداي حسن يؤكد له أنه إختار نهائيا تسليم البلاد المحتلة على الصورة التي تركها المسلمون سنة 1732 م [4].

توصل الداي حسن مع الإسبان إلى عقد الصلح في 12 سبتمبر 1791 م ،و تضمن عدة شروط كان أهمها :

- إنسحاب الإسبان من وهران و المناطق الخاضعة لهم ،و جميع الحصون دون شروط .
- ترك الإسبان كل الحصون التي كانت موجودة في المدينة خلال حكم مصطفى بوشلاغم و أن لا يحدثوا عليها أي تغيير ،و أن يرجعوا كل القنابل و المدافع و الذخيرة التي غنمتها عند إحتلالها لوهران و المرسى الكبير .

---

[1]: بلبراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 154 .

[2]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 308 .

[3]: يحي بوعزيز ،المراسلات ، مرجع سابق ، ص ص 149 - 150 .

[4]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 309 .

- للإسبان الحق في هدم جميع ما بنوه من حصون و قلاع لم تكن موجودة في المدينة من قبل .
- لا يسمح لباقي الدول الأوروبية بممارسة التجارة في وهران ،دون إذن من باي وهران ،الذي يسمح لهم بتحميل ألف حمل من القمح كل سنة بالسعر الجاري فقط .
- يدفع الإسبان لدار السلطان كل سنة مبلغ اثنا عشر ألف سلطاني (120 ألف فرنك) ،على أن يكون مقسما على ست فترات ،ألفي سلطان كل شهرين .
- يدفع الإسبان رسوم عن كل سفينة ترسو بميناء وهران ،تقدر ب 55 ريال ،أربعون منها لبيت المال و الباقي لقائد المرسى .
- إرجاع الأسرى الإسبان المقدرين ب 05 و الموجودين بوهران .
- أن يبقى الإسبان في وهران أربعة أشهر آخرها أول يناير سنة 1207 ه ،دون أن يلحق بهم المرابطون .
- أن يرجع الإسبان أسيرين من السلبة ،كانوا قد أسروهما أيام الحصار .
- تحمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى إسطنبول مفتاحين ذهبيين رمز استسلام وهران و المرسى الكبير مع جرتين من ماء عيون وهران للخليفة السلطان العثماني .
- حصول إسبانيا على مركز تجاري في بلدة الغزوات .
- و أن تبتاع من البلاد الجزائرية ثلاثة آلاف كيلة (Charge) من القمح سنويا [1].

أضاف ليون فاي بعض البنود إلى هذا الإتفاق أهمها :

- لا يحق رفع سعر القمح عن الأسعار المحلية الموجودة في وهران .
- لا يحق لباي وهران تحديد كمية القمح المصدرة إلى إسبانيا [2].

ابتدأ الإسبان في الإنسحاب من وهران يوم 17 ديسمبر 1791 م ،و تم الجلاء نهائيا و سلمت المدينة للباي الذي دخلها على رأس المجاهدين دخول الفاتح المنتصر يوم 24 فيفري 1792 م [3]، و ذكر أبو راس الناصري فقال :" ثم إن أميرنا الهمام الأنجد أتته البشارة الكبرى أوائل المحرم بأخذه البلد ،فكان ذلك اليوم عند المسلمين عيدا و من أيام البركة و السرور مشهودا سعيدا و البشائر إلى كل ناحية ،ذاهبة بأن نصارى وهران عنها ذاهبة " [4].

---

[1]: علي بن العيفاوي ، مرجع سابق ، ص 54 .

[2] : Fey Henri Leon ;Op Cit , p 258 .

[3] :Léon Gilibert ,Op Cit , p 241 .

[4]: أبو راس الناصري ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 115 .

استشار الباي محمد الكبير العلماء في المغاطيس الذين بوهران ،هل يؤمنهم خوفا من أن يذهبوا مع الكفار إلى بلادهم فيتنصرون أو يتنصر عقبهم ،فأشاروا عليه بتأمينهم فبعث إليهم كتابا يأمرهم بالقدوم عليهم آمنين ،فبعثوا إليه يقولون له ابعث لنا بالأمان مع بعض المرابطين ،لتطمئن نفوسهم فبعث إليهم بقاضي البلد عبد الله بن حواء و خطيب المسجد الأكبر أحمد و محمد بن فريحة ،فقدم معهم بحو الأربعين منهم و الباقون منهم من وعد بالقدوم بعد بيع أثاثه ،و منهم من كان مرتابا في الأمان ،و منهم من كان مرتابا في تسليم الإسبان لمدينة وهران فبقي ينتظر ما يؤول اليه أمرها ،و منهم من غلب على قلبه حب الكفرة فلم تطب نفسه بفراقهم [1]، بالرغم من العفو الذي أصدره الباي محمد الكبير في حقهم ،فإن الكثير منهم فضل المغادرة ،بحيث غادرها حوالي 60 رجلا من هؤلاء الجنود يوم 10 ديسمبر ثم تلاهم حوالي 250 يوم 29 ديسمبر ،اتجهوا إلى سبتة [2].

قام الباي محمد الكبير بنقل عاصمة البايلك إلى وهران ،و قضى بقية أيامه في ترميمها و توسيعها و شيد فيها المسجد الكبير (مسجد الباشا) ،تذكارا لذلك الفتح المبين من ماله الخاص ،و لم تمض إلا مدة وجيزة حتى أصبحت وهران مدينة غنية زاهرة بعدما كانت خربة ،و منحه الداي حسان باشا لقب الكبير ،اعترافا بفضله و صدق جهاده . [3]

و ما يتعلق بتعمير المدينة ،فقد جلب لها الباي محمد الكبير السكان من مليانة و المدية و تلمسان و معسكر ،و بعض المدن الداخلية الأخرى ،كما وفدت عليها أيضا مجموعات من قبائل الدواير و الزمالة و الغرابة لغرض ممارسة التجارة ،و لم يغفل الباي محمد الكبير توجيه الدعوة إلى سكان وجدة و فاس و مراكش حتى أنه أصبحت وهران مستقرا لبعض زعماء بني الأحمر ،كما قام بجلب الكثير من اليهود من مستغانم و معسكر و ندرومة و تلمسان بغرض بعث الحيوية و النشاط التجاري و العمراني لمدينة وهران [4].

و عند عودة الباي محمد الكبير من مدينة الجزائر ،تم دس السم له ،في منطقة عين الربط ، من طرف الداي حسان ،نظرا لتخوفه من شجاعته و شهرته بعد انتصاره على الإسبان بمدينة وهران [5].

[1]: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 427 - 428 .

[2]: صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 173 .

[3]: أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة ،مرجع سابق ، ص 527 .

[4]: بلبراوات بن عتو ،مرجع سابق ، ص 170 .

[5] : Fey ,Op Cit ,273 .

و أهم ما يمكننا إستنتاجه من هذا الفصل ما يلي:

منذ إحتلال الإسبان لمدينتي وهران و المرسى الكبير لم يهدأ لهم بال ،و لم ينعموا بإحتلالهم هذا في طمأنينة ،و ذلك بسبب خوفهم الدائم من المحاولات التي كان الأتراك العثمانيين بمساعدة الجزائريين يشنونها ضدهم في كل مرة ،إذ عاش الإسبان طيلة فترة إحتلالهم لمدينة وهران في حصار دائم ،و من أهم تلك المحاولات محاولة حسن باشا سنة 1563 م ،و محاولة الباي شعبان سنة 1686 م .

على الرغم من محاولات الأتراك العثمانيين المتكررة لإسترجاع مدينة وهران ،إلا أنهم لم يستطيعوا الإستلاء على هذه المدينة إلا في القرن الثامن عشر ،و كان ذلك على يد الباي مصطفى بوشلاغم كما كان لقبائل الغرب الجزائري دور بارز في هذا الفتح ،و جاؤوا إليه من كل فج عميق تلبية لنداء الجهاد و بعد حصار المدينة و نشوب عدة معارك تم فتح المدينة سنة 1707 م .

لم يدم هذا الإنتصار طويلا بحيث أعاد الإسبان غزو المدينة ،و تمكنوا بالفعل من ذلك سنة 1732 م كما أعادوا كذلك تكوين فرقة المغطسين سنة 1734 م ،و لكن حكمهم خلال هذه الفترة يختلف عن حكمهم السابق ،بحيث لم يعودوا قادرين على تنظيم حملات إلى أعماق البلاد كما في السابق ،و إكتفوا بالتقوقع و التحصن داخل أسوار المدينة .

و عندما تولى الباي محمد الكبير منصب باي للغرب الجزائري أخذ على عاتقه تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني ،بحيث أصبحت قضية وهران هي القضية الأولى التي يهتم بها الرأي العام و يريد أن يصفي حسابه مع الإسبان مهما كانت التكاليف ، و بالفعل تم تحرير هذه المدينة نهائيا سنة 1792 م و كان للقبائل و الأهالي في الجهة الغربية دور بارز في إنتصار العثمانيين في جولتهم الأخيرة ضد الإسبان و إخراجهم من مدينة وهران ،و هذا التدخل العثماني في المنطقة عمل على توفير ضمانات الإنتصار بمشاركة سكان المنطقة الغربية و إدماجهم في المعركة ،و قد أثبتت الأحداث في أكثر من مرة أن الإمكانيات الذاتية المحدودة للعثمانيين لم تكن لوحدها كافية لمواجهة الوجود الإسباني و تحقيق إنتصار حاسم و نهائي عليه ،في حين أنه كلما إنضاف المجهود العسكري العثماني إلى المجهود المحلي للأهالي في مواجهات دار رحاها في هذه المنطقة ،فإن ذلك التكامل بين المجهودين يكلل حتما بالنصر ،و هو ما تجلى في عهد الباي محمد الكبير .

الخاتمة

نستخلص مما تقدم مجموعة من النتائج، التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية :

أدى الفراغ السياسي الذي عرفته الجزائر في أواخر القرن 9 ه /15 م و مطلع القرن 10 ه/16 م إلى ضعف قدراتها الدفاعية ،مما جعل سواحلها عرضة للغارات الإسبانية ،و تمكن الإسبان من إحتلال أهم مدنها الساحلية مثل مدينة وهران و المرسى الكبير ،كما وجدت مدن أخرى نفسها مجبرة على توقيع معاهدة الولاء للإسبان كما هو الشأن بالنسبة لتنس و مستغانم .

و لمواجهة الأخطار التي كانت تتربص بها ،إضطر بعض أعيانها إلى الإستنجاد بالإخوة بربروس و هو ما أدى إلى قيام سلطة جديدة في مدينة الجزائر التي أخذ شأنها يتعاضم ،فقد توسعت حدودها و دخلت في صراع مع الإسبان حول الحصول على النفوذ في دولة بني زيان ،و لكي تتمكن هذه الدولة الفتية من الوقوف في وجه الإحتلال الإسباني يجب عليها أن ترتبط بالخلافة العثمانية بإعتبارها الدولة الإسلامية الوحيدة التي كانت تتوفر على قدرات عسكرية ،تمكنها من وقف زحف المد الإستعماري الأوربي في منطقة المغرب العربي و العالم الإسلامي عامة .

نتيجة إحتلال الإسبان لوهران و المرسى الكبير و إستقرارهم مدة طويلة بهذين الموقعين عمدت بعض قبائل الغرب الجزائري إلى التحالف مع الإسبان ،حيث كانوا يزودونهم بالحبوب و الماشية و بضائع أخرى كانوا في حاجة إليها ،و قد تسبب ذلك في حدوث شرخ في صفوف المجتمع الجزائري في هذه المنطقة و هذا ما ساهم من دون شك في إستمرار بقاء الإسبان مدة طويلة في وهران و المرسى الكبير .

عقب إحتلال الإسبان لوهران و المرسى الكبير ،سعوا إلى ربط علاقات بعض بعض القبائل المجاورة لهم ،و لهذا الغرض فإنهم شكلوا شبكة من الجواسيس العرب و اليهود ،الذين ينقلون إليهم أخبار تحركات القبائل المعادية لهم و كذلك اخبار الجيش العثماني مقابل مكافآت مالية .

لقد ترتب عن الإحتلال الإسباني لمدينة وهران و المرسى الكبير لمدة تقارب الثلاثة قرون تعرض القبائل الغرب الجزائري خاصة تلك المجاورة للموقعين المحتلين إلى غارات و هجمات شنها الإسبان على القبائل المعادية و التي رفضت الخضوع لهم .

كما نتج كذلك عن الإحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير وجود علاقات تجارية بينهم و بين القبائل الموالية لهم ،إذ كانت هذه الأخيرة تزود الإسبان إلى جانب الأغنام بحيوانات أخرى مثل المعز و الأبقار و غيرها و بالمقابل كانوا يشترون من الإسبان القطن و الورق و البندق و الأرز ، كما كانت هته القبائل مجبرة على دفع أنواع مختلفة من الضرائب للإسبان مثل ضريبة السيغورو و ضريبة الرومية .

لقد تعرضت الكثير من قبائل الغرب الجزائري إلى القتل خلال مختلف المواجهات التي وقعت بين الطرفين ،كما تعرض العديد من أفرادها إلى الأسر نتيجة أعمال الغزو انطلاقا من وهران على مواقع القبائل العربية ،فقد كان الإسبان يستولون عليهم إما لغرض بيعهم في الأسواق ،و بذلك يتحولون إلى عبيد أو لغرض إستعمالهم في مختلف الأشغال فور وصولهم إلى إسبانيا ،و قد تعرض لهذه العملية الناس من مختلف الأعمار و الجنس ،و كانت طرق إفتدائهم تتم عبر طرق مختلفة ،فبعضهم كان يفتدى بواسطة المال و بعضهم يسترجعون حريتهم عن طريق تبادل للأسرى مع إسبانيا خاصة بعدما توصل البلدان إلى إبرام معاهدة الصلح سنة 1786 م .

لقد واجه الاتراك العثمانيون عدة صعوبات في بداية عهدهم ،و لم يتمكنوا من تثبيت حكمهم في بايلك الغرب نظرا لشدة المعارضة المحلية و الخارجية ،المتمثلة في الزيانيين و الإسبان و بالرغم من شدة الصراع فإن العثمانيين قد توصلوا إلى تثبيت بعض الحاميات العسكرية في بعض المدن الغربية ،مثل مستغانم تنس و مازونة .

إن العلاقات بين الزعامات المحلية و سلطة البايلك كانت قائمة أساسا على النظام الضريبي فكانت قبائل المخزن و العائلات المرابطية الكبرى ،و شيوخ الزوايا هم الذين يقومون بجباية الضرائب من السكان و لذلك كسبوا مكانة هامة .

إن التدخلات الخارجية المستمرة من جانب المغرب الأقصى في المنطقة الغربية للجزائر كان من أجل إضعاف الحكم القائم في تلك المنطقة ،حتى يتسنى لهم التدخل في شؤونها ،كما أن الصراع العسكري الذي كان بين الإسبان و العثمانيين حول المنطقة الغربية للجزائر قد عطل المشروع المغربي في التوسع في هذه الجهة .

إن سياسة الحكام كانت تعتمد أساسا على إستمالة القوى الدينية ،و جعلهم واسطة بينهم و بين الرعية و اعتمدوا كذلك على القبائل المخزنية ،و قد مكنتهم هذه السياسة من التحكم في جزء كبير من البلاد وتجنبوا بذلك الإصطدام المباشر بالقبائل الممتنعة ،و في حالة عدم نجاعة هذه الوسائل فإنهم يستعملون القوة.

كانت معسكر تحت حكم باي نشيط و طموح- مصطفى بوشلاغم - ،و الذي كان يتحين الفرص و نقاط ضعف الإسبان لتضييق الخناق عليهم و محاصرتهم حصارا محكما، لذلك شرع هذا الباي- مصطفى بوشلاغم - في محاصرته لمدينة وهران سنة 1706 م ،أثناء حكم الداي محمد بكداش ،و الذي أرسل جيشا لفتح وهران تدعيما لجهود الباي ، كما إلتحق بقوات الباي فرسان

المخزن ،و متطوعون من شتى قبائل بايلك الغرب بحيث وفد الناس إليه بخيامهم و أهليهم ،**و نتيجة لتظافر جهود العثمانيين مع قبائل المنطقة الغربية تم تحرير مدينة** وهران و المرسى الكبير سنة **1707م.**

قرر الملك الإسباني فليب الخامس الإستلاء على وهران ،و قد جهز جيشا قويا و تمكن فعلا من الإستلاء على هذه المدينة **سنة 1732 م ،بعد إنسحاب الباي مصطفى** بوشلاغم نحو مدينة مستغانم و هكذا تخلى العثمانيون عن مدينة وهران بعد حكم دام **24 سنة .**

منذ سقوط وهران للمرة الثانية في يد الإسبان و بايات الغرب الجزائري يشنون عليها حصارا محكما بهدف إسترجاع المدينة ، و تجدر الإشارة إلى أن حكم الإسبان خلال هذه الفترة يختلف عن حكمهم السابق ،بحيث لم يعودوا قادرون على تنظيم حملات إلى أعماق البلاد ،كما أن جزء كبير من القبائل التي كانت تتعامل معهم في السابق تخلت عنهم و إنظمت إلى صفوف الأتراك العثمانيين.

بقيت وهران و المرسى الكبير تحت حصار ضيق ،و معارك تكاد تكون مستمرة و متوالية إلى غاية أن تولى الباي محمد بن عثمان الكبير منصب بايا لبايلك الغرب ،بحيث تمكن هذا الأخير بفضل حنكته العسكرية و خبرته الحربية أن يظفر بثقة جيشه و ديوانه و كذلك قبائل الغرب الجزائري التي أتت إليه من كل مكان لتبية لنداء الجهاد ،و بفضل توحيد القوتين **العثمانيية و الجزائرية تمكن** الباي محمد بن عثمان الكبير من تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني و كان ذلك في سنة 1792 م .

و أخيرا أرجوا أن تكون محاولتي قد وفقت في سد جانب من جوانب تاريخنا الوطني **و أعطت الموضوع حقه من الدراسة و البحث ، و أن ما** توصلنا إليه من خلاصات و نتائج لا تعدو أن تكون مساهمة متواضعة على الدرب و ليست نهاية الدراسة ،لأن الدراسة التاريخية لا تعرف التوقف بسبب ظهور وثائق جديدة تزيد في إثراء الموضوع .

الملاحق

جدول الملاحق :

- الملحق رقم (1) :يتحدث عن أهم قبائل بايلك الغرب الجزائري .

- الملحق رقم (2) : توزيع القبائل عبر منطقة وهران قبل الإحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير.

- الملحق رقم (3) :حصن المرسى الكبير .

- الملحق رقم (4) : قلعة سانتاكروز .

-الملحق رقم (5) : مخطط لحصون وهران في العهد الإسباني .

- الملحق رقم (6) : خريطة توضح حدود الجزائر و تقسيمها الإداري التي تم تشكيلها خلال القرن السادس عشر .

- الملحق رقم (7): خريطة عن توزيع أهم القوى القبلية ببايلك الغرب و علاقتها بالتنظيم الإداري العثماني .

الملحق رقم (1) : أهم قبائل بايلك الغرب الجزائري :[1]

قبائل المخزن	قبائل الرعية	القبائل المتحالفة	القبائل المستقلة
-مخزن آغا	-قبيلة تحلايت	-قبيلة أولاد	-قبائل بني أوراغ
الدواير	-قبيلة مجاهد	سيدي عبد الله	-قبائل مكناسة
-مخزن آغا الزمالة	-اتحاد قبائل	-اتحاد قبائل بني	-قبائل مطماطة
-مخزن الغرابة	خليفة	هاشم	-قبائل بني تيغرين
-مخزن الدرادب	-بني زدمة بفرندة	-قبيلة زاوية	-قبائل كرايش
-مخزن المكاحلية	-قبيلة خلافة	سيدي محمد بن	-قبائل حلوية
-أولاد أحمد	فرندة	عودة	-قبائل معاصم
-برجية مستغانم	-قبيلة بني صندل	-قبيلة زاوية أولاد	-قبائل الحاسنة
-عكرمة الغرابة	-قبيلة هوارة	سيدي دحو	-قبائل حميان
-أولاد سلامة	-اتجاه قبائل	-قبيلة أولاد	الغرابة
-خليفة بوعلي	الصحاري	ميمون	-قبائل العمور
-أولاد رياح	-قنادجة	-قبيلة أولاد	-قبيلة أولاد
-مخزن بني فاطم	-قبيلة عوسات	سيدي الناصر	هلال
-أولاد خلوف	-قبائل بني	-قبيلة أولاد	-قبيلة أولاد عنتر
-بني يحي	منيارين	سيدي الشيخ	-قبيلة عريب
-عبيد عين	-وطن الجبل	-قبيلة أولاد	زكار
الدفلى	بتلمسان	سيدي مجاهد	-قبيلة بني درجين

[1] :Luis Rinn ,Op Cit pp 36,40,47,50,78,83,102,130.

-أولاد خالفة -بطيوة -أولاد صاير -غرامة -الزهالدية -عتبة الجلابة -بني شقران -مخزن بني مسطور -أولاد زايد......	-قبيلة بني هديل -اتحاد قبائل ولهاصة -اتحاد قبائل بني زوقزوق - رعية فحص ندرومة -أولاد خويدم -قبيلة بني شعيب -أولاد عباس -اتحاد قبائل العطاف......	-قبيلة زاوية سيدي أحمد سبدو -قبيلة أولاد النهار بالعريشة -اتحاد قبائل الأغواط -اتحاد قبائل بلايل -اتحاد قبائل أولاد سيام -قبيلة بني فراح -مشيخة جنحل -قبيلة مجاجة -اتحاد قبائل ثنية الحد -أولاد عمار -وطن ندرومة....	-اتحاد بني سنوس -اتحاد مغراوة -اتحاد بني بوسعيد......

الملحق رقم (2) : توزيع القبائل عبر منطقة وهران قبل الإحتلال الإسباني

لوهران و المرسى الكبير : [1]

القبـــائل	الأماكن و حدودهـــا
قبيلة فروحة	بالقرب من غريس و المجاورة لقبيلة غريس نفسها الرابطة بأرض ملاتة حتى نسمط.
العبيد الشراقة	قرب المقطع.
حميان	بأرض الحفرة التابعة لقرية ملاتة.
هبرة	بموضع يقال له يعلو في جبال سيرات.
بني شقران	رجال عين الفرس الشرقية .
كريشتل	بمزغران قرب مستغانم عند مصب نهر الشلف ثم ارتحلت الى القرية الحاملة لاسمها.
غمرة	قطنوا خلف وهران في الحفرة بالتجاور مع حميان عند ملاتة.
قيدزة	بنواحي تارقة قرب وادي المالح(ريو سالادو)
أولاد عبد الله	بوادي الثلاثاء بملاتة.
الونازرة	وادي سنان بعين تموشنت قرب تارقة المجاورة لقيدزة.
أولاد جلفة	بأراضي جبل هيدور غرب وهران حتى وادي يسر بتلمسان.
أولاد زاير	بجبال تاسالة.
أولاد علي	بجبال سيرات في الجهة الأخرى من وادي سيق.
أولاد الميمون	بثنية القصبة ،وادي تلمسان تحدها شرقا تاسالة،و جنوبا السلسلة الجبلية للتانيرة.
أولاد ابراهيم	بوادي ميكيرة حتى سيدي ابراهيم تحدها غربا سلسلة التانيرة و شمالا أراضي أولاد الميمون[1]

[1]:بلبوري سيد أحمد ،مرجع سابق،ص114.

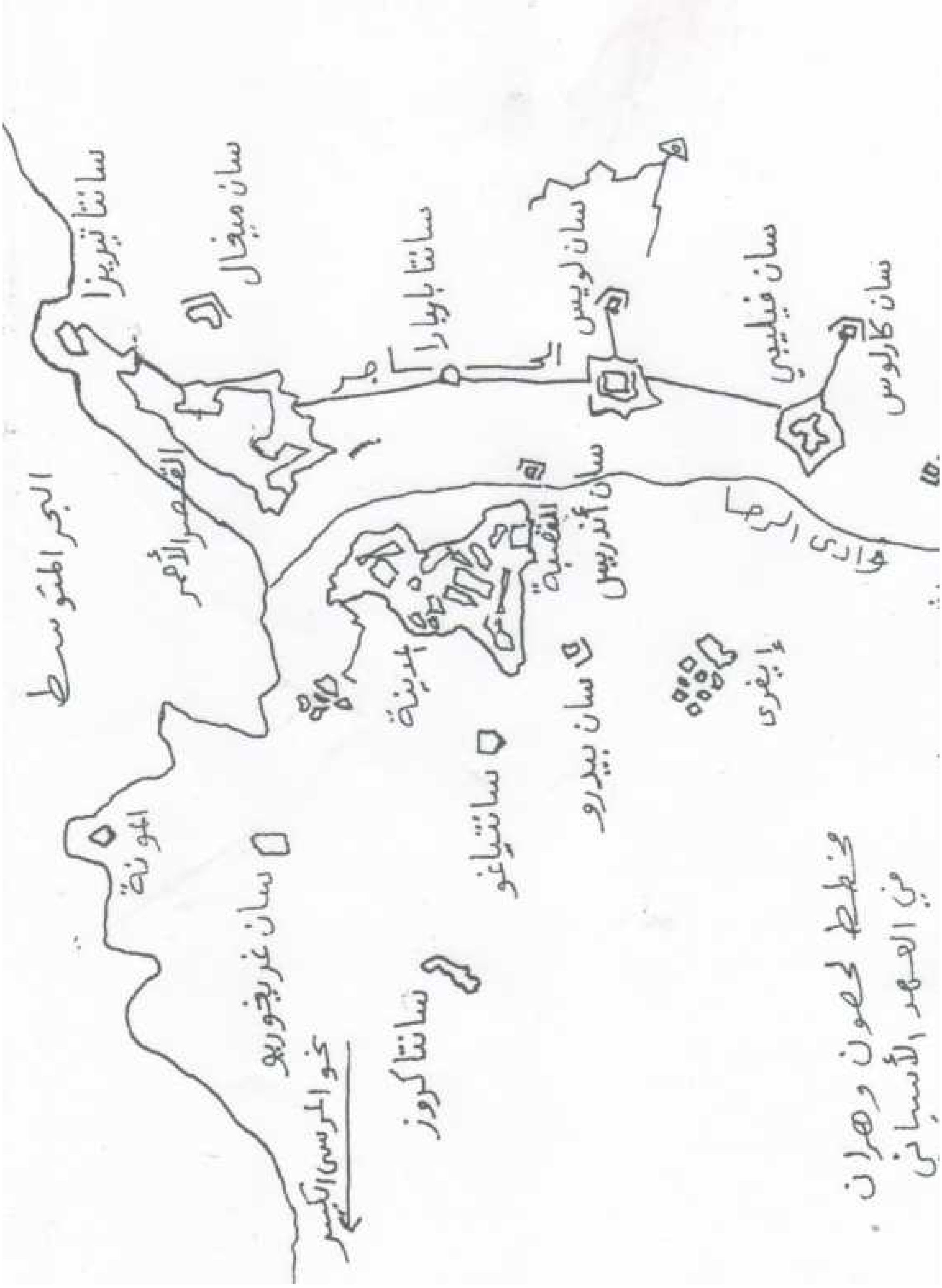
الملحق رقم (3):هذه الصورة تمثل حصن المرسى الكبير .



الملحق رقم (4):هذه الصورة تمثل قلعة سانتاكروز .

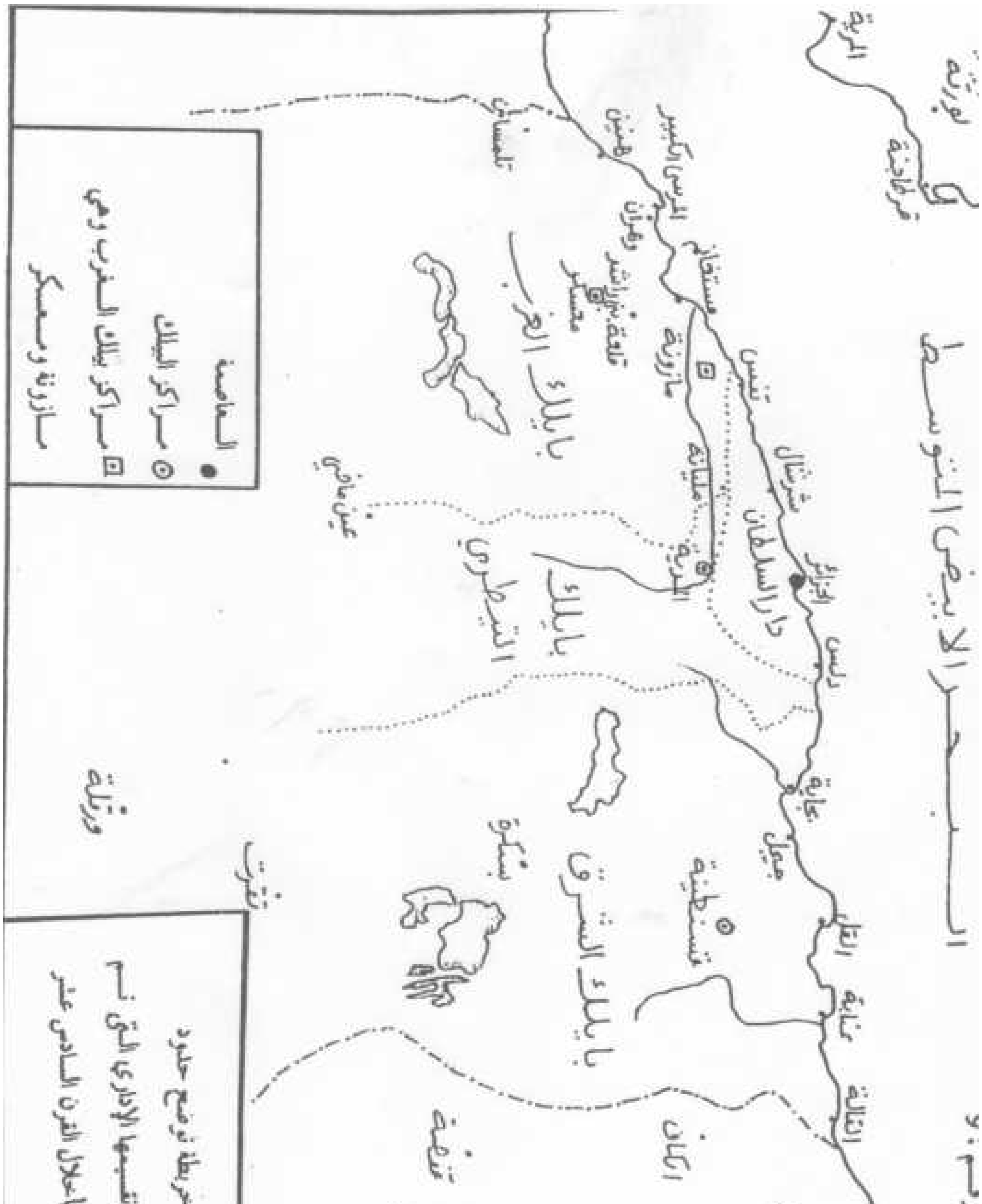


الملحق رقم (5) : مخطط لحصون وهران في العهد الإسباني



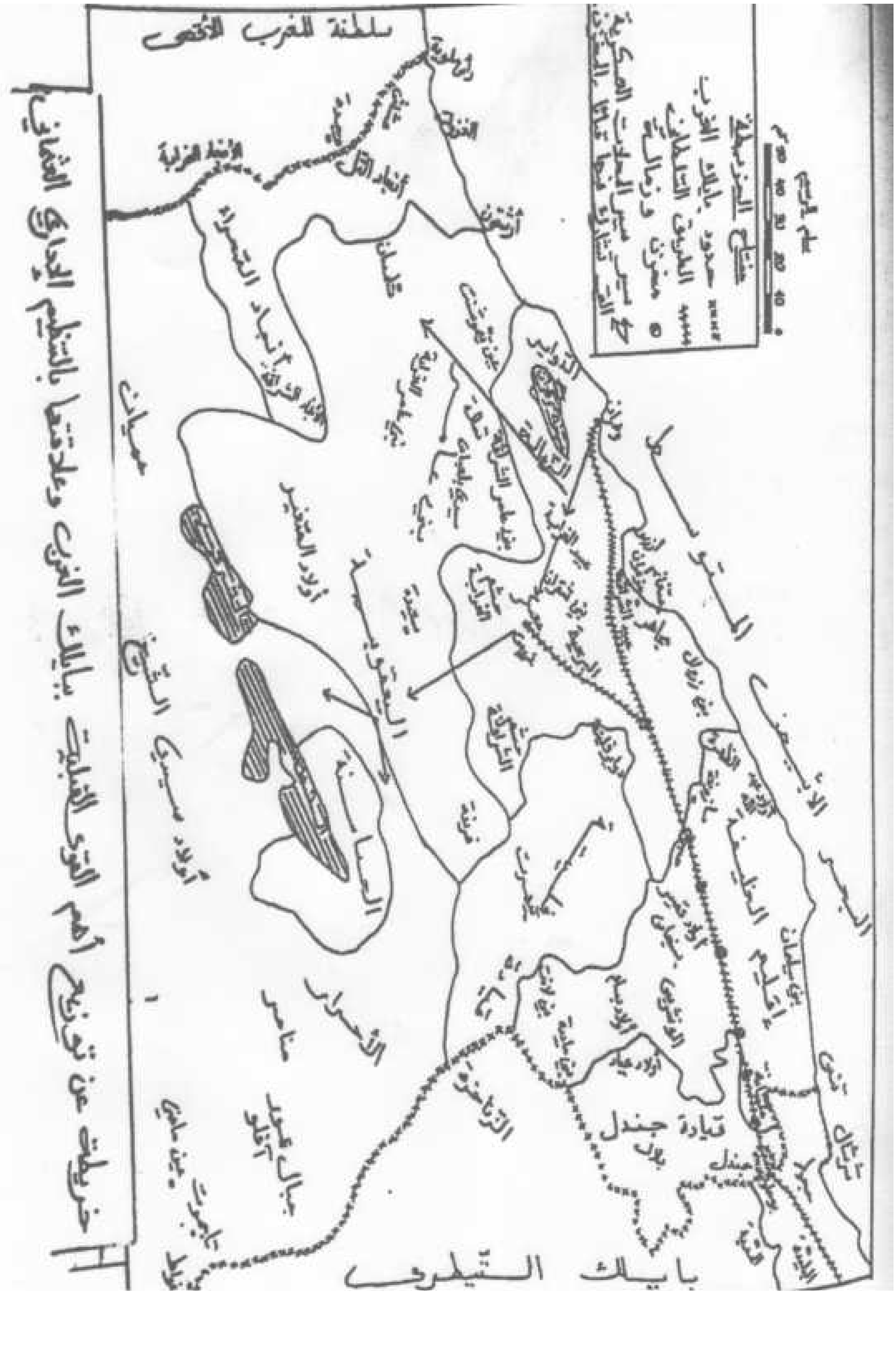
المصدر : فكاير عبد القادر ، آثار الإحتلال الإسباني نمرجع سابق ، ص 344.

الملحق رقم (6) :



المصدر : فكاير عبد القادر ، الصراع الجزائري الإسباني،مرجع سابق ، ص 316.

الملحق رقم (7):



المصدر : سميرة طالي معمر ،القوى المحلية ببايلك الغرب ، مرجع سابق ، ص 186.

البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم
1- المصادر باللغة العربية و المعربة :
أ/ المخطوطات :
1- ابن زرفة (أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن) ،الرحلة القمرية في السيرة المحمدية مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزء الأول ،تحت رقم 3322 .
2- التلمساني (محمد ابن رقية) ،الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة مخطوط يالمكتبة الوطنية الجزائرية ،تحت رقم 1626 .
3- الصباغ (محمد بن علي القلعي)،بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار و معدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب و الدار ،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ،تحت رقم 1707 .
4- مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ،تحت رقم 1622 .
5- الناصري (محمد أبو راس) ،عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1632 .
ب/ المصادر المطبوعة :
1- ابن أبي دينار(محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) ،المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ،دار المسيرة ط 3، بيروت ،1993 .
2- ابن أبي زرع (علي الفاسي) ،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972 .
3- ابن الأمير عبد القادر (محمد) ،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و تاريخ الجزائر ،شرح و تعليق ممدوح حقي ،دار اليقضة العربية للتأليف و الترجمة و النشر ،2 ج في مجلد واحد ،ط 2 بيروت ،1964
4- ابن المختار(الطيب الغريسي) ،القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ،منشور ضمن مجموع مطبعة ابن خلدون ،تلمسان ،1961 .
5- ابن المفتي (حسين بن رجب شاوش)،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها جمعها و اعتنى بها الأستاذ فارس كعوان ،بيت الحكمة ،ط1 ،2009 .

6- ابن خلدون(عبد الرحمن) ،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، ج1 ،الجزائر ،1903 .
7- ابن خلدون(عبد الرحمن) ،كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مج 11،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1982 .
8- ابن رقية (محمد التلمساني)،الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة نشر سليم بابا عمر ،مجلة تاريخ و حضارة المغرب ،العدد 3 ،1967 جويلية ،ص ص 1-32 .
9 - ابن سحنون (الراشدي) ،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ،تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي منشورات التعليم الأصلي ،سلسلة التراث ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،1973 .
10- ابن ميمون(محمد الجزائري) ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم، ش و ن ت ،الجزائر ،1981 .
11- ابن هطال(أحمد التلمساني) ،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم ،عالم الكتب ،1969 .
12- الجامعي(أبو زيد عبد الرحمن) ،فتح مدينة وهران ،نشر مختار حساني ،مخبر المخطوطات جامعة الجزائر، 2003 .
13- الجزائري(عبد القادر) ،مذكرات،سيرته الذاتية ،تحقيق محمد الصغير بناني و آخرون ،ط3 شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر،1998 .
14- بربروس(خير الدين) ،مذكرات خير الدين بربروس ،ترجمة محمد دراج ،شركة الأصالة للنشر و التوزيع ط1 ،الجزائر ،2010 .
15- التمقروتي(أبو الحسن علي بن عمر) ،النفحة المسكية في السفارة التركية ،تحقيق و تقديم عبد اللطيف الشادلي ،المطبعة الملكية ،المغرب ،2002 .
16- التنسي(محمد بن عبد الله) ،تاريخ بني زيان ،ملوك تلمسان ،مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان ،تحقيق محمود بوعباد ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985 .
17- حساني مختار ،تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الاسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوطتين :فتح وهران للجامعي ،الرحلة القمرية لابن زرفة ،جامعة الجزائر ،مخبر المخطوطات ، الجزائر 2003 .

18- خوجة(حمدان بن عثمان) ،المرآة ،تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ط2 ،الجزائر ،1982 .
19 - دودو(أبو العيد) ،الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830 – 1855 ، م . و .ك الجزائر،1989 .
20- الزهار(أحمد الشريف) ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ،تحقيق أحمد توفيق المدني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1980 .
21- الزياني(محمد بن يوسف) ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،ط 2 ،الجزائر، 2007 .
22- شالر وليام ،مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824 م ،تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1982 .
23 - العبدري(أبو عبد الله محمد بن محمد) ،الرحلة المغربية ، تحقيق و تعليق محمد الفاسي جامعة محمد الخامس ، الرباط ،1968 .
24 - عميراوي(أحميدة) ،الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا) ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2009 .
25- فندلين(شلوصر)،قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 ،ترجمة و تقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1980 .
26- فون مالستان هاينريش ،ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ،ترجمة أبو العيد دودو ،ش . و . ن . ت ، ج1 ،الجزائر، 1980 .
27- كاربخال(مارمول)، افريقيا ،الجزء 2،ترجمة محمد حجي و آخرون،دار المعرفة ،الرباط 1989 .
28- المزاري(آغا بن عودة)،طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر ،تحقيق يحي بوعزيز ،الجزء الأول،دار الغرب الاسلامي ،الطبعة الأولى، لبنان ، 1990 .
29- مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ،تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر ،المطبعة الثعالبية ،الجزائر .
30- مسلم (بن عبد القادر) ،أنيس الغريب و المسافر تحقيق رابح بونار ، ش.و.ن.ت، الجزائر 1934 .

31- المشرفي (عبد القادر الجزائري)،بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر،تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم،بدون دار النشر ،بدون سنة نشر.

32- الناصري(أبو العباس أحمد) ،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق و تعليق جعفر و محمد الناصري ،ج 7 ،دار الكتب ،الدار البيضاء،1954 .

33 - الناصري(أبو راس) ،عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ،تحقيق و تقديم محمد غالم منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، ط1 ،وهران،2005 .

34-هابنسترايت(ج .أو) ، رحلة العالم الألماني ج .أو .هابنسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145 هـ /1732 م)، ترجمة وتقديم و تعليق ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الاسلامي، تونس، 1980 .

35- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي) ،وصف افريقيا، ترجمة من الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر،ج2 ،ط 2،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1983 .

2- المصادر باللغة الفرنسية :

1- Cueva (Francisco de la) ,Guerre de Tlemcen ,traduction de M. Camille Brunel , BSGAO ,T10 ,1891 ,pp 224 – 469 .

2-Devoulx (Albert),Tachrifat ,Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger ,Imprimerie du Gouvernement Alger ,1852 .

3 - Flechier (Esprit) ,Histoire du cardinal Ximenés, T1,J. Anisson ,Paris 1693.

4- Haedo (fray Diego De) ,Topographie et histoire générale d'Alger ,Traduit par : A Berbrugger et Monnereau , R. A ,T14-15, 1870 .

5- Haedo (fray Diego De),Histoire des rois d'Alger ,trad et annotée par H D Grammont ,Adolphe Jourdan Libraire ,Alger ,1881 .

6- Haedo (fray Diego De) , Histoire des rois d'Alger, traduit par H D Grammont, R.A,T24,25 , 1880-1881.

7- Montanes (Diego Suarez) ,Mers-El-Kebir ,Traduit par A Berbrugger ,R.A T 9, 1865 .

8- Primaudaie(Elie de la), Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnols en Afrique (1506 -1575) ,R.A , T 19 , 1875 .

9- Rinn (Louis) ,Le royaume d'Alger sous le dernier Dey ,Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur –Libraire- éditeur ,Alger , 1900 .
10- Rinn (Louis),Marabouts et Khouanes ,Etude sur l'islam en Algérie Adolphe Jourdan Libraire éditeur , Alger,1884 .
11- Sandoval(C X) ,les inscriptions d'Oran et de mers-el-kebir, traduit par Dr.Monnereau ,RA 1871,T 15
12- Tassy (Laugier De) ,Histoire du royaume d'Alger ,Henri du Sauzet Amsterdam ,1927 .
13- valléjo (Joseph Don) ,mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de mers-el-kébir Ecrit dans les premiers jours de l'année 1734,R.A, volume 66, Alger 1925 .

3- المراجع باللغة العربية و المعربة :

1- ابن أشنهو (عبد الحميد)،دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر 1972 .
2- ابن خروف (عمار) ،العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر الميلادي،ج1،الأمل ،الجزائر ،2006 .
3- آلتر (عزيز سامح)،الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ،ترجمة محمود على عامر ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1989 .
4- أوزتانا (يلماز) ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : عدنان محمود ، مراجعة : محمد الأنصاري مؤسسة فيصل للتمويل ، ج1، إسطنبول ،1988 .
5- بلحميسي (مولاي)،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ط 2، الجزائر ،1981 .
6- بن داهة (عدة) ،معسكر عبر التاريخ ،دار الخلدونية ،الجزائر ،2005 .
7- بوعزيز (يحي) ، الموجز في تاريخ الجزائر – جزائر حديثة – ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،1965 .
8- بوعزيز (يحي) ،مدينة وهران عبر التاريخ ،دار الغرب للنشر و التوزيع ،ط 2 ،وهران ،2002.
9- بوعزيز (يحي) ،وهران ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الرغاية ،الجزائر ،1985 .
10- بوعزيز (يحي)،المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780 - 1798) د .م .ج ،الجزائر ،1993 .

11- بوعزيز (يحي)،علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا 1500 - 1830 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،بدون سنة النشر .
12- بوعزيز(يحي) ،موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب،دار الهدى،الجزء الأول ،الجزائر 2009 .
13- الجابري (محمد عابد) ،العصبية و الدولة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1992 .
14- جوليان (شارل أندري) ،تاريخ إفريقيا الشمالية ،تونس –الجزائر –المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي الى سنة 1830 م ،تعريب مزالي(محمد)و بن سلامة(البشير) ،ج 2،الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،تونس ،1978 .
15- الجيلالي(عبد الرحمن) ، تاريخ الجزائر العام ،(ج 2 - ج3) ،دار الثقافة ،الطبعة الرابعة بيروت ،1980 .
16- حاجيات (عبد الحميد) و آخرون ،الجزائر في التاريخ (العهد الاسلامي) ،الجزء 3 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984 .
17- حداد (حليم ميشال) و عيد (عاطف) ،قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم المجلد 28 ،قسم الجزائر .
18- حركات(إبراهيم)،المغرب عبر التاريخ ،ج 2 ،دار الرشاد الحديثة ،ط2 ،الدار البيضاء 1984 .
19- حساني(مختار)، تاريخ الدولة الزيانية ،الأحوال الاقتصادية و الثقافية ،الجزء الثاني ،دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع ،ط 1 ،الجزائر ،2007 .
20 - حلمي (محروس إسماعيل) ، تاريخ العرب الحديث - من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى - ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1997 .
21- خنوف (علي) ،السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي ،مطبعة العناصر ،الجزائر ،1999 .
22- سبنسر(وليم)،الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب و تقديم عبد القادر زبادية ،دار القصبة للنشر، الجزائر ،2006 .
23- سعد الله(أبو القاسم) ،تاريخ الجزائر الثقافي ،(1500-1830)،ج 1 ،دار الغرب الاسلامي ، ط 2،بيروت ،1989 .

24 - سعيدوني (ناصر الدين) و البوعبدلي (المهدي)،الجزائر في التاريخ ،العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984 .
25- سعيدوني(ناصر الدين) ،النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830) ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1979 .
26- سعيدوني(ناصر الدين)،ورقات جزائرية ،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،2001 .
27- سليماني(محمد)،اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب ،مطبعة الأمنية ،ط 1 الرباط، 1971 .
28- شوفاليه (كورين) ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 – 1541 م) ترجمة : جمال حمادنة ، د .م . ج ، الجزائر ،2007 .
29- شويتام(أرزقي)،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني (926-1246 هـ /1519-1830 م)،دار الكتاب العربي ،ط1، الجزائر ،2009.
30- صادوق (محمد الحاج) ،مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف ،د .م . ج ،الجزائر ،1964
31- ضيف(شوقي) ،تاريخ الأدب العربي ،عصر الدول و الامارات ،الجزائر ،المغرب الأقصى موريتانيا السودان ،دار المعارف ،القاهرة ،ط1 ،بدون سنة النشر .
32- طمار (محمد بن عمرو) ،تلمسان عبر العصور و دورها في سياسة و حضارة الجزائر ،م و ك الجزائر ،1984 .
33- عباد(صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 -1830 ، دار هومة ، ط2 ، الجزائر .2007
34- عقاب (محمد الطيب) ،الأخوان عروج وخير الدين ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ،1985 .
35- عميراوي(احميدة)،علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي ،البعث ،الجزائر ،2002 .
36- فارس (محمد خير) ،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي ،دمشق . 1969
37- فالنسي(لوسيت) ،المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830 ،ترجمة الياس مرقص دار الحقيقة للطباعة و النشر،ط1 بيروت ،1980 .

38- فكاير (عبد القادر)،الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية و آثاره (910-1206 هـ/1505-1792 م) ،دار هومة ،الجزائر ، 2012 .
39- فيلالي(عبد العزيز) ، تلمسان في العهد الزياني ، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2002 .
40- فيلالي (مختار الطاهر) ،نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني دار الفن الغرافيكي للطباعة و النشر ، ط 1، باتنة ،1976 .
41- قنان(جمال) ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر (1500 – 1830م) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر ،1987 .
42- قنان(جمال)،معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1987 .
43- المدني (أحمد توفيق)،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492 م-1792 م، دار البصائر,الجزائر,الطبعة الأولى ،2007 .
44- المدني (أحمد توفيق) ،كتاب الجزائر ،دار المعارف ، ط 2 ،الجزائر ،1963 .
45- المدني (أحمد توفيق) ،محمد عثمان باشا داي الجزائر1766 -1791 م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده ، م . و . ك ،الجزائر ،1986 .
46- المنذري(عبد العظيم بن عبد القوي) ،الترغيب و الترهيب ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ط 1 المجلد 2 ، الرياض ،2004 .
47- الميلي(مبارك بن محمد الهلالي) ،تاريخ الجزائر في القديم و الحديث،الجزء 3 ،مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر ،1964 .
48- هلال(عمار) ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1862) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1995 .
49- هلايلي(حنيفي) ،أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الهدى ،عين مليلة، الجزائر 2008 .
50- هلايلي(حنيفي)،أبحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر، 2010 .
51- وولف(جون ب)،الجزائر و أووربا ،ترجمة أبو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 .

4- المراجع باللغة الفرنسية :

1- André (Pierre-Jean-Daniel), Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, maison de livres ,Alger,1956 .

2- Bargès (l'abbé) ,complément de l'histoire des bani-Ziane rois des Tlemcen ,Ernest Laroux , paris,1887 .

3- Belhamissi (Moulay) , Histoire de Mazouna ,une petit ville ,une lonque Histoire ,Alger ,1982 .

4- Belhamissi (Moulay) ,Histoire de Mostaganem des origines a l'occupation française centre nationale d'Etudes historique ,Alger , 1976 .

5- Belhamissi (Moulay), Les Captifs algériens & l'Europe Chrétienne (1518 - 1830), (ENL), Alger, 1988 .

6- Blum (Nelly) ,la croisade de Ximènès en Afrique ,imprimerie typographique et lithographique L FOUQUE ,rue Tbuillier , 4(place Kleber),1898 .

7- Bontems(C) ,Manuel des Institutions Algériennes de la Domination turque a l'indépendance 1518-1870 ,éd Cujas, Paris ,1974 .

8- BOUABBA(YAMILE), les Turcs au Maghreb central du 16éme au 19éme siècle, S.N.E.D, Alger, 1972 .

9- Boulifa(S.A),Le Djurdjura A travers L'Histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830,J.Bringau imprimeur-éditeur ,Alger ,1925 .

10- Bourouiba (Rachid) ,Oran Histoire Politique , S N E D ,Alger ,1974 .

11- Boyer (p) ,L'évolution de L'Algérie médiane (ancien département d'Alger de 1830 a 1956),A .Maisonneuve ,Alger-Paris ,1960 .

12- Braudel(Fernand), la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II , T3 ,Armand Colin ,5 ed ,Paris ,1821 .

13- Cat (Edouard) ,petit histoire de l'Algérie ,T1 , Adolphe Jourdan ,1889 .

14- Chausolles (p) ,L'Algérie pittoresque ou histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours ,imprimerie de J B Paya éditeur ,Toulouse , 1845 .

15- Didier (L),Histoire d'Oran ,période (1501-1550) ,Jeanne d'Arc ,Oran 1927 .

16- El Korso (Mohamed) et Epalza(Mikel de), Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle d'après le rapport Aramburu , Alger , 1978 .

17- Esterhazy (Walsin),Notice Historique sur le maghzen d'Oran ,Imp de Perrier ,Oran ,1849 .
18- Esterhazy(Walsin) ,De la domination turque dans l'ancienne régence D'Alger ,Lib de Charles Glosslin ,Paris ,1840 .
19- Eugène (Daumas) ,Mœurs et coutumes de l'Algérie ,Introduction Djeghloul Sindbad ,Paris ,1988.
20- Fey (Henri Léon) ,Histoire D'Oran avant ,pendant et après la domination espagnole, Typographie Adolphe Perrier Editeur ,Oran , 1858.
21- Garrot (Henri),Histoire générale de l'Algérie ,Imprimerie P .Grescenzo voutes Bastio Nord ,Alger , 1910 .
22- Gilibert (Léon) ,L'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers établissements des Carthaginois jusqu'à l'expédition du général randon en 1853 ,Furne et cie libraires-éditeurs , Paris ,1853 .
23- GRAMMONT (H-D.DE),Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830) , Ernest Leroux ,paris ,1887.
24- KADDACHE (MAHFOUD), L'Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger, 1991 .
25- Lapène(Édouard) ,Tableau historique de la province d'Oran ,depuis le départ des Espagnols en 1792 ,jusqu'à l'élévation d'abdel-kader en 1831 Metz bibliothèque Royale ,1842 .
26- Latrie(Mas) ,Aperçue des relations commerciales de l'Italie septentrionale avec l'Algérie au moyen âge ,Imp Royale ,Paris ,1845
27- Malki (Nordine) , razzia, butin , et esclavage dans l'Oranie du XVI éme siècle ,Dar El Garb ,oran , 2003 .
28- Mercier (Ernest) ,Histoire de l'établissement des Arabes dans l'afrique septentrionale ,L.Marle Libraire-éditeur ,Constantine ,1875 .
29- Mercier (Ernest) ,Histoire de l'Afrique septentrional ,T3, Ernerst leroux paris ,1888.
30- Monlau (Jean) ,Les Etas Barbaresque , 2eme ed ,P.U.F, Paris ,1973
31- Primaudaie (Elie de la) , le commerce et la navigation de l'Algérie Lahure ,paris ,1861
32- Rotalier (Charles De),Histoire D'alger et de la piraterie des turcs dans la méditerranée ,édition Paulin ,T2 ,Paris .
33- Rozet et Carette ,Algérie ,2 Ed ,Bouslama ,Tunis ,1980

34- Ruff (Paul) ,la domination espagnole a Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete(1543-1558),Leroux ,paris,1900
35- SAIDOUNI (NACER-EDDINE),L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830), Der-El-Gherb-El-Islami, Beyrouth, 2001 .
36- Terrasse (Henri) ,Histoire du Maroc ,T 2, Éditions Atlantides Casablanca ,1950 .
37- Tinthoin (R) ,colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1830-a 1885 ,L .Fouque ,Oran ,1947 .
38- Trumelet (C),Les Français dans le désert ,Journal Histprique ,Militaire et descriptif d'une expédition aux limites du sahara Algérien ,Challamel Ainé éditeur, Paris ,1887 .
39- Vayssettes (E) ,Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 -1837 ,présentation de Ourda Siari Tengour , Ed Bouchène ,Paris ,2002 .
40- veronne (Chantal de la) , Oran et Tlemcen dans la première moitié de 16 éme siècle Geuthner ,paris,1983 .
41- Warnier et Carette, Description et division de l'Algérie, Librairie De L . Hachette ,Paris , 1847 .

5 – المقالات باللغة العربية :

1- بلحميسي (مولاي)،نهاية دولة بني زيان ،الأصالة ،العدد 26 ، جويلية 1975 ،ص ص 30 – 36 .
2- البوعبدلي (المهدي)،أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، الأصالة ، العدد 8 ،وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ،الجزائر جوان 1972 ،ص ص 273 - 292 .
3- البوعبدلي (المهدي)،الرباط و الفداء في وهران و القبائل الكبرى ،مجلة الأصالة ،عدد 13 1973 ، ص ص 19 - 37 .
4- بوعزيز(يحي)،دور العلماء و الرباطات في تحرير مدينة وهران من أيدي الإسبان ،مجلة دراسات مغاربية ، ،عدد 1 ، 1988، ص ص 106 -115 .
5- التميمي (عبد الجليل) ،أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519 م المجلة التاريخية المغربية ،العدد 06، 1976 ، ص ص 119 – 125 .

6- سعيدوني (ناصر الدين) ،دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر ،مجلة الأصالة ،عدد 32 السنة الخامسة، 1976 ، ص ص 60 - 75 .
7- سعيدوني(ناصر الدين) ،"وضعية القبائل المخزنية و الآثار المترتبة عليها "،المجلة التاريخية المغربية العدد 7- 8 ، 1977 ، ص ص 75 - 89 .
8- صادقي(حسن) ،مدينة وهران و أعلامها في الكتابات المغربية ،عصور جديدة ،عدد 7- 8 جامعة وهران ، 2012 - 2013 ، ص ص 189 - 197 .
9- صاري (جيلالي) ،أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين) ،مجلة التاريخ ،المركز الوطني للدراسات التاريخية ،الجزائر العدد 12 ، 1986 ، ص ص 17 – 25 .
10- فكاير(عبد القادر) ،الغارات الاسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ،عصور جديدة،العدد 2 ،2011 ، ص ص
11- قداش(محفوظ)،الجزائر في العهد التركي ،الأصالة ،عدد 52 ،1977 ، ص ص 8 - 20 .
12- هلايلي(حنيفي) ،عملاء و جواسيس الاسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر،مجلة الحوار الفكري ، عدد7، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة ، ديسمبر 2007 ص ص 145 – 155

6- المقالات باللغة الفرنسية :

1-Berbrugger (A),Des Frontières de l'Algérie ,R.A ,1860 ,p p 401 -417 .

2-Berbrugger (A) ,Reprise d'Oran par les espagnols en 1732 , R.A , 1864 ,T8 p p 12 -28 .

3-Berbrugger (A) ,la mort du fondateur de la régence d'Alger ,R.A ,1859-1860,T4,p p 25- 33 .

4-Bernard (Augustin) , Doutté (Edmond) ,L'habitation rurale des indigènes de l'Algérie, in Annales de Géographie ,1917 ,N 141 ,T 26 ,p p 219 -228 .

5-Bodin (M) ,Notes et qustions sur Sidi Ahmed ben Youcef , R .A ,N 66 1925 , p p 180 – 193 .

6-Boukhari (Hammana),Le premier siege Turc d'Oran 1556 D'après Diego Suarez et les historiens Europeens Modernes ,Majallat Et-Tarikh , 1986 N 21 , p p 7 -15 .

7-Boyer (Pierre) ,Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger XVI –XIX siècle , R.O.M.M ,1966 ,N 1, p p11 -49.

8-Boyer (p) ,La Conquête de L'Algérie ,in I.A, Paris ,1957 ,p p 125 – 133.

9-Braudel (Fernand),les espagnols en Afrique du nord ,R. A ,1928,N 69, p p 184 -428 .

10-Cazenave , L'organisation militaire d'Oran pendant l'occupation espagnole (1509-1791) ,L'armée de d'Afrique ,N 41 ,1928 , p p 326 -330 .

11-DELPHIN, (G), "Histoire des pachas d'Alger de 1515-1749", in journal Asiatique, Avril. Juin, 1922 , p p 185 – 198 .

12-El Mecherfi (Abdelkader) ,Notice Historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur Occupation d'Oran ,Traduit et annoté par Marcel Bodin ,R .A ,N 65 ,Alger ,1924, p p 193 -260 .

13-Emerit (marcel) ,Les Tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX é siècle , in Annales économies ,sociétés ,civilisations , N 1,Année 1966 , p p 44 -58 .

14-Feraud (L),lettre arabes de l'époque de l'occupation Espagnole en Algérie , in R.A 1873 ,N 17 , p p 313 – 321 .

15-FERDMAN (H), AUCAPITAINE(H), Notice sur L'Histoire Et L'administration Du Titteri ", in R.A, N° 11, 1867 , p p 354 -370 .

16-GORGUOS(M):Notice sur le Bey d'Oran ,Mohammed El Kebir ,in R.A 1856-57 , n 1 ,Alger ,p p 403 -416 ,p p 403 – 416 .

17-Jacqueton (G), l'expédition d'A Martinez de Angelo contre Tlemcen (juin-juillet 1535) ,R.A,1892 ,N36 ,p p 149- 165 .

18-Julienne (M),Les Rir'a de la subdivision de Miliana ,in R.A 1856 ,N 1 Alger , p p 281 -286 .

19-kehl (C) ,Oran et l'Oranie Avant l'occupation français, B.S.G.O 1942 ,T63, p p 23 – 49 .

20-Lespinasse ,Notice sur le Hachem de Mascara ,in R . A 1877 ,T 21 ,Alger , p p 141 -151 .

21-Marcais (Georges) ,Recherches d'archéologie ,Honaine , R.A 1928 ,T28 p p 333 -350 .

22-noël (A) capitaine ,Documents pour servir l'histoire des Hamyanes et la région qu' il occupent ,B.S.G.O ,1915,T35 ,p p 121 -303 .

23-Veronne (Chantal de la),Relation entre me Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du 16 e siècle et le début du 17 e siècle (1554 -1616) ,in R.O. M. M, N 15-16 , 1973 ,p p 391 -401 .

7 – الأطروحات :

1- بحري (أحمد)،الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671 - 1830 م ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة وهران ،2002/2001 .

2- بلبروات (بن عتو) ،المدينة و الريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة وهران ،2008/2007 .

3- بلبراوات (بن عتو) ،الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري 1779 م - 1797 م ،شهادة ماجستير ،جامعة وهران ،2001-2002 .

4- بلبوري (سيد أحمد)، الاحتلال الاسباني الأول لوهران و انعكاساته الاجتماعية السياسية و الاقتصادية ،أطروحة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ ،جامعة وهران ،سبتمبر 1985 .

5- بن العيفاوي (علي) ،مدينة معسكر و دورها في العهد العثماني ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر ،2008-2009 .

6- بن صحراوي (كمال) ،أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة وهران ،2013 -2014 .

7- بوجلال (قدور)،العلم و العلماء في بايلك الغرب ،مذكرة ماجستير ،جامعة وهران ،2008-2009 .

8- حباش (فاطمة)،سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820 - 1896) ،رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004 -2005 .

9- حرفوش (عمر)،الادارة الجزائرية في العهد العثماني "الادارة المركزية نموذج "،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر ،2008-2009 .

10 - حساني(مختار) ،الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للدولة الزيانية ،رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر، 1986 .

11- خشمون حفيظة ،مهام مفتدي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية ،رسالة ماجستير ،جامعة منتوري قسنطينة ،2006-2007 .

12- دحماني (توفيق) ،الضرائب في الجزائر (1206-1283 هـ/1792-1865 م)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الجزائر ،2007-2008 .

13- دحماني (توفيق) ،النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193 هـ-1779م/1246 هـ-1830 م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الجزائر ،2003-2004 .

14- شدري معمر(رشيدة) ،العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671 - 1830) مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة الجزائر ، 2005-2006 .

15- طالي معمر (سميرة) ،القوى المحلية في بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني (1206 هـ - 1246هـ/1792 م -1831)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر 2010/2009 .

16- طيب بوجمعة (نعيمة) ،كتاب نسب زغبة و منتهى أصلهم لأبي الحسن على بن محمد بن الخطيب القرشي التلمساني (دراسة و تحقيق)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ و الحضارة الاسلامية جامعة وهران ،2005- 2006 .

17- علوي (مصطفى) ،صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة و الجغرافيين المغاربة ما بين القرنيين 7 و 9 الهجري /13 و 15 ميلادي، رسالة ماجستير ،جامعة سيدي بلعباس 2006/2005 .

18- غالي (العربي)،الثورات الشعبية أثناء العهد التركي ،رسالة ماجستير ،جامعة دمشق ،1988

19- فكاير (عبد القادر) ،الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر ،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر ،2000 - 2001 .

20- لطرش (حنان) ،السلطة و المجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني ،شهادة ماجستير ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ، 2005 /2006 .

21- لعباسي (محمد)،أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر و أخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918 ه /1512 م إلى سنة 953 ه /1546م شهادة ماجستير ،جامعة وهران ،2005 - 2006 .

22- هاشمي (مريم) ،العلاقات الثقافية بين تلمسان و بجاية ،رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2010 .

23-الواليش (فتيحة) ،الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر،1993- 1994 .

فهرس الموضوعات

ملخص

يتمحور ملخص رسالتي حول علاقة قبائل الغرب الجزائري بكل من الاسبان و السلطة العثمانية من 1509 م إلى غاية 1792 م بحيث تميزت الجزائر في بداية القرن السادس عشر بأوضاع سياسية سادها التمزق ،و الحروب الأهلية بين أفراد العائلة المالكة ،إلى جانب التناحر بين ممالكه في حروب مدمرة ،مما أضعف السلطة المركزية ،و شجع بعض القبائل و المدن الساحلية على إعلان العصيان كل هذه الأوضاع المتردية شجعت الأسبان لاحتلال مدنها الساحلية.و من بين المدن التي احتلها الاسبان في الغرب الجزائري مدينة وهران و المرسى الكبير ،بحيث أقدمت بعض قبائل هذه المنطقة على التعاون مع الاسبان ،و من جهة أخرى و لما تأكد أعيان مدينة الجزائر بأنه لا يمكنهم الوقوف في وجه الاحتلال الإسباني ،لجئوا إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس و منذ استقرارهم في مدينة الجزائر بدأ تشكيل كيان سياسي جديد ،و بالتالي تم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية ،و قد امتد الحكم العثماني للغرب الجزائري عندما توجه عروج إلى مدينة تنس لإخضاع إحدى الثورات التي قامت بها قبائل الأمحال ، وبالتالي وجدت بعض القبائل من قام بالتعاون و التحالف مع الأتراك العثمانيين ضد الاسبان و كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من القبائل. و بحكم مجاورة بايلك الغرب للمغرب الأقصى ،و كذلك الصراع الذي كان بين سلاطين المغرب الأقصى و الأتراك العثمانيين ،فإن قبائل الغرب الجزائري التي تقع على الحدود بين الجزائر و المغرب تأثرت بهذه العلاقة إذ كانت كثيرا ما تلجأ إلى المغرب الأقصى و تتحالف معهم ضد الأتراك العثمانيين و هذا بتحريض من سلاطين المغرب الأقصى.

الكلمات المفتاحية :

الأسبان؛ الغرب الجزائري؛ قبائل؛ الأتراك العثمانيون؛ بايلك الغرب؛ قبائل المخزن؛ القبائل المتحالفة؛ قبائل الرعية؛ القبائل المستقلة؛ وهران؛ المرسى الكبير؛ الاحتلال الاسباني.

نوقشت يوم 04 ديسمبر 2014